براجماتية اللغة ودورها في تشكيل بنية الكلمة

دراسة لغوية في كتب لحن العامة

إعداد

ريم فرحان عودة المعايطة

إشراف الدكتور

يحيى عبابنة

١٩٩٩

كلية الآداب

جامعة مؤتة

براجماتية اللغة ودورها في تشكيل بنية الكلمة
دراسة لغوية في كتب لحن العامة

إعداد الطالبة

ريم فرحان عودة المعايطة

بكالوريوس في اللغة العربية وآدابها/ جامعةمؤتة ١٩٩٥

إشراف الدكتور

يحيى عبابنة

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير

في اللغة العربية وآدابها / تخصص اللغة والنحو

تاريخ تقديم الرسالة: ٢ / ٥ / ١٩٩٩م

تاريخ مناقشة الرسالة: ٥ / ٦ / ١٩٩٩م

١٩٩٩

لجنة المناقشة

الدكتور يحيى عبابنة............................رئيساً

الدكتور عبدالقادر مرعي............................عضواً

الدكتور محمود كناكري............................عضواً

الإهداء

إلى أمي وأبي وفاءً بحقهما، وعرفاناً بفضلهما

إلى إخوتي وأخواتي، مودةً وتقديراً

إليكم جميعاً أهدي هذا العمل.

ريم معايطة

الرموز المستعملة في متن الرسالة

الهمزة	>
الباء	b
الپاء	p
التاء	t
الثاء	ṯ
الجيم المعطشة	ǧ
الجيم القديمة	g
الحاء	ḥ
الخاء	ẖ
الدال	d
الذال	ḏ
الراء	r
الزاي	z
السين	s
الشين	š
الصاد	ṡ
الضاد	ḍ
الطاء	ṭ
الظاء	ż
العين	<
الغين	ġ
الفاء	f
القاف	ḳ
الكاف	k
اللام	l
الميم	m
النون	n
الهاء	h
الواو	w
الياء	y
الفتحة القصيرة	a
الفتحة الطويلة	ā
الضمّة القصيرة الخالصة	u
الضمّة الطويلة الخالصة	ū
الضمّةالطويلة الممالة	ō
الضمّة القصيرة الممالة	o
الكسرة القصيرة الخالصة	i
الكسرة الطويلة الخالصة	ī
الكسرة القصيرة الممالة	e
الكسرة الطويلة الممالة	ē
يعادل	=

المقدمة

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، محمدٍ بن عبدالله، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد،

فتبحث هذه الدراسة موضوع التطوّر اللغوي، وتحرّك اللغة وفقاً للمعايير البراجماتية التي تحقق الهدف من اللغة، وهو التواصل الاجتماعي.

أمّا مفهوم البراجماتية، فقد وَضُحَ في التمهيد، ولا حاجةَ لتكراره في هذا الموضع تجنباً لما يمكن أن يكون ترهّلاً في عُرض الموضوع .

وقد اخترتُ هذا الموضوع رغبة مني في إظهار أثر البراجماتية في اللغة العربية من خلال دراسة كتب لحن العامة، ومقارنة ما فيها من تطوّرات صوتية مع المستوى الفصيح للغة العربية، لا سيمّا أنه موضوع لم يُتناول في دراسة منفصلة من قبلُ، وإنْ كان الدكتور سمير ستيتيه قد كتب بحثاً بعنوان « براجماتية اللغة» ، إلاّ أنه لم يُنشرْ في حدود العلم. لهذا لم أتمكن من الاطلاع عليه وكان قد قدّمه في حلقة من حلقات مؤتمر النقد الأدبي في جامعة اليرموك ، وقد قام الدكتور رمضان عبدالتواب بطرق بعض الجزئيات في كتابه «لحن العامة والتطوّر اللغوي»، وهو بعيد عن جسم هذه الدراسة العام وكتب أيضاً الدكتور عبدالعزيز مطر كتابه « لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة»، وقد حاول فيه تفسير بعض الأمور اللغوية ولكنه لم يطرق مبدأ البراجماتية، الذي يسعى هذا البحث إلى بيان دوره في إغناء المعجم اللغوي لحلقات اللغة العربية بعد عهد الفصاحة.

وقد اتبّعتُ في هذه الدراسة المنهج الوصفي التفسيري ، فجمعت الظواهر الصوتية التي توضح دور تطوّر اللغة المنطوقة من أبرز كتب لحن العامة، ثم قمت بتحليلها ومحاولة تفسيرها، وقد كنت أحياناً ألجأ إلى المنهج المقارن والمنهج التاريخي في بعض

الجزئيات، كما كنت ألجأ في كثير من القضايا إلى المنهج التوليدي التحويلي، لتفسير ما حدث فيها وفقاً للنظرة الحديثة إلى البنى السطحية والبنى العميقة للغة ٠

وقد أخذتُ المادّة الأوّلية لهذه الدراسة من كتب لحن العامة، وحاولت الاتيان بنماذجَ من مختلف العصور ابتداءً بعصر الكسائي، ومن أبرز هذه الكتب :

١- ما تلحن فيه العامة للكسائي ٠

٢- إصلاح المنطق لابن السكيت ٠

٣- أدب الكاتب لابن قتيبة ٠

٤- لحن العامة للزُّبَيْدي ٠

٥- تثقيف اللسان لابن مكي الصقلي ٠

٦- تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة للجواليقي ٠

٧- المدخل إلى تقويم اللسان لابن هشام اللخمي ٠

٨- تقويم اللسان لابن الجوزي ٠

٩- تصحيح التصحيف لابن أيبك الصفدي ٠

١٠- التنبيه على غلط الجاهل والنبيه٠(لابن كمال باشا) ٠

١١- سهم الألحاظ في وهم الألفاظ لرضي الدين بن الحنبلي ٠

١٢- خير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام لابن بالي القسطنطيني٠

وكنت أشير في بعض الأحيان، إلى بعض التطوّرات الصوتية في عصرنا الحالي، مستعينة بكتبٍ تحدّثت عنها، ككتاب (دروس في علم أصوات العربية) لجان كانتينو، وكتاب الدكتور رمضان عبدالتواب (التطوّر اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه) وغيرهما٠

ومن أبرز الكتب الحديثة التي استعنت بها في هذه الدراسة إضافةً لما سبق ذكره ما يأتي :

- التطوّر النحوي لبيرجشتراسر ٠
- الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس ٠
- دراسة الصوت اللغوي لأحمد مختار عمر ٠
- مناهج البحث في اللغة لتمام حسان ٠
- المدخل إلى علم الأصوات لصلاح الدين حسنين ٠
- أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية.
- لحن العامة والتطوّر اللغوي لرمضان عبدالتواب.
- لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة لعبد العزيز مطر ٠

وقد قسّمتُ الدراسة إلى تمهيد وأربعة فصول، وخاتمة ٠وضحّتُ في التمهيد معنى براجماتية اللغة العربية وبعض القضايا المتعلقة بهذا المصطلح٠

أمّا الفصل الأوّل فقد خصّصته للحديث عن أبرز قضايا التوافق الصوتي، وهي:

١- المماثلة ، فعرّفت بمفهوم المماثلة ، وتحدّثت عن مظاهرها بين الصوامت وبين الصوائت، وبين الصوامت والصوائت ٠

٢- النظام المقطعي، فعرّفت بمفهوم المقطع ومكوناته وأشكاله في اللغة العربية، وخصائص المقطعيّة العربية، وأثر المقطع العربي في التطوّر الصوتي، وقد ظهر هذا الأثر أثناء الحديث عن الظواهر الآتية :

١) إغلاق المقطع القصير.

٢) إشباع حركة المقطع المفتوح.

٣) تقصير حركة المقطع المفتوح

٤) المقطع الطويل المغلق بصامتين ٠

٣- دور الحركات المزدوجة، وظهر من خلال الحديث عن تطوّر الحركات المزدوجة وتحوّل نواتها، والفرار من الحركة المزدوجة الواويّة إلى الحركة المزدوجة اليائية والفرار من الحركة المزدوجة اليائية إلى الحركة المزدوجة الواويّة ٠ كما تحدثت فيه عن الفرار من الحركة المزدوجة بالقلب المكاني، وعن تخلّق الحركة المزدوجة ٠

٤- الإبدال الصوتي التاريخي، وقد وضّحتُ هذا المفهوم وحاولت حصر التبدلات التاريخية بين الأصوات الواردة في كتب لحن العامة، ثم حاولت تفسيرها في ضوء التوجه البراجماتي للتطور اللغوي ٠

وأمّا الفصل الثاني فيضمّ جزئيّتين، الأولى بعنوان « المخالفة الصوتية»، وفيها وضحّت هذا المفهوم ، ثم بيّنت أثر هذه الظاهرة في لحن العامة من خلال الحديث عن المخالفة بين الصوتين الصامتين، ثم بين الصوتين الصائتين ٠

وأما الجزئية الثانية فقد جعلتها تحت عنوان « تسكين المتحرك وتحريك الساكن»، وقد عرضت هذا التطوّر وتقيضه من خلال ما ورد في كتب لحن العامة ٠

أما الفصل الثالث فهو بعنوان « الهمزة وقضاياها»، وفيه تحدثت عن تبدلات الهمزة وعن ضياعها، كما تحدّثت عن الهمزة المقحمة، وكل ذلك من خلال مظاهر اللغة المنطوقة التي بدت في الاستعمال اللغوي ٠

وأما الفصل الأخير فتحدّثتُ فيه عن « قانون السهولة والتيسير»، وفيه بيّنت أثر هذا القانون من خلال الحديث عن تطوّر الأصوات بين الأسنانية : الذال والظاء والثاء ، وعن تطور الأصوات المفخمة : الصاد والضاد والطاء ، وعن تطوّر بعض الأصوات الحلقيّة : العين والحاء والغين ، وعن تطوّر الصوت المركب، من خلال الحديث عن انحلاله إلى أحد عنصريه المكوّنين له (الدال والشين) ، وعن تبدلاته البارزة.

وتجدر الإشارة إلى أنه يوجد بعض التطوّرات الصوتية، ترك الحديث عنها؛ بسبب قلّة الكلمات المتعرّضة لها - على وفق دقة الاحصاء والبحث - ومن هذه الظواهر، المخالفة بين الحركات والحذف وغيرهما.

أما الخاتمة، ففيها عرضت أهم نتائج الدراسة، التي تظهر جميعها ميل الناطق -على الأغلب - إلى ما هو أيسر، وأقلّ جهداً، وقد كان هذا الميل لا إرادياً، سببه تدخل أكثر من قانون من القوانين الصوتية من أبرزها : قانون الاقتصاد اللغوي وقانون التمدن وقانون الأصوات الحنكية، وغيرها. وتجدر الإشارة هنا إلى وجود قوانين عملت في اتجاه معاكس للقوانين السابقة الذكر كقانون المبالغة في التصويب، وقانون انحلال الصوت المركب وغيرهما .

ووضعت في بداية الدراسة أهم الرموز المستعملة فيها، ثم ألحقت بها في النهاية ملخصاً باللغة العربية وآخر بالإنجليزية .

ولا يسعني في هذا المقام إلاّ أن أتقدّم بالشكر الجزيل للدكتور يحيى عبابنة المشرف على هذه الدراسة، لما تفضّل به من توجيه وإرشاد، كان له الأثر الأكبر في إنجاز هذه الدراسة، حيث لم يبخلْ عليّ بعلمه ووقته ومكتبته، وأسأل الله أن يجزيه عني خير جزاء .

وأتقدم بالشكر والعرفان بالفضل لعضوي لجنة المناقشة الدكتور عبدالقادر مرعي

الخليل والدكتور محمود كناكري لما بذلاه من جهد صادقٍ في قراءة هذه الدراسة ولتفضلهما بقول هذه المناقشة، وتقديم الملاحظات القيّمة عليها •

وبعدُ، فإنْ كنت قد وفّقت، وهو ما أمّلت ورجوت، فالفضل لله سبحانه وتعالى ثم لأستاذي الفاضل الدكتور يحيى عبابنة، وإنْ كنت قد أخطأت أو زللْت، فعذري أني حاولت واجتهدت وحسبي أن أنال أجر المجتهدين الذين يقصدون وجه الحقّ تبارك وتعالى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

ريم معايطة

التمهيد

معنى براجماتية اللغة :

ما نعنيه بهذا المصطلح هو نزوع اللغةِ إلى التغيّر تبعاً لما تمليها عليها قوانين التطوّر المختلفة التي يبدو التناقض واضحاً في عمل بعضها، حيث من الممكن أن نجد قانوناً من هذه القوانين يتدخل بصورة فاعلة في مظهر من المظاهر التي تشكّل الظاهرة اللغوية، ومن الممكن أن يعمّم أثر هذا القانون على أنماط أخرى تكون بعيدة عن عمله رغبة من اللغة في توحيد علاماتها، وفي نفس الوقت، قد نجد قانوناً آخر يعمل في الاتجاه المعاكس لأثر هذا القانون، فيؤدي إلى نشوء ظاهرة أخرى بعيدة عن أثر القانون السابق وربما كانت ناقضة لأثره تماماً .

ومن الأمثلة الحيّة التي يمكن أن نسوقها على هذه البراجماتية من اللهجات المعاصرة، ما حدث لصوت الهمزة من تأثيرات، فإذا كانت الهمزة صوتاً عسير النطق، ويحمّل الجهاز الصوتي أعباءً غير قادر على حملها، فإن هذا حقّاً مدعاة إلى إسقاط هذا الصوت، مما دفع بقانون السهولة والتيسير إلى التدخّل، فسقطت الهمزة من وسط الكلمة وآخرها في كثير من اللهجات، بل إن هذا السقوط قد تعدّى وسط الكلمة وآخرها إلى تلك الهمزات التي ترد في أوّل الكلمة، في بعض اللهجات كاللهجات المصرية مثلاً، وهذا التدخّل يُعَدُّ مظهراً ذرائعياً نفعياً، وصلت إليه اللغة لتسهيل النطق على أبناء اللغة بصورة تلقائية (لا واعية).

ومع هذا الأثر الذي سببه قانون السهولة والتيسير، فإن قانوناً آخر قد تدخّل، وهو يسير بعكس اتجاه قانون السهولة والتيسير السابق، ونعني به هنا قانون التمدّن، أو ما يمكن أن تطلق عليه قانون التجميل اللغوي الاجتماعي، حيث حدث أن نطق القاف بصورها المختلفة (القاف المهموسة والمجهورة والنطق القريب من الجيم) أصبح عَلَماً على شرائحَ اجتماعيةٍ لا يبدو أنها تشكل أنموذجاً أو قدوة اجتماعية بالنسبة للناطقين،

وهي شرائح البدو وسكان الأرياف، في حين شكّل قسم من سكان المدينة هذا الأنموذج القدوة، وهم ينطقون القاف كما تنطق الهمزة التي أسقطوها من لغاتهم، وهم يتمسكون بهذين المظهرين المتناقضين تماماً، حيث دفعوا باللغة إلى السير في هذا الاتجاه، مما يدلّ على براجماتية اللغة (ذرائعيتها).

ويمثل قانون السهولة والتيسير law of least Effort مظهراً مهماً من مظاهر هذه البرأجماتية، حيث نجد أنه يهدف إلى تحقيق حدّ أعلى من الأثر، بحدٍّ أدنى من الجهد، ذلك أن اللغة سلوك بشري، والبشر ميّالون بطبعهم إلى الاقتصاد في الجهد والوقت ما أمكنهم ذلك، وبهذا يميل الإنسان في استعماله لأصوات لغته إلى الاقتصاد في المجهود العضلي، حيث يندفع تحت تأثير نفعي- إن جاز التعبير- إلى الأصوات السهلة، اندفاعاً تلقائياً(١). وهذا الاندفاع لا يمكن تعليله أو تعليل نقيضه، ولكن يمكن تفسيره والتنبؤ به أحياناً.

وعلى ضوء هذه النظرية يمكن تفسير كثير من الظواهر اللغوية، كتغيّر بعض الأصوات العسيرة النطق (الأصوات بين الأسنانية، والمفخمة، والهمزة) وغيرها.

وقد أشار العلماء العرب القدماء إلى هذه النظرية إشاراتٍ قليلة حين عزوا كثيراً من التطوّرات الصوتية في اللغة العربية إلى ما أسموهُ ثقل الصوت أو خفته ، فقد نسبوا الخفة إلى الفتحة والثقل إلى الضمة والكسرة. وقد نسبوا الثقل إلى الهمزة والكراهية إلى توالي المتحركات في الكلمة الواحدة، أو توالي الأصوات المتماثلة(٢).

كما تحدّث عنها كثير من المحدثين، ومن أبرزهم اللغوي الأمريكي Whitney إذ يرى أن «كل ما تكتشفه من تطوّر في اللغة ليس إلاّ أمثلة لنزعة اللغات إلى توفير المجهود الذي يبذل في النطق»، متناسياً أثرَ العوامل الأخرى(٣).

---

(١) دراسة الصوت اللغوي/٣١٩ وانظر: الصوتيات/٨٢.

(٢) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس/١٧٦وانظر:المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية/١٨٠.

(٣) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس/١٧٥ ، ١٨١ ودراسة الصوت اللغوي/٣٢١ ، ٣٢٣.

أمّا يسبرسن Jespersen فقد قبل مبدأ الجهد الأقل كسبب في التغيير، ولكنه لم يستبعد أسباباً أخرى، قد يكون لها أثرٌ مضاد عليه(١).

وقد عارض هذه النظرية بعض المحدثين، فبنوا أدلتهم لدحضها « على ما لم يقله أحدٌ من مؤيديها، فقد تصوّروا أن مثل هذا التطوّر يستلزم المواضعة والاتفاق، وأن للمرء إرادة في مثل هذا التطوّر»(٢).

ويردّ عليهم « بأن أنصار هذه النظرية، قد أوضحوا لنا بما لايدع مجالاً للبس والإبهام، أن التطور غير إرادي، فهو يحدث دون أن يشعر به المتكلم، ودون أن يعمد إليه قصداً. فالمرء في الحقيقة حين ينطق بالصوت السهل بدل الصعب، يخيل إليه دائماً أنه ينطق بالصوت الأصلي دون تغيير فيه، فالعملية إذن لا شعورية، وهي لهذا بعد تكررها تترك أثراً في تطور كثير من أصوات اللغات . . . »(٣).

وينتقض المعارضون هذه النظرية؛ لأنها-كما يرون- تنسب إلى الإنسان الكسل، مع أنه يزداد نشاطاً على مرّ الأيام. ويردّ عليهم بأن هناك فرقاً بين الاقتصاد في المجهود العضلي وبين الكسل؛ « لأن الكسل في العمل لا يؤدي إلى النتيجة المرجوّة التي يهدف إليها المرء، في حين أن الاقتصاد في المجهود العضلي قد يؤدي إلى الغرض المنشود عن طريق أقصر»(٤).

ويرى بعض المعارضين أنه لا يمكن بالضبط معرفة ما هو سهل وما هو صعب وأن عملية السهولة والصعوبة أمر نسبي، فما هو صعب عند قوم قد يكون سهلاً عند غيرهم، ويرون أيضاً « أن التطوّر لو كان يجري في اتجاه السهولة لوجب أن تكون

---

(١) دراسة الصوت اللغوي/٣٢١.

(٢) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس/١٧٥.

(٣) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس/١٧٥.

(٤) السابق/١٧٧.

أصوات اللغات اليوم كلها من نوع الميم والنون والفاء فقط ؛ لأنها أسهل الأصوات». كما أنه لو صحت هـذه النظرية لانقرض صوت الذال مثلاً من جميع لغات البشر(١).

ويتمسّك المعارضون برأيهم؛ لأن «تاريـخ الألسن المعروف يسجل في كثير من الأحيان تطوّراً صوتياً جرى في الاتجاه المعاكس، أي في اتجاه الصعوبةِ لا السهولةِ»(٢).

ويرى عبدالرحمن أيوب أن ما قد يتصوره بعضهم من سهولة أو صعوبة ربما لا يكون إلاّ أثراً من آثار العادة اللغوية التي تنطق بهذا ولا تنطق بهذا(٣).

ويرد على كلام المعارضين السابق بأن حتميّة هذه النظرية وشمولها - أي وقوع كل لغة تحت سيطرتها وعدم إفلاتها من تأثيرها - « أمران لم يقل بهما واحدٌ من أنصار التطوّر اللغوي في العصر الحديث»(٤). كما أنها ليست العامل الوحيد في تطور الأصوات، فالتطوّر الصوتي يحدث نتيجة عوامل عديدة مجتمعة منها - إضافة لقانون الجهد الأقل -:

١- قانون جرامونت.

٢- قانون التردد النسبي.

٣- عامل السرعة (٥).

---

(١) الوجيز في فقه اللغة/٢٨١ وانظر: دراسة الصوت اللغوي/٣٢١ نقلاً عن : التطوّر اللغوي لعبد الرحمن أيوب/٢٦.

(٢) الوجيز في فقه اللغة/٢٨١.

(٣) دراسة الصوت اللغوي/٣٢١ نقلاً عن: التطوّر اللغوي لعبدالرحمن أيوب/٢٦.

(٤) التطوّر اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه/٥٤-٥٥.

(٥) دراسة الصوت اللغوي/٣١٩-٣٢٢ وقانون جرامونت هو قانون الأقوى، وملخّصه أنه « حينما يؤثر صوت في آخر فإن الأضعف (بموقعه في المقطع، أو بامتداده النطقي) هو الذي يكون عرضة للتأثر بالآخر » ، وقانون التردد النسبي هو قانون الشيوع وفيه أن « الفونيمات الأكثر تردداً تختزنها الذاكرة أسهل من الأقل، والعناقيد المتكرر وقوعها تقاوم التبسيط والإضعاف أكثر من العناقيد الأقل تكرراً . . . » وقانون السرعة:« هو أن المتحدث العادي يريد التحدث بسرعة حتى لا يدع مجالاً للمخاطب لمقاطعته من جهة، وحتى يوفّر جهداً يستخدمه في التعبير عن أفكار جديدة من جهة أخرى. . . » .

وانتظام التطوّر الصوتي الخاضع للقوانين الصوتية تعمل على اضطرابه عوامل عديدة كالقياس، والخطأ أو المبالغة في التصويب، والأخذ من لهجات أخرى، والأخذ من فترات مختلفة . . . الخ(١).

وقد وجد أن التطوّر الصوتي ليس متجهاً دوماً نحو السهولة والتيسير، فنظرية السهولة والتيسير أو الجهد الأقل لا تنطبق على كل حالات التطوّر الصوتي، وإنما على كثير منها، أما الحالات التي يظهر فيها التطوّر الصوتي بشكل معاكس (من السهل إلى الصعب)، فـلا بدّ من البحث عن أسباب أخرى خاصة تبررها« فليس ينقض هذه النظرية أن نجد أحياناً أصواتاً سهلة تطوّرت إلى أصعب منها في بعض الحالات»(٢).

ويمكن القول أنه مهما أنكر المنكرون أثر الاقتصاد اللغوي فسيظلّ من العوامل البارزة التي تؤثر في تطوّر الأصوات(٣).

وقد تنحرف العامة في واقع الممارسة عن الأصيل عندما تجد في البديل ما يتفق وطبيعتها الميالة إلى التسهيل، يساعده في ذلك طبيعة اللغة التي تمتاز بالمرونة والتيسير في موضوع تتابع الحروف وتبادلها(٤).

ومن القوانين التي تؤكد مبدأ البراجماتية اللغوية، المبالغة في التمدّن والمبالغة في التفصح(الحذلقة)، وقانون الأصوات الحنكيّة، الذي يؤدي إلى نشوء أصوات مركبة كما في صوت الجيم العربية المعطشة (ǧ) المتطوّرة عن الجيم السامية القديمة الخالية من التعطيش (g) وما أثر فيه من أصوات أقصى حنكيّة أخرى كالكاف في ظاهرتي الكَشْكَشة

---

(١) علم اللغة/٢٥٤-٢٥٥

(٢) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس/٧٥

(٣) دراسة الصوت اللغوي/٣٣٨

(٤) اللغة العربية بين الفصيحة والعامية/٧١

والكسكسه(١).

ثم من الممكن أن يتدخل قانون آخر يسير بعكس اتجاه هذا القانون، وهو قانون انحلال الصوت المركب الذي يؤدي على سبيل المثال إلى تفكيك الجيم العربية المركبة من الدال والشين المجهورة إلى مكوناتها الأصلية، فنجـــد بعض اللهجات تحوّل الجيم إلى دال، وأخرى تحوّله إلى شين مجهورة كنطق المغاربة وأهـــل نابلس في فلسطين لصوت الجيم.

كما يمكن أن نجد من أشكال البراجماتية جنوح اللغة القوي نحو التخلص من ظاهرة الحركات المزدوجة diphthongization عن طريق انكماشها إلى حركات ممالة، حيث تنكمش الحركة المزدوجة الهابطة الواويّة (aw) إلى ضمّة طويلة ممالة (o)، في حين تنكمش الحركة المزدوجة الهابطة اليائية (ay) إلى كسرة طويلة ممالة (e)، هذا فضلاً عن قوانين التوافق الصوتي كالمماثلة والمخالفة وغيرهما .

ولن نطيل في هذا التمهيد القصير في الحديث عن هذه القوانين، لأنّا تحدّثنا عنها في أبوابها، وقد قصدنا إلى توضيح مفهوم ما أطلقنا عليه مصطلح (براجماتية اللغة)، وأمّا عن تأثير هذه النزعة فإنه كثير منثور في هذه الرسالة التي جاءت لتكشف غموض هذه الظاهرة .

---

(١) التطوّر اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه/٩٢-٩٣ وفيه وردَ أنه يقصد بظاهرتي الكَسْكسة والكشكشة : أن تقلب الكاف المكسورة فقط-بدايةً- إلى «تْسْ» في الكَسْكسة وإلى «تْشْ» في الكشْكَشَة ، ثم طردت اللهجات العربية الحديثة هذا القلب في كل كاف، عن طريق القياس، مكسورة كانت هذه الكاف، أو غير مكسورة كقولنا «تْسيف حالك» و«تْشبير» بدلاً من : « كيف حالك» و « كبير» .

الفصل الأول

في قضايا التوافق الصوتي

قضايا التوافق الصوتي

(١) المماثلة (Assimilation)

ما يقصد بالمماثلة هو تأثر الصوت بالصوت الذي يليه، أو الذي قبله، بحيث يصبح مثله أو قريباً منه في الصفة أو المخرج(١)، أو هي «التعْديلات التكيفيّة للصوت بسبب مجاورته لأصوات أخرى» أو هي « تحوّل الفونيمات المتخالفة إلى متماثلة إما تماثلاً جزئياً أو كلياً»(٢).

ويمكن إرجاع هذه الظاهرة الصوتية إلى نزعة المتكلم إلى الانسجام والتوافق الصوتي، وإلى الاقتصاد في الجهد العضلي اقتصاداً غير إرادي، إذْ "يحدث دون أن يشعر المتكلم بحدوثه، ودون أن يكون له قصد به"(٣)، «فإذا التقى في الكلام صوتان من مخرج واحد، أو من مخرجين متقاربين، وكان أحدهما مجهوراً والآخر مهموساً مثلاً، حدث بينهما شدّ وجذب، كل واحد منهما يحاول أن يجذب الآخر ناحيته، ويجعله يتماثل معه في صفاته كلها، أو في بعضها» اقتصاداً في عملية الانقباض والانبساط في المزمار الذي يفتح أثناء الهمس، ويضيق أثناء الجهر ليتذبذب الوتران الصوتيان(٤).

والأمثلة على هذه الظاهرة كثيرة في اللغة العربية، منها مثلاً ما حدث في كلمة (اصطبر)، فهي ذات بنيتين: بنية عميقة وهي (اصْتبر)على وزن افتعل، وبنية سطحيّة هي (اصطبر)(٥)، ويمكن توضيح ذلك على النحو الآتي :

---

(١) المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر/١٣٣.

(٢) دراسة الصوت اللغوي/٣٢٤.

(٣) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس/ ١٨١.

(٤) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه/٢٢ وانظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس/١٨١-١٨٢.

(٥) المدخل إلى علم الأصوات /٤٧-٤٨.

ṣabara >	>iṣtabara >	>iṣṭabara
الأصل الثلاثي	صوغه على وزن افتعل	التأثر بصوت الصاد المفخم
	بنية عميقة d.s	بنية سطحيّة s.s

حيث تجاور فيها صوتان متنافران في الصفة: أحدهما مفخم، وهو الصاد، والآخر مرقق، وهو التاء؛ لذا لجأت أعضاء النطق إلى الاختصار في المجهود المبذول أثناء النطق بالمتنافرين، فحوّلت التاء المرققة إلى نظيرها المفخم، وهو الطاء تأثّراً بالصاد المفخمة.

وقد وضع علماء الأصوات اصطلاحات لأنواع التأثر الناتجة عن ظاهرة المماثلة، فإنْ أثّر الصوت الأول في الثاني، فالتأثير(مُقْبِل) وإنْ كان العكس فهو (مُدْبِر)، وإن حدثت مماثلة تامة بينهما، فالتأثير كليّ، وإنْ كانت في بعض خصائص الصوت فهو (جزئي)، وفي هذه الحالات جميعها قد يكون الصوتان متصلين تماماً، بحيث لا فاصل بينهما من الصوامت أو الصوائت، وقد يكونان منفصلين بفاصل من الأصوات الصامتة أو الصائتة[١].

وكما تحدث المماثلة بين الصوامت، تحدث أيضاً بين الصوائت، وتحدث بين الصوامت والصوائت.

وكما تشيع هذه الظاهرة الصوتية في اللغة العربية الفصحى، تشيع أيضاً في كتب لحن العامة بشكل واضح.

وقد ظهر هذا الأثر مقسّماً على الأنواع الآتية:

- المماثلة المقبلة الكليّة المنفصلة.

- المماثلة المقبلة الجزئية المتصلة.

---

(١) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه /٢٢-٢٣.

- المماثلة المقبلة الجزئية المنفصلة.

- المماثلة المدبرة الكلية المتصلة.

- المماثلة المدبرة الكلية المنفصلة.

- المماثلة المدبرة الجزئية المتصلة.

- المماثلة المدبرة الجزئية المنفصلة.

وفيما يأتي تفصيل لهذه الأنواع:

١- المماثلة بين الصوامت

أ- المماثلة المقبلة الكلية المنفصلة:

وتحدث بأن يؤثر الصوت الأول في الثاني؛ فيتماثل الثاني مع الأول تماثلاً كلياً مع وجود فاصل بينهما، ومن أمثلتها في كتب لحن العامة:

-«خَمَّمْتُ» الشيءَ إذا قدّرته، بدل «خَمَّنْتُ»(١).

hammantu > hammamtu

حيث أثرت الميم في النون المتأخرة عنها، فجذبتها إلى مخرجها فصارت ميماً، على الرغم من وجود فاصل بين الصوتين، وهو صوت الفتحة، وبذلك ماثلت النون الميم في مخرجها تماثلاً مقبلاً كلياً منفصلاً.

- خشب«التَّشْتيخ» بدل «التشديخ» لما يلقى من الشجر(٢).

(>)attašdīhu > (>)attaštīhu

وقد أثّرت التاء المهموسة في الدال المجهورة المتأخرة عنها، فماثلت الدال التاء في صفة الهمس؛ فانقلبت إلى نظيرها المهموس وهو التاء، على الرغم من وجود ما يفصلهما عن بعضهما؛ فتماثلت بذلك معها تماثلاً مقبلاً كلياً منفصلاً، وربما اكتسبت الدال صفة الهمس من الشين؛ فتكون المماثلة في هذه الحالة مقبلة جزئية متصلة.

- لا «مَمْدوحة» من كذا بدل لا «مَنْدُوحة»(٣).

mandūhah > mamdūhah

البنية العميقة　　البنية السطحية

---

(١) لحن العامة/٢١١، وتثقيف اللسان/١١١.

(٢) تصحيح التصحيف/١٨٥، وفي لسان العرب (شدخ) ٢٨/٣: «الشدخ: الكسر في كل شيء رطب».

(٣) إصلاح المنطق /٣١١ وتصحيح التصحيف/٤٩٦، والمَنْدوحة تعني المتسع، لسان العرب (ندح) ٦١٣/٢.

حيث أثّرت الميم في النون المتأخرة عنها فجذبتها إلى مخرجها؛ فصارت ميماً على الرغم من وجود فاصل بين الصوتين، وهو صوت الفتحة، وبذلك ماثلت النون الميم في مخرجها تماثلاً مقبلاً كلياً منفصلاً.

ب- المماثلة المقبلة الجزئية المتصلة :

وفيها يؤثر الصوت الأول في بعض صفات الصوت الثاني، فيتماثل الصوت الثاني مع الأول تماثلاً جزئياً، دون أن يفصل بينهما فاصل، ومن أمثلتها في كتب لحن العامة ما يأتي:

- « الرُّسْتاق» بدل «الرُّسْداق» « والرُّزْداق»(١).

(>)arrusdāḳu > (>)arrustāḳu

حيث أثرت السين المهموسة في الدال المجهورة التي تتبعها مباشرةً، فقلبتها إلى نظيرها المهموس، وهو التاء، وعليه فما حدث فيها هو من قبيل المماثلة المقبلة الجزئية المتصلة. وهذه الكلمة فارسية معرّبة، تعني البيوت المجتمعة، وقد ذكرها اللحياني بالتاء والدال، وهي عنده بمعنى السواد(٢)، وهذا يدعم أن استخدامها بالتاء ليس مما يعد من لحن العامة.

-«كُسْتٌ» للعود الذي يُتَبَخَّرُ به، بدل «قُسْطٌ»و«كُسطٌ»(٣).

kusṭun > kustun

البنية السطحية العامية البنية العميقة

وما حدث هو أن السين المرققة أثرت في الطاء المفخمة التي تتبعها مباشرة فقلبتها

---

(١) إصلاح المنطق/٣٠٧ وتقويم اللسان/١١١، وورد في (تصحيح التصحيف/٢٨٤) أن الأصل هو: رَسْداق ورَزْداق، والرُّزْداق والرُّسْتاق السواد والقرى، تعريب رُوستا، معجم الألفاظ الفارسيّة المعرّبة/٧١.

(٢) لسان العرب (رستق ورسدق) ١٠/١١٦.

(٣) تصحيح التصحيف/٤٤١.

إلى نظيرها المرقق، وهو التاء، وبذلك ماثلت الطاء السين في صفة الترقيق تماثلاً مقبلاً جزئياً متصلاً، وقد حدثت تلك المماثلة بسبب صعوبة الانتقال من وضع التسفُّل (عند نطق السين) إلى وضع التصعّد (عند نطق الطاء)؛ فصار الانتقال من تسفّل إلى تسفّل عند حدوثها.

ج- المماثلة المقبلة الجزئية المنفصلة:

وتحدث بأن يؤثر الصوت الأول في بعض صفات الصوت الثاني، فيتماثل الصوت الثاني مع الأول تماثلاً جزئياً، على الرغم من وجود فاصل بينهما والأمثلة على هذا النوع من المماثلة كثيرة في كتب لحن العامة، منها:

- «حُكٌّ و حُكَّةٌ» لبعض الأوعية بدل «حُقٌّ وحُقَّةٌ»(١)

ḥukḳatun > ḥukkatun

البنية السطحية العامية البنية العميقة

حيث يُؤثّر صوت الحاء المرقق في صوت القاف المفخم الذي يتأخر عنه، فتتماثل القاف مع الحاء في صفة الترقيق تماثلاً مقبلاً جزئياً منفصلاً فتنقلب كافاً.

- «خَصٌّ» بدل «خَسٌّ»(٢).

ḫassun > ḫaṣṣun

حيث تماثلت السين المرققة مع الخاء المفخّمة تماثلاً مقبلاً جزئياً منفصلاً بوجود الفتحة(a)، فانقلبت إلى بعض صفاتها، فتحوّلت إلى صادٍ مفخمة وقد جُعِلَ الإبدالُ في هذه الكلمة - وفيما هو نحوها - من قبيل لحن العامة، وذلك لأن الأصل في حدوثه -كما يشترط اللغويون- أن يتقدم صوت السين على صوت الاستعلاء- وهو

---

(١) لحن العامة /٨٠-٨١ وتثقيف اللسان /١٠٩.

(٢) تثقيف اللسان/١٠٣.

هنا الخاء- ليتخلّص اللسان من الصعوبة الناجمة عن انتقاله من وضع الاستفال إلى وضع الاستعلاء، وهو هنا متأخر عنه؛ لهذا ليس من الصعب عليه أن ينتقل من وضع الاستعلاء إلى وضع الاستفال أي من الخاء الى السين(١) .

- بَرْدٌ«قارِص» بدل «قارس»(٢).

ḳārisun > ḳāriṡun

البنية السطحية البنية العميقة

حيث أثرت القاف التي تحوي بعض القيم التفخيمية في السين المرققة المتأخرة عنها، فتماثلت معها في صفة التفخيم تماثلاً مقبلاً جزئياً منفصلاً. وقد عُدَّ أيضاً هذا النطق (قارص) من لحن العامة؛ لأن صوت الاستعلاء متقدّم فيها على السين. وربّما أثرت الراء في السين.

-«مِهْراز» بدل «مِهْراس»(٣).

mihrāsun> mihrāzun

البنية العامية السطحية البنية الفصيحة العميقة

وقد أثرت الراء المجهورة في السين المهموسة على الرغمْ من وجود فاصل بينهما وهو صوت الفتحة الطويلة(ā)، فتماثلت السين مع الراء في صفة الجهر تماثلاً مقبلاً جزئياً منفصلاً، فانقلبت إلى نظيرها المجهور وهوالزاي.

- «هَجَزَ» يقلبي كذا وكذا، بدل «هَجَسَ»(٤).

---

(١) سهم الألحاظ في وهم الألفاظ/٤٦ وانظر: دروس في علم أصوات العربية /٧٣ ولحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة/٢٢٣ حيث اشترط اللغويون في إبدال السين صاداً وقوع غين أوخاء أوطاء أوقاف بعدها.

(٢) ما تلحن فيه العامة/١٢٢ وتقويم اللسان/١٥٠.

(٣) تثقيف اللسان/٩٧ ، وهي الآلة المَهْرُوس بها، لسان العرب: ٢٤٧/٦.

(٤) تصحيح التصحيف/٥٢٩ والهاجس هو الخاطر، لسان العرب (هجس) ٢٤٦/٦.

hağasa > hağaza

البنية السطحية البنْية العميقة

وحدث فيها ما حدث في الأمثلة السابقة، حيث أثّرت الجيم المجهورة (ğ) في السين المهموسة، على الرغم من وجود فاصل بينهما، وهو صوت الفتحة، فتماثلت السين مع الجيم في صفة الجهر تماثلاً مقبلاً جزئياً منفصلاً،فانقلبت إلى نظيرها المجهور وهو الزاي.

ومن الأمثلة على هذا النوع من المماثلة أيضاً قول العامة: حارِص(١)، وغُصْنَة للخصلة من الشعر(٢)، وقَرْبُوص السَّرج(٣)، وأخذته قَصْراً بمعنى: قَهْراً(٤)، ونَخَّاص لبائع الرقيق والدواب، و«نِقْرِص»(٥) . . . الخ بدل «حارس» و«غُسْنَة» و«قَرَبُوس» و«قسراً»، و«نَخَّاس» و«نِقْرِس».

د- المماثلة المدبرة الكلية المتصلة:

وفيها يؤثر الصوت الثاني في الأول، فينقلب الصوت الأول إلى جميع خصائص الصوت الثاني، وليس هناك من فاصل بين الصوتين. ومن أمثلتها في كتب لحن العامة ما يأتي:

- «حُزَّة» السَّراويل بدل «حُجْزَة» السَّراويل(٦).

ḥuğzah > ḥuzzah

البنية السطحية البنية العميقة

---

(١) تقويم اللسان/٩٨.

(٢) المدخل إلى تقويم اللسان/١٢٥.

(٣) تثقيف اللسان/١٠١، وهو حِنْو السَّرْج أو رِجْلُه، لسان العرب (قربس) ١٧٢/٦.

(٤) إصلاح المنطق/١٨٤ وأدب الكاتب/٢٩٩ وتقويم اللسان/١٥٢

(٥) تثقيف اللسان/١٠٢، والنِّقْرِس داء معروف يأخذ في المفاصل، لسان العرب (نقرس) ٢٤٠/٦.

(٦) تثقيف اللسان/١٢٩ والحُجْزَة: موضع شدّ الإزار، لسان العرب (حجز) ٣٣٢/٥.

حيث أثرت الزاي بالجيم التي تسبقها فجذبتها نحو مخرجها؛ فتماثلت الجيم مع الزاي في المخرج تماثلاً مدبراً كلياً متصلاً، إذْ ليس هناك من فاصل بين الصوتين، فانقلبت الجيم زاياً، فتشكلت بذلك البنية السطحيّة (ḥuzzah).

وقد ذكر ابن هشام اللَّخْمي أن ابن الأعرابي حكى حُزَّة، كما تنطق بها العامة، وذكر أنها لغة(١)، وهذا يعني أنها ليست من لحن العامة، وإنّما هي لغة.

- «قُبٌّ» لوعاء جُرْدانِ الفَرَسِ بدل «قُنْبٌ»(٢).

ḳunbun > ḳubbun

البنية السطحية العامية البنية العميقة الفصيحة

وفيها أثَّرت الباء في النون فجذبتها نحو مخرجها، فتماثلت بذلك النون مع الباء في المخرج تماثلاً مدبراً كلياً متصلاً؛ لعدم وجود فاصل بين الصوتين، فانقلبت النون باءً، فتشكلت البنية السطحية العاميّة (ḳubbun).

هـ- المماثلة المدبرة الكليّة المنفصلة:

وتحدث بأن يؤثّر الصوت الثاني في الأول؛ فيتماثل الصوت الأول مع الثاني تماثلاً كلياً، مع وجود فاصل بينهما، ومن أمثلتها في كتب لحن العامة ما يأتي:

« جُنَّنار» بدل «جُلَّنَار»(٣) .

ǧullanār > ǧunnanār

البنية السطحية (بعد المماثلة) البنية العميقة (قبل المماثلة)

وقد أثَّرت النون في اللام التي تسبقها، فجذبتها نحو مخرجها، فتماثلت بذلك

---

(١) المدخل إلى تقويم اللسان /٦٠.

(٢) تصحيح التصحيف/٤١٥.

(٣) تصحيح التصحيف/٢١٧، وهو زهر الرمان، مركب من كل أي ورد، ومن نار أي رمان، معجم الألفاظ الفارسيّة المعرّبة/٤٣.

اللام مع النون في المخرج تماثلاً مدبراً كلياً منفصلاً مع وجود فاصل بينهما وهو صوت الفتحة القصيرة؛ فانقلبت اللام نوناً وصارت البنية السطحية للكلمة هي (ğunnanār).

و- المماثلة المدبرة الجزئية المتصلة :

وفيها يؤثّر الصوت الثاني في بعض صفات الصوت الأول؛ فيتماثل الصوت الأول مع الثاني تماثلاً جزئياً، دون أن يفصل بينهما فاصل، ومن أمثلتها في كتب لحن العامة ما يأتي:

-« اشْتَرَّتْ» الماشية بدل «اجْتَرَّتْ»(١)

(>)iğtarrat > (>)ištarrat

البنية السطحية البنية العميقة

وقد يُفَسَّرُ تطوّر هذه الكلمة على نحوين: الأول وهو أن صوت الجيم تعرّض للانحلال إلى أحد مركبيه، وهو الشين وهذا ما سيأتي الحديث عنه في فصل «السهولة والتيسير» تحت عوان "انحلال الصوت المركب". والثاني هو أن المتكلم وجد صعوبةً في الانتقال أثناء نطقه من المجهور إلى المهموس، فلجأ إلى المماثلة بصورة غير إراديّة، فأثرت التاء المهموسة في الجيم المجهورة التي تسبقها، فانقلبت الجيم إلى نظيرها المهموس وهو الشين، فتماثلت الجيم مع التاء تماثلاً مدبراً جزئياً متصلاً لعدم وجود فاصل بين الصوتين.

- «مُشْتَهِدٌ» بدل «مُجْتَهِدٌ»(٢).

muğtahidun > muštahidun

البنية السطحية العامية البنية العميقة الفصيحة

---

(١) تثقيف اللسان/٩٢.

(٢) السابق/٩٣.

ويقال فيها ما قيل في «اشْتَرَّتْ».

- أمر «مُزْجَل» بدل «مُسْجَل» بمعنى مُطْلَق(١):

musǧal > muzǧal

البنية العميقة   البنية السطحية (بعد المماثلة)

حيث أثّرت الجيم المجهورة في السين المهموسة التي تسبقها فقلبتها إلى نظيرها المجهور وهو الزاي، وبذلك تماثلت السين المهموسةُ مع الجيم المجهورة تماثلاً مدبراً جزئياً متصلاً لعدم وجود فاصل بينهما. وقد لجأ الناطق إلى هذه المماثلة لما وجد من صعوبة أثناء نطقه لصوتين متجاورين يحملان صفتين متناقضتين في كلمة واحدة.

ز- المماثلة المدبرة الجزئية المنفصلة:

وتحدث بأن يؤثّر الصوت الثاني في بعض صفات الصوت الأول؛ فيتماثل الصوت الأول مع الثاني، مع وجود فاصل بينهما، تماثلاً جزئياً منفصلاً ومن أمثلتها في كتب لحن العامة ما يأتي:

- «طَخْتٌ» للذي تُجْعَلُ فيه الثياب بدل «تَخْتٌ»(٢)

taḫt > ṭaḫt

البنية العميقة   البنية السطحية

أثّرت الخاء ذات القيمة التفخيميّة في التاء المرقّقة التي تسبقها، فقلبتها إلى نظيرها المفخم، وهو الطاء، فتماثلت بذلك التاء مع الخاء في صفة التفخيم على الرغم من وجود فاصل بينهما، فشكّلتْ البنية السطحيّة للكلمة (ṭaḫt).

---

(١) تصحيح التصحيف/٤٧٧.

(٢) لحن العامة/٢٢٠ والمدخل إلى تقويم اللسان/١٥٩.

- «تَسْتِيجَة» بدل «دَسْتِيجَة»(١).

dastīǧah > tastīǧah

أثّرت السين المهموسة في الدال المجهورة التي تسبقها، فقلبتها إلى نظيرها المهموس وهو التاء، وتماثلت بذلك الدال مع السين في صفة الهمس -على الرغم من وجود فاصل بينهما -تماثلاً مدبراً جزئياً منفصلاً.

- زَرْداب بدل سِرْداب(٢).

sirdāb > sardāb > zardāb

وقد تعرّضت الكلمة لمماثلة بين الحركات، فتماثلت كسرة السين مع الفتحة الطويلة التي بعد الدال تماثلاً مدبراً كلياً منفصلاً؛ فانقلبت فتحة فصارت (sardāb)، ثم تعرّضت مرة أخرى لمماثلة بين الصوامت، فتماثلت السين المهموسة مع الراء المجهورة تماثلاً مدبراً جزئياً منفصلاً بوجود فاصل بينهما، وهو صوت الفتحة، فانقلبت السين إلى نظيرها المجهور وهو الزاي فصارت (zardāb).

- «صِفْر» للدفتر بدل «سِفْر»(٣)

sifrun > ṡifrun

البنية السطحية(بعد المماثلة) البنية العميقة

فأثّرت الراء ذات القيمية التفخيمية في السين المرققة تأثيراً مدبراً جزئياً منفصلاً بوجود ما يفصلهما، فماثلت السين الراء في صفة التفخيم؛ فانقلبت صاداً مفخمة فتكوّنت البنية السطحية (ṡifrun).

---

(١) تصحيح التصحيف/١٨٤، وهي آنية، تحوّل باليد مشتق من دَسْتي، معجم الألفاظ الفارسية المعرّبة/٦٣..

(٢) تثقيف اللسان/٩٨ .

(٣) المدخل إلى تقويم اللسان/ ١٦٣.

- هذه «صَميراء» لمنزل معروف بطريق مكة، بدل «سَميراء»(١).

samīrā>u > ṡamīrā>u

البنية العامّية   البنية الفصيحة

وحدث فيها ما حدث في سابقتها، إذْ تعرّضت لتماثل مدبرٍ جزئي منفصل فتشكلت البنية السطحية العامية (samīrā>u).

(١) تقويم اللسان/١٢١

٢- المماثلة بين الصوائت

ورد في كتب لحن العامة أمثلة كثيرة على هذه الظاهرة الصوتية، تعرّضت لنوعي المماثلة: المقبلة والمدبرة، ولكنَّ الاتجاه العام في هذه الظاهرة هو سيادة التأثر المدبر على التأثر المقبل، وهو تأثر لا بدَّ أن يكون منفصلاً؛ لأن بين الحركتين صوتاً صامتاً فارقاً(١).

أ- المماثلة المقبلة الكلية المنفصلة:

١- تأثر الكسرة بالفتحة:

ومن الأمثلة الواردة في كتب لحن العامة، والتي تظهر تأثر الكسرة بالفتحة ما يأتي:

- «شَمَمْتُ» رائحة كذا بدل «شَمِمْتُ»(٢).

šamimtu > šamamtu

حيث إن الكسرة قد تتأثر بالفتحة، والفتحة قد تتأثر بالكسرة؛ لأن الانتقال من الكسر إلى الفتح والعكس يتطلب مجهوداً عضلياً أكبر مما لو انسجمت أصوات اللين بعضها مع بعض(٣)؛ لهذا أثرت فتحة الشين في كسرة الميم تأثيراً مقبلاً كلياً؛ فقلبتها إلى جميع خصائص الفتحة. وورد في كتب اللغة أنه يقال شَمِمْتُه وشَمَمْتُهُ(٤)، وهذا يعني أنها ليست من لحن العامة. وكذلك الأمر بالنسبة لقولهم: بَرَرْتُ(٥) وَحَذَقَ(٦) وقَسَسْتُ(٧) وغيرها.

---

(١) التطور النحوي/٦٢.

(٢) ما تلحن فيه العامة/١٠٦ وتقويم اللسان/١١١.

(٣) في اللهجات العربية/٦٧.

(٤) إصلاح المنطق/٢١١ ولسان العرب(شمم) ١٢/٣٢٥.

(٥) ما تلحن فيه العامة/١٠٧ وتقويم اللسان/٨١، ولسان العرب (برر) ٤/٥٣.

(٦) إصلاح المنطق/٢٠٧ وتصحيح التصحيف/٢٢٣ ولسان العرب(حذق) ١٠/٤٠.

(٧) إصلاح المنطق/٢١١ وتقويم اللسان/١٦٣.

- سَفَفْتُ بدل سَفِفْتُ(١).

safiftu > safaftu

وفيها تماثلت كسرة الفاء مع فتحة السين تماثلاً مقبلاً كلياً، فصارت فتحة مثلها وكذلك الأمر في قول العامة: «قَضَمْتُ وقَمَحْتُ ولَثَمْتُ(٢) وَوَدَدْتُ(٣)... الخ والأصل فيها كسر عين الكلمة.

- «مَعْدَن» بدل «مَعْدِن»(٤).

ma<dinun > ma<danun

وقد أثّرت فتحة الميم في كسرة الدال تأثيراً مقبلاً كلياً، فقلبتها فتحة.

- «نَرْجَسٌ» بدل «نَرْجِسٌ»(٥).

narǧisun > narǧasun

وفيها أيضاً تماثلت كسرة الجيم مع فتحة النون، تماثلاً مقبلاً كلياً فصارت الكسرة فتحة.

- «وَتَدٌ» بدل «وَتِدٌ»(٦)

watidun > watadun

حيث تأثّرت كسرة التاء بفتحة الواو تأثّراً مقبلاً كلياً، فانقلبت إلى جميع خصائصها فصارتْ (watadun).

---

(١) إصلاح المنطق/٢٠٨ وتقويم اللسان/١١٩.

(٢) إصلاح المنطق/٢٠٨ وتقويم اللسان/١٥٢، ١٥٩.

(٣) ما تلحن فيه العامة/١٠٦ وإصلاح المنطق/٢٠٨ وتقويم اللسان/١٨٢.

(٤) ما تلحن فيه العامة/١٣٣ وتقويم اللسان/١٦٣.

(٥) تصحيح التصحيف/٥١٤.

(٦) تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة/٤٧ وتقويم اللسان/١٨٢.

٢- تأثّر الفتحة بالكسرة:

ومن الأمثلة التي تظهر ذلك في كتب لحن العامةما يأتي:

- «دِمِشْق» بدل «دِمَشْق»(١).

dimašku > dimišku

وفيها تماثلت فتحة الميم مع كسرة الدال تماثلاً مقبلاً كلياً؛ فانقلبت كسرة.

- «مِكْنِسَةٌ» بدل «مِكْنَسَةٌ»(٢).

miknasatun > miknisatun

فتماثلت أيضاً نواة المقطع الثاني (a) مع نواة المقطع الأول (i) تماثلاً مقبلاً كلياً فصارت الفتحة كسرة.

- «مِنْجِلٌ» بدل «مِنْجَلٌ»(٣).

minǧalun > minǧilun

وفيها أيضاً تماثلت نواة المقطع الثاني (a) مع نواة المقطع الأول (i) تماثلاً مقبلاً كلياً.

٣- تأثّر الفتحة بالضمّة:

ومن أمثلة ذلك:

- «الخُنْفُسا» بدل «الخُنْفَساء»(٤).

---

(١) أدب الكاتب/٢٠١ وقد وردَ في كتاب المدخل إلى تقويم اللسان/١٧١ أن العامة تقول: دَمَشْق بفتح الدال.

(٢) تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة/٤٩ وتصحيح التصحيف/٤٩٣.

(٣) تصحيح التصحيف/٤٩٧.

(٤) تثقيف اللسان/٢٢٠.

(>)alh̲unfasā>u > (>)alh̲unfusā

وفيها تماثلت فتحة الفاء مع ضَمَّة الخاء تماثلاً مقبلاً كلياً، فانقلبت إلى جميع خصائص الضمّة، وتعرّضت أيضاً لقانون السهولة والتيسير فسقطت الهمزة من آخرها دون أن يعوَّض مكانها.

- «دُلُف» بدل «دُلَف»(١)

dulafun > dulufun

حيث تماثلت فتحة اللام مع ضَمَّة الدال فانقلبت ضمّة.

- «العُمُق» لمنزل بطريق مكة بدل «العُمَق»(٢)

(>)al<umaḳu > (>)al<umuḳu

وفيها أيضاً تماثلت فتحة الميم مع ضمّة العين، فانقلبت الفتحة إلى جميع خصائص الضمّة.

- «الفُسْتُق» بدل «الفُسْتَق»(٣)

(>)alfustaḳu > (>)alfustuḳu

وحدث فيها ما حدث في الأمثلة السابقة. ولكنْ عند الرجوع إلى لسان العرب وُجِدَ أن الفصيحة هي «فُسْتُق»، وهي فارسيّة معرّبة(٤).

---

(١) تقويم اللسان/١٤.

(٢) السابق/١٣٨.

(٣) تصحيح التصحيف/٤٠٥.

(٤) لسان العرب(فستق) ١٠/٣٠٨.

ب- المماثلة المدبرة الكلية المنفصلة:

١- تأثّر الكسرة بالفتحة:

ومن الأمثلة على ذلك في كتب لحن العامة:

- «سَرْداب» بدل «سِرْداب»(١)

sirdābun > sardābun

فتماثلت كسرة السين مع فتحة الدال تماثلاً مدبراً كلياً؛ فانقلبت إلى جميع خصائص الفتحة وصارت (sardābun).

- «فَلَسْطِينُ» بدل «فِلَسْطِين»(٢)

filasṭīnu > falasṭīnu

وفيها أيضاً تماثلت كسرة الفاء مع فتحة اللام فانقلبت فتحة؛ فتشكلت بذلك البنية السطحيّة (falasṭīnu).

- «فَيَلَة» بدل «فِيَلَة»(٣)

fiyalatun > fayalatun

البنية السطحية البنية العميقة

فتماثلت نواة المقطع الأول (i) مع نواة المقطع الثاني (a) تماثلاً مدبراً كلياً فتشكلت البنية السطحية العاميّة.

ومن الأمثلة التي تُظهِرُ هذا التأثّر أيضاً قولهم: «بَدْلَة»(٤) و«بَطَانَة»(٥) و «حَشْوَة»

---

(١) أدب الكاتب/٣٠٢ وورد في كتاب المدخل إلى تقويم اللسان/١٤٥ أن العامة تقول: زِرْداب.

(٢) المدخل إلى تقويم اللسان /٢١١.

(٣) تثقيف اللسان/٢٢٨.

(٤) لحن العامة/٢٠٥ وتثقيف اللسان/٦٤.

(٥) ما تلحن فيه العامة/١٠٢ وتثقيف اللسان/١٥٤.

بَطْـــنه»(١) و «مَخَدَّة»(٢) و «خَيَاطة» و «دَيكَة» و «مَرْوَحَة» لما يُتَرَوَّح به، و «سَكَّة» للحـديدة التي يفلح بهـا الأرض(٣)، و «صَحَـاب»(٤) و «قَـوَام» أمـرك، و «كَـفَّـة» الميزان(٥) و «الكَهَانة»(٦) و «نَقْمَات»(٧). . . الخ بدل: بِذلَة وبِطَانَة وحِشْوَة ومِخَدَّة وخِياطة ودِيكَة ومِرْوَحَة وسِكَّة، وصِحَاب وقِوَام، وكِفَّة والكِهَانة ونِقْمَات.

٢- تأثُّر الفتحة بالكسرة:

وردت أيضاً في كتب لحن العامة أمثلة، ظهر فيها تأثّر الفتحة بالكسرة منها:

- «المِبِيتُ» بدل «المَبِيت»(٨)

(>)almabītu > (>)almibītu

حيث تماثلت الفتحة مع الكسرة الطويلة (ī) تماثلاً مدبراً كلياً، فصارت بذلك كسرة، والكسرة الطويلة (ī) نواة المقطع المنبور في الكلمة، والمقطع المنبور «يمدّ نفوذه إلى المقاطع المجاورة له فيشد حركاتها إليه ويجعلها مماثلة لحركته»(٩) قال بروكـلمان: «وفي كل اللهجات الحديثة، وكذلك في النطق الحالي للعربية القديمة أيضاً، تتجه كل حركات الكلمة الواحدة في النغمة نحو حركة المقطع المنبور نبراً رئيسياً»(١٠).

---

(١) تصحيح التصحيف/٢٢٧.
(٢) لحن العامة/١٥٨.
(٣) تصحيح التصحيف/٢٥٢، ٢٦٧، ٤١٠، ٤٧٤، ٣١٤.
(٤) لحن العامة/١٥٥.
(٥) تقويم اللسان/ ١٥٢، ١٥٥.
(٦) المدخل إلى تقويم اللسان/ ١٣٠.
(٧) تثقيف اللسان/٢٢٨.
(٨) تصحيح التصحيف/٤٦٢ وورد في كتاب المدخل إلي تقويم اللسان/١٣٣، أنهم يقولون: مُبِيت.
(٩) أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية /١٦٨.
(١٠) فقه اللغات السامية/٦٤.

- «مِجْلِسٌ» بدل «مَجْلِسٌ»(١).

maǧlisun > miǧlisun

وفيها تماثلت فتحة الميم مع كسرة اللام -أي مع نواة المقطع الثاني المنبور (li) -تماثلاً مدبراً كلياً منفصلاً، فانقلبت إلى جميع خصائصها فصارت كسرة.

- «طِحِينٌ» بدل «طَحِين»(٢).

ṭaḥīnun > ṭiḥīnun

وحدث فيها ما حدث في الكلمتين السابقتين، فقد أثّرت نواة المقطع الثاني المنبور (ī) في نواة المقطع الأول (a)، تأثيراً مدبراً كلياً منفصلاً فقلبتها إلى جميع خصائصها، فتشكلت البنية السطحيّة العاميّة (ṭiḥīnun).

ومثلها أيضاً «شِعير» و «بِعيد»(٣) وبذلك تتحوّل صيغة «فَعيل» إلى «فِعيل». وقد أجاز بَعضُ اللغويين ذلك حين تكون عين الكلمة صوتاً من أصوات الحلق، فقيّدوا بذلك هذا التحوّل بما عينه من أصوات الحلق فقط، وجعلوه ظاهرة صوتية عامّة عند العرب(٤).

ويُقال بأن ذلك لغة لبني تميم(٥)، بينما يـــرى لغويون آخرون أن هذا التحول (فَعيل > فِعيل) ليس مقصوراً على ما كان وسطه حلقياً، «فزعم الليث أن من العرب قوماً، يقولون في كل ما كان على فَعيل: فِعيل، بكسر أوله، وإن لم يكن فيه حرف حلق، فيقولون كِثير، وكِبير، وجِليل وكِريم»(٦) وصِغير وما أشبه ذلك(٧).

---

(١) تصحيح التصحيف/٤٦٦.

(٢) السابق/٣٦٢.

(٣) تصحيح التصحيف/٣٣٧.

(٤) انظر: المزهر٢/٩٠.

(٥) تثقيف اللسان/٢٧٥.

(٦) السابق /٢٧٥-٢٧٦.

(٧) المدخل إلى تقويم اللسان/ ٧٤، وقد أثبت فوزي الشايب في كتابه (أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية/١٧٣-١٧٤) مدى صحة الرأي الذي يعمم هذا التحول بغض النظر عن طبيعة وسطه، وانظر: علماء الأصوات العرب سبقوا اللغويين المحدثين في ابتكار نظرية التماثل/٥٥.

وعند التدقيق في الكلام السابق يــلاحظ أن هذا التحــول من الفتح إلى الكسر في صيغة (فَعيل) ليس من باب لحن العامة، فالفتح والكسر لغتان ولكن إحداهما أفصح من الأخرى(١).

٣- تأثّر الفتحة بالضمّة:

وقد تتأثر الفتحة بالضمّة، ومن الأمثلة على ذلك في كتب لحن العامة:

- «بُخُور» بدل «بَخُور»(٢)

bahūrun > buhūrun

حيث أثّرت نواة المقطع الثاني المنبور (ū) في نواة المقطع الأول (a) تأثيراً مدبراً كلياً، فقلبتها إلى جميع خصائصها، فتشكلتْ بذلك البنية السطحية (buhūrun).

وما حدث في «بَخُور» حدث أيضاً فيما هو نحوها على وزن «فَعُول» من مثل قولهم: «سُحُور»(٣) و «سُمُوم» للريح الحارّة(٤)، وصُعُود(٥)، وفُطُور و «مُجُــوس» و «نُقُوع»(٦) و «وُضُوء» و «وُقُود»(٧)، مع أنّ الأصل فيها فتح الفاء.

- «جُلُوليّ» بدل «جَلُوليّ» نسبة إلى جَلُولاء(٨).

ǧalūliyyun > ǧulūliyyun

(١) المدخل إلى تقويم اللسان/٧٤.

(٢) تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة/٥٠ وتصحيح التصحيف/١٥٠.

(٣) ما تلحن فيه العامة/١٠٤ وتقويم اللسان/١١٨.

(٤) تصحيح التصحيف/٣١٩.

(٥) ما تلحن فيه العامة/١٠٤.

(٦) تقويم اللسان/١٤٤، ١٦٣، ١٨٠، والنَّقُوع: ما يُنْقَعُ في الماء من الليل لدواءٍ أو نبيذٍ ويُشْرَبُ نهاراً، لسان العرب (نقع) ٨/٣٦٠.

(٧) تصحيح التصحيف/٥٤٣، ٥٤٥.

(٨) تثقيف اللسان/٢٢٢.

. فقد تأثّرت فتحة الجيم بضمّة اللام تأثراً مدبراً كلياً، فانقلبت إلى جميع خصائص الضمّة.

وما حدث فيها حدث أيضاً فيما هو نحوها كقولهم «سُلُوقيّ» بدل «سَلُوقيّ» نسبة إلى سَلُوق في اليمن(١).

- «فُقُّوس» بدل «فَقُّوص»(٢).

fakkūṣun > fukkūsun

البنية السطحية البنية العميقة

وفيها أيضاً تماثلت نواة المقطع الأول (a) مع نواة المقطع الثاني المنبور (ū) تماثلاً مدبراً كلياً، فصارت بذلك ضمّة، وتعرّضت الكلمةُ أيضاً لترقيق صوت الصاد المفخّم، فصار سيناً، فتشكلت البنية السطحية (fukkūsun) .

كذلك الأمر فيما هو على وزن «فُعُّول» ، المتطوّرة عن «فَعُّول» من مثل قولهم: سُفُّود وسُمُّور وشُبُّوط وكُلُّوب بدل «سَفُّود وسَمُّور وشَبُّوط وكَلُّوب إلاّ سُبُّوح وقُدُّوس فإن العرب تكلمتْ بهما بالضمّ والفتح»(٣).

- «قُرُنْفُل» بدل «قَرَنْفُل»(٤).

karanfulun > kurunfulun

وفيها مَدَّ المقطع المنبور الثالث (fu) نُفوذَه إلى المقطعين المتقدمين عليه، فشدّ حركتيهما إليه، وجعلهما مماثلتين لحركته (الضمّة) فتحوّلت بذلك الفتحة فيهما إلى ضمّة، فتشكلت البنية السطحية (kurunfulun).

---

(١) أدب الكاتب/٣٠٤.

(٢) تثقيف اللسان/٩٩ وتصحيح التصحيف/٤٠٧.

(٣) ما تلحن فيه العامة/١١٢-١١٣.

(٤) تصحيح التصحيف /٤٢٢.

٤- تأثّر الضمّة بالفتحة:

وقد تتأثّر الضمّة بالفتحة، ومن الأمثلة على ذلك في كتب لحن العامة:

- «خَيْزَرَان» بدل «خَيْزُرَان»(١).

ẖayzurānun > ẖayzarānun

البنية السطحية . البنية العميقة

وقد تشكّلتْ البنية السطحية؛ بسببِ تأثّر نواة المقطع الثاني (u) بنواة المقطع الثالث المنبور (ā) ، فتماثلت معها تماثلاً مدبراً كلياً، فصارت الضمّة فتحة.

- «دَوَّامة» بدل «دُوَّامة»(٢).

duwwāmatun > dawwāmatun

فتماثلت الضمّة في المقطع الأول مع الفتحة في المقطع الثاني، تماثلاً مدبراً كلياً منفصلاً، فانقلبت إلى جميع خصائص الفتحة؛ فتشكلت بذلك البنية السطحية العامية.

- بالدّابة «قَوَامٌ» بدل «قُوَام»(٣).

ḳuwāmun > ḳawāmun

وفيها أيضاً تأثرت نواة المقطع الأول: (u) بنواة المقطع الثاني المنبور (ā) فتماثلت معها تماثلاً مدبراً كلياً، فانقلبت الضمّة إلى جميع خصائص الفتحة، فتشكّلتْ بذلك البنية السطحية (ḳawāmun) ومن الأمثلة أيضاً على هذا التأثّر: «البَهَار» للحِمْل(٤) و «الجَدَرِيّ»(٥) و «جُلْجَلان» و «خَصْلَة» و «دَرَّاج»(٦)، وفي لسانه

---

(١) لحن العامة/٧١.

(٢) تصحيح التصحيف/٢٦٥ وهي فَلْكة يرميها الصبي بخيط فَتَدَوَّم على الأرض أي تدور.

(٣) المدخل إلى تقويم اللسان/١٨٦ وهو داءٌ يأخذ الشاة في قوائمها تقوم منه، لسان العرب (قوم) ٥٠١/١٢.

(٤) تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة/٥٢ وتقويم اللسان/٨٠.

(٥) ما تلحن فيه العامة/١٣٧.

(٦) تصحيح التصحيف/٢١٤، ٢٤٦، ٢٥٨.

«رَثَّة»(١) و «سَيْكَران» لنبت تدوم خُضْرَته في القيظ(٢)، و «مَغْزَل»(٣) و «لَغَــوِيّ»(٤) و «مَعَاذ»(٥) و «مَعَاوية»(٦)... الخ، والأصل فيها: «بُهَار» و (الجُدَرِيّ) وجُلْجُلان وخُصْلَة، ودُرَّاج ورُثَّة وسَيْكُران و «مُغْزَل بضمّ الميم وبكسرها» و لُغَوِيّ ومُعَاذ ومُعَاوية.

٥- تأثّر الكسرة بالضمّة:

والأمثلة على هذا التأثّر في كتب لحن العامة قليلة، ومنها قولهم:

«السِّنُون» بدل «السُّنون»(٧)

(>)assinūnu > (>)assunūnu

حيثُ أثّر المقطع المنبور (nū́) في المقطع الذي قبله (si) ، فجذب نواته نحوه فتماثلت مع الضمّة تماثلاً مدبراً كلياً منفصلاً فصار المقطع (su).

(١) تثقيف اللسان/٥٤.

(٢) لحن العامة/١١٦.

(٣) تقويم اللسان/١٦٣.

(٤) تثقيف اللسان/٢٢٢.

(٥) لحن العامة/٢٣١.

(٦) تصحيح التصحيف/٤٨٦.

(٧) السابق/٣٢٠.

٣- المماثلة بين الصوائت والصوامت

وقد تؤثّر الصوامت فيما يجاورها من صوائت، يقول بروكلمان: «تتأثر الحركات الثلاث الأصلية: الفتحة والكسرة والضمّة، في كل لغة من اللغات السامية، وعلى الأخص في العربية بما حولها من الأصوات الصامتة، وكذلك كان الحال في السّاميّة القديمة»(١).

ومن الأمثلة على هذه الظاهرة، ما يعرف بقانون الأصوات الحلقية حيث تُؤْثِرُ تلك الأصوات الحركة التي تناسب خصائصها النطقية، وهي الفتحة، وقد أشار سيبويه إلى هذه الظاهرة بقوله: «وإنما فتحوا هذه الحروف لأنها سَفُلَتْ في الحلق، فكرهوا أن يتناولوا حركة ما قبلها بحركة ما ارتفع من الحروف، فجعلوا حركتها من الحرف الذي في حيّزها، وهو الألف، وإنما الحركات من الألف والواو والياء»(٢) ويذكر بيرجشتراسر أنّ السبب في الميل إلى الفتحة، هو «أن اللسان في نطق الحروف الحلقية، يُجْذَبُ إلى الوراء، مع بسطٍ وتسطيحٍ له، وهذا هو موضعه في نطق الفتحة»(٣).

ويرى عبده الراجحي أن كل أصوات الحلق، بعد صدورها من مخرجها الحلقي تحتاج إلى اتساع في مجراها في الفم، فليس هناك ما يعوق هذا المجرى في زوايا الفم ولهذا ناسبها من أصوات اللين أكثرها اتساعاً وهي الفتحة (٤). وقد عُرِف عن بعض القبائل العربية أنها كانت تفتحُ الأصوات الحلقية، أو تميل إلى ذلك(٥).

ومن أمثلة هذه الظاهرة في القراءات القرآنية، قراءة الحسن « تَنْحَتون» بفتح

---

(١) فقه اللغات السامية/٥٣.

(٢) الكتاب: ١٠١/٤.

(٣) التطوّر النحوي/٦٣.

(٤) أثر القوانين الصوتية /٢٨٨-٢٨٩ نقلاً عن كتاب «اللهجات العربية في القراءات القرآنية» لعبده الراجحي/١١٣

(٥) تفسير البحر المحيط: ٢٤٦/٢-٢٤٧.

الحاء(١) في قوله تعالى ﴿وتَنْحِتُونَ الجِبالَ بيوتاً﴾(٢).

ومن أمثلتها في كتب لحن العامة:

- «حَرْز» للمِـقْرعة التي يمسكها الجند بأيديهم لضرب الفرس، بدل «حُرْز»(٣).

ḥurzun > ḥarzun

حيث أثّر صوت الحاء الحلقي في الضمّة التي تليه مباشرةً فقلبها فتحة؛ لإيثاره الفتح الذي يناسبه.

- «حَطّي» في التهجي، بدل «حُطّي»(٤).

ḥuṭṭī > ḥaṭṭī

وأثّرت الحاء أيضاً في حركتها، فجعلتها فتحةً تناسبها في النطق.

- «خَرْنَق» لولد الأرنب، بدل «خِرْنِق»(٥).

ḫirnikun	>	ḫarnikun	>	ḫarnakun
الأصل		تأثير الصوت الحلقي		مماثلة الحركات
(البنية العميقة)		فيما بعده		(البنية السطحيّة)

حيثُ أثّرت الخاء الحلقية فيما بعدها، فآثرت له الفتح، فصارت الكلمة (ḫarnikun)، ثم تماثلت كسرة النون مع فتحة الخاء تماثلاً مقبلاً كلياً فصارت (ḫarnakun)، وهي البنية السطحيّة التي نطقتها العامّة.

---

(١) تفسير البحر المحيط ٣٢٩/٤ وانظر: المحتسب: ٥/٢.

(٢) الأعراف: ٧٤.

(٣) تصحيح التصحيف /٢٢٤.

(٤) السابق / ٢٢٨.

(٥) تصحيح التصحيف/٢٤٢.

- «عَتْنُون» بدل «عُثْنُون»، لشُعيراتٍ طوال تحت حنك البعير(١).

<uṯnūnun > <aṯnūnun > <atnūnun

قانون السهولة والتيسير   تأثير الصوت الحلقي فيما بعده   الأصل

حيث أثّرت العين الحلقية في الضمّة التي تليها مباشرة، فجعلتها فتحة لتناسبها، ثمّ تَعرّضت لقانون السهولة والتيسير؛ فتحوّلت الثاء إلى تاء برجوع اللسان إلى الخلف فتكوّنت البنية السطحيّة (<atnūnun) .

- «غَمْدُ» السيف بدل «غِمْدُهُ»(٢).

ġimdun > ġamdun

فَيُؤثِر الصوت الحلقي (ġ) الفتح، فتتحوّل الكسرة التي تليه إلى فتحة لمناسبة هذا الصوت.

- «رَخْوٌ» بدل «رِخْوٌ»(٣).

riḫwun > raḫwun

حيث أثّر الصوت الحلقي (ḫ) فيما حوله من صوائت، فتحوّلت كسرة الراء إلى فتحة لمجاورتها له.

ويقول ابن سيدة: «الرِّخْوُ والرَّخْوُ والرُّخْوُ الهَشُّ من كل شيء. . . قال أبو منصور: كلام العرب الجيّد: الرِّخْو بكسر الراء؛ قاله الأصمعي والفرّاء، قالا: والرَّخْوُ بفتح الراء، مُوَلَّد»(٤) وربما كان في ذلك إشارة إلى أنهما لغتان، ولكن الكسر أفصح.

---

(١) تثقيف اللسان/٥٦ وتصحيح التصحيف/٣٧٣.

(٢) لحن العامة/١٥٣.

(٣) تصحيح التصحيف/٢٨٢.

(٤) لسان العرب (رخا) ١٤/٣١٤.

- «ضِفْدَع» بدل «ضِفْدِع»(١).

ḍifdi<un > ḍifda<un

حيث أثّرت العين في كسرة الدال، فقلبتها إلى ما يناسبها من الحركات، وهي الفتحة، والضِفْدِع والضَّفْدَع لغتان فصيحتان(٢)، وقال الجوهري: «وناس يقولون ضِفْدَع بفتح الدال، قال الخليل: ليس في الكلام فِعْلَل إلاّ أربعة أحرف: دِرْهَمْ وهِجْرَع وهِبْلَع وقِلْعَم»(٣).

(١) لحن العامة/١١٠ والمدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان /٢٣.

(٢) لسان العرب (ضفدع) ٨/٢٢٥.

(٣) الصحاح (ضفدع) ٣/١٢٥٠.

٢- النظام المقطعي للغة العربية

مفهوم المقطع:

اختلف العلماء في تحديد مفهوم المقطع (syllable)، مع أنه في علم الصوتيات أحد المفاهيم الجوهرية، ومردّ هذا الاختلاف هو أنهم قد اختاروا مسالك مختلفة لتعريفه: المادّية والنطقية والوظيفية، من ناحية؛ ولأن الجهاز المستعمل حتى الآن لم يمكنهم من تعيين حدود المقطع (boundaries of Syllable) على الأشكال البيانية أو الرسومات الشفيّة التي حصلوا عليها من ناحية أخرى(١).

فمن الناحية المادية (Physical) عـرّفه ماريوباي بأنه: «عبارة عن قمة إسماع Peak of Sonority غالباً ما تكون صوت علة، مضافاً إليها أصوات أخرى عادة - ولكن ليس حتماً- تسبق القمة، أو تلحقها، أو تسبقها وتلحقها»(٢).

ومن الناحية النطقيّة (Articulation) عرّفه جان كانتينو بأنه: «الفترة الفاصلة بين عمليتين من عمليات غلق جهاز التصويت، سواء أكان الغلق كاملاً أو جزئياً»(٣).

وأمّا من الناحية الوظيفية (Functional) فقد عرّفه دي سوسير de Saussure بأنه: «الوحدة الأساسية التي يؤدي الفوينم (Phoneme) وظيفة داخلها»(٤).

وأمّا في الدرسات العربية القديمة، فلم يكن مصطلح المقطع شائعاً أو معروفاً إلا عند قليل منهم، فقد عرّفه الفارابي بقوله: «وكل حرف غير مصوّت أتبعَ بمصوّت قصير قُرِنَ به، فإنه يُسمّى «المقطع القصير»، والعرب يسمونه الحرف المتحرك، من قبل أنهم يُسَمُّون المصوّتات القصيرةحركات، وكل حرف لم يُتّبع بمصوّت أصلاً، وهو يمكن أن

---

(١) الصوتيات/٩١ وانظر: دراسة الصوت اللغوي/٢٤١-٢٤٣ وعلم الصوتيات/٢٣٢-٢٣٣.

(٢) أسس علم اللغة/٩٦.

(٣) دروس في علم أصوات العربية/١٩١.

(٤) دراسة الصوت اللغوي/٢٤٣.

يقرن به، فإنهم يسمّونه «الحرف الساكن»، وكل حرف غير مصوّت قُرِنَ به مصوّت طويل، فإنا نسمّيه «المقطع الطويل»(١). أمّا النحاة العرب القدامى فلم يشيروا إلى المقطع الصوتي، ولا إلى أنواعه(٢).

والمقطع في الدراسات العربية الحديثة له تعريفات عديدة(٣)، منها تعريف عبدالرحمن أيوب، حيث عرّفه بأنه: "مجموعة من الأصوات التي تمثل قاعدتين تحصران بينهما قمة"٠(٤) وعرّفه الدكتور رمضان عبدالتواب بأنه: "كمية من الأصوات، تحتوي على حركة واحدة، ويمكن الابتداء بها والوقوف عليها"(٥) وعرّفه الدكتور غالب المطلبي بأنه: "مدّة الأداء المحصورة بين عمليتين من عمليات إغلاق جهاز النطق إغلاقاً كاملاً أو جزئياً، وبهذا يكون المقطع أصغر وحدة نطقية"(٦).

وعرّفه محمد الأنطاكي بأنه: "مجموعة من الأصوات المفردة تقع بين كل انفتاح من انفتاحات الفم أثناء الكلام، وبين الانفتاح الذي يليه"(٧) ٠

وعرّفه الدكتور يحيى عبابنة تعريفاً صوتياً فونتيكياً مجرداً بأنّه: "مجموعة من الأصوات التي تمثّل قواعدَ صوتية، مكوّنة من أصوات صامتة تتلوها قمة مكونة من أصوات العلة، واتُّفق على كون هذه القمة نواة عالية الإسماع"(٨) ٠ ولا يوجد تعريف فونولوجي عام؛ لأن كل لغة لها نظامها المقطعي المعين(٩).

---

(١) الموسيقى الكبير/١٠٧٥ وانظر: المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر/١٩٦.

(٢) السابق:١٩٧.

(٣) انظر: أثر الحركة المزدوجة في بنية الكلمة العربية/١-٢.

(٤) أصوات اللغة/١٣٩.

(٥) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي/١٠١.

(٦) في الأصوات اللغوية: دراسة في أصوات المد/٤٧ وانظر: المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية/١٥١.

(٧) الوجيز في فقه اللغة/٢٥٤.

(٨) أثر المقطع المرفوض في بنية الكلمة العربية/١٥١.

(٩) دراسة الصوت اللغوي/٢٤٢.

ومعظم التعريفات تؤيد ما ذهب إليه بعضهم، من أن «المقطع مجرد اصطلاح ليس له أي حقيقة موضوعيّة»(١).

- مكوّنات المقطع الصوتي:

تقسّم مكونات المقطع الصوتي إلى نوعين من أنواع الفونيمات(٢):

أ- الحركات (vowels) وكل حركة في المقطع تمثل نواته.

ب- الصوامت (consonants)، وهي حدود المقطع.

-خصائص مقطعيّة في اللغة العربية:

هناك مجموعة من خصائص النظام المقطعي العربي منها:

١- لا بدّ أن يبدأ المقطع العربي بصامت؛ وأن يثنى بحركة (صائت)، وهذا يعني أنه لا يمكن أن يبدأ بحركة مهما كان موقعه من الكلمة، ولا يمكن أيضاً أن يبدأ بصامتين متواليين (ص+ص)، إلاّ في حالة الوقف كما سيأتي توضيح ذلك. وما سبق يفسّر بعض الصيغ الفعليّة والاسميّة كفعل الأمر (اكتب) مثلاً، حيث يتوالى صامتان في بدء الكلمة-وهو ما لا يجوز- (ktub) ؛ لهذا تختلق حركة قبل الكاف(uktub) وعندها يبدأ المقطع بحركة، وهذا أيضاً لا يجوز، فتُجْتَلَب همزة الوصل للتخلص من هذا الوضع المرفوض، فتصبح(>uktub) (٣).

٢- لا تجمع العربية بين أربعة مقاطع ثنائية قصيرة مفتوحة في كلمة واحدة إلا في حالة نادرة(٤)، فتتابعها يؤدي إلى صعوبة النطق وجعله ثقيلاً على اللسان وهذا يؤدي بالتالي إلى إضعاف النظام المقطعي(٥).

---

(١) أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية/٩١.

(٢) مبادىء علم الأصوات/٦٠-٦١ والصوتيات/٩١ وأصوات اللغة/١٤٠-١٤١.

(٣) المنهج الصوتي للبنية العربية/٤١-٤٢ وانظر: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية/٩٦-١٠٤ وعلم الأصوات العام/١٤٣-١٤٦ والبنية المقطعية في اللغة العربية/٤٧.

(٤) أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية/١٢٩ وانظر:الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس/١١٣

(٥) المنهج الصوتي للبنية العربية /١٧٤.

وعلى الرغم من ذلك، فقد جمعت العربية بين أربعة مقاطع قصيرة في الجملة الكلمة، "وذلك في الأفعال الماضية الثلاثية التي تتصل بها كاف المخاطب والمخاطبة وذلك مثل : شكَرَكَ وشكَرَكِ، وهذه هي الحالة الوحيدة، التي تَجْمَعُ فيها العربية بين أربعة مقاطع قصيرة في كلمة واحدة"(١) •

٣- تكره العربية النطق بمقاطع مفتوحة متوالية؛ لهذا تميل إلى إقفال بعض هذه المقاطع المفتوحة، "وهو ما اتخذ أحياناً صورة (الإسكان)، وأحياناً صورة (الإدغام) في الكلمة الواحدة، وفي الكلمتين" (٢) •

- أشكال المقاطع في اللغة العربية :

يتميَّز النظام المقطعي للغة العربية بوجود خمسة مقاطع في أغلب الاجتهادات، وهذه المقاطع هي(٣):

١- المقطع القصير المفتوح (ص ح ق) :

يتكون هذا المقطع من صامت، يكون حدّ ابتداء، وحركة قصيرة، مثل :

بَ:(ba) وبُ:(bu) وبِ :(bi) ، وهو مقطع كثير في العربية، ولا حرج فيها من استعماله•

٢- المقطع الطويل المفتوح (ص ح ط):

وهو المقطع الذي يكون حدّ الابتداء فيه صوتاً صحيحاً، ونواته حركة طويلة مثل: با:(bā) وبو:(bū) وبي:(bī) وهو مستعمل في العربية، ولا حرج من استعماله أيضاً.

٣- المقطع القصير المغلق(ص ح ق ص) :

ويبدأ هذا المقطع بصامت ثم حركة قصيرة، ويغلق بصامت مثل : مَن (man)

---

(١) أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية/١٤٨.

(٢) المنهج الصوتي للبنية العربية /١٧٤ وانظر : الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس/١١٢.

(٣) أثر المقطع المرفوض في بنية الكلمة العربية/١٥٢-١٥٥ وانظر : المنهج الصوتي للبنية العربية/ ٣٨-٤١ وأثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية/٩٤-٩٦ والبنية المقطعية في اللغة العربية/٤٨-٥١ وأثر الحركة المزدوجة في بنية الكلمة العربية/٣-٦ .

وكُنْ : (kun) وجِن (ğin) ، وهو أيضاً من المكونات المقطعيّة التي يكثر استعمالها في العربية ·

٤- المقطع الطويل المغلق بصامت(ص ح ط ص) :

ولا يختلف من حيث القيم الصوتية عن المقطع السابق، إلاّ في النواة الصائتة، فحركته طويلة، وأما من حيث قبوله في اللغة، فالبون بينهما شاسع جداً، حيث لا يقبل هذا المقطع إلا في حالتين:

١- حالة الوقف عليه في آخر الكلام مثل : nār , bāb وما إلى ذلك ·

٢- إذا كان حدّ الإغلاق فيه حدّ ابتداء في المقطع الذي يليه (إذا كان الصوت الأخير فيه مشدداً) وذلك نحو: مادّة : māddatun ·

٥- المقطع القصير المغلق بصامتين (ص ح ق ص ص)

وهذا المقطع لا يجوز إلاّ في حالة الوقف عليه في آخر الكلام، فإذا وصلنا انتهى من الواقع الصوتي المنطوق، مثل: أخت >uḫt ·

وقد أثّر النظام المقطعي العربي في بنية الكلمة العربية العامية، التي سجلتها كتب لحن العامة، وظهر ذلك من خلال الظواهر الآتية:

١- إغلاق المقطع القصير .

٢- إشباع حركة المقطع المفتوح.

٣- تقصير حركة المقطع المفتوح.

٤- المقطع الطويل المغلق بصامت.

(١) إغلاق المقطع القصير (ص ح ق > ص ح ق ص)

يقصد بظاهرة إغلاق المقطع القصير في هذا المقام، تحويل المقطع القصير المفتوح إلى مقطع قصير مغلق، وقد ارتأت الدراسة تصنيف أغلب الكلمات المتعرّضة لهذه الظاهرة، والواردة في كتب لحن العامة إلى ثلاث مجموعات :

أ- كلمات ضعّف الصوت الثاني منها ٠

ب- كلمات ضعّف الصوت الأخير منها ٠

ج- كلمات تنتهي بياء بعدها هاء التأنيث، وضعّفت فيها تلك الياء ٠

أ- كلمات ضعّف الصوت الثاني منها :

ورد في كتب لحن العامة مجموعة كبيرة من الكلمات التي تعرّض ثانيها للتضعيف، ومن هذه الكلمات :

- " خُرَّافة " و " خُرَّافات " بدل "خُرَافة" و"خُرافَات" (١) ٠

h̠ u / rā / fa/ tun > h̠ur / rā / fa/ tun

حيث أغلق المقطع القصير (h̠u)، عن طريق تشديد الصامت الذي يكوّن حدّ ابتداء للمقطع الذي يليه (rā)، فصار مقطعاً قصيراً مغلقاً(h̠ur)٠

- " دُخَّان" بدل "دُخَان" (٢)

du / h̠ā / nun > duh̠ / h̠ā / nun

البنية العميقة ٠   البنية السطحية

وقد أغلق فيها أيضاً المقطع القصير (du) بتشديد الصامت الذي يبدأ به المقطع الذي يليه (h̠ā)، فصار مقطعاً قصيراً مغلقاً (duh̠)٠

---

(١) تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة/٥٣

(٢) ما تلحن فيه العامة/١٠٩ وإصلاح المنطق/١٨٢ وتقويم اللسان/١٠٤

وربما حدث هذا التطور بانتقال النبر(١) من المقطع الثاني (ṯā) إلى المقطع الأوّل(du)، فأدى هذا إلى زيادة في حجم المقطع المنقول إليه (du) وذلك بإغلاقه عن طريق تشديد الصامت الذي يبدأ به المقطع الذي يليه (٢) .

- " شُفَّةٌ" بدل "شَفَةٌ" (٣).

šа / fa / tun > šu / fa / tun > suf / fa / tun

حيث إنّ النبر يقع على المقطع الأوّل (šú)، وقد بقي مكانه وازداد وضوحاً بتثقيله، أي بإغلاقه(٤) عن طريق تشديد الفاء في المقطع الذي يليه فصار (šuf) .

- " القَدُّوم" للفأس، بدل "القَدُوم" (٥) .

ḳa / dū / mun > ḳad / dū / mun

فأغلق المقطع القصير (ḳa) بتضعيف الدال، فصار (ḳad)، وربما حدث هذا التطوّر، بانتقال النبر من المقطع الثاني (dū) إلى المقطع الأوّل(ḳá).

- "لَثَّة" بدل "لِثَة" (٦) .

li / ṯa / tun > liṯ / ṯa / tun > laṯ / ṯa / tun

---

(١) النبر: «نشاط فجائي يعتري أعضاء النطق أثناء التلفظ بمقطع ما من مقاطع الكلمة ويؤدي هذا النشاط إلى زيادة في أحد أو أكثر من عناصر المقطع الآتية، وهي : المدّة، والشدّة والحدّة» (المحيط في أصوات العربية/٢٢). وقد حدّد إبراهيم أنيس مواضع النبر العربي في أربعة، لمعرفتها انظر: كتاب الأصوات اللغوية/١٢١، وهو أمر لا يمكن التحقق منه إلاّ بالسّماع الذي نفتقر إليه إلا إذا قسنا على النطق المعاصر .

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها/٣٠٠ وأثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية/١٦١-١٦٢.

(٣) تثقيف اللسان/١٨٩ والمدخل إلى تقويم اللسان /١٣٤، وقد وردَ في كتاب «تقويم اللسان/١٢٥» أن العامة تقولها بكسر الشين أي: (شِفّة)، وهي لهجة من تكلم عنهم ابن الجوزي كما يبدو.

(٤) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس/١٢٣ والمحيط في أصوات العربية/٢٢.

(٥) أدب الكاتب/٢٩٢ ولحن العامة/١٠٢.

(٦) تثقيف اللسان/١٨٩ وورد في كتاب أدب الكاتب/٢٩٣ أن عامة المشرق تشدّد الثاء فقط وتبقي اللام مكسورة (لِثّة) .

حيث أغلق المقطع القصير المنبور (lí) بتشديد الثاء في المقطع الذي يليه، فصار (liṯ)، ثم تعرّضت الكلمة للمماثلة بين الحركات، فتماثلت حركة اللام (الكسرة) مع حركة الثاء(الفتحة) تماثلاً مدبراً كلياً منفصلاً، فصارت (laṯṯatun)٠

وقد يُفَسّر التطوّر فيها على أنه من باب كره العربية لتوالي المقاطع القصيرة المفتوحة، فتخلصت من هذا التتابع بإغلاق المقطع الأول عن طريق تشديد الصوت الذي يبدأ به المقطع الذي يليه، وكذلك الأمر في الكلمة السابقة «شُفَّة»، لما يظهر فيها من تتابع للمقاطع القصيرة المفتوحة أيضاً.

ومن هذه الكلمات أيضاً: «بُرَّيْق» للخروف الصغير، و«بَيَّاضَة» في عين الإنسان(١) و«حُمَّة» العقرب للسّم(٢) و «دوَّار»(٣)، و «زَرِّيعة»(٤) و «فَدَّادين» و «فرَّاشة» القُفل(٥)، و «القُلَّاع» لداء من أدواء الفم(٦)، و «قُلَّاعَة» لما اقْتُلع من الأرض(٧)، و «كَرُّوبيُّون» لسادة الملائكة(٨)، و «محّارة»(٩)، وغير ذلك، والأصل فيها التخفيف: بُرَيْق وبَياضَةٌ، وحُمَةٌ، ودُوَار وزَرِيعة وفَدَادين وفَرَاشة والقُلاع وقُلاعَة، والكَروبيون ومَحَارَة.

---

(١) تصحيح التصحيف/١٥٣، ١٧٧.

(٢) إصلاح المنطق/١٨٢ وأدب الكاتب/٢٩٢.

(٣) لحن العامّة/٢١٢، وهي من دُوَار الرأس، وقد قيل أنها قد تشدد فيقال: دُوَّار: لسان العرب(دور)/٢٩٨ وهذا يعني أن التشديد لغة، ولا يعد من لحن العامّة، وربما عُدّت من اللحن بسبب إبدال ضمّة الدال فتحة.

(٤) لحن العامة/٢١٤ والمدخل إلى تقويم اللسان/١٣٥ وجاء في لسان العرب (زرع) ١٤١/٨: «الزَّرِّيعَة: ما بُذِرَ» وجاء أيضاً:« قال ابن بري: والزَّرِيعة، بتخفيف الراء الحبُّ الذي يُزْرَع ولا تَقُلْ زَرِّيعة، بالتشديد، فإنه خطأ» وربما فهم من الكلام السابق أن التشديد لغة.

(٥) تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة/٥٤ وفَرَّاشة القُفْل: ما يَنْشَبُ فيه: لسان العرب(فرش)٦/٣٢٨.

(٦) تقويم اللسان/١٥٠.

(٧) إصلاح المنطق/١٨٢، وقد جاءَ في لسان العرب (قلع) ٨/ ٢٩٠: «والقُلَّاع: صُخور عِظام مُتقلِّعَة، واحدته قُلَّاعَة»، وربماظهر في هذا القول ما يشير إلى أن التشديد لغةٌ لا لحنٌ.

(٨) خير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام/٤٨.

(٩) تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة/٥٢.

ب- كلمات ضعّف الصوت الأخير منها:

وردَ في كتب لحن العامة أيضاً كلمات ضعّف الصوت الأخير منها، ومن هذه الكلمات:

- «ارتُجَّ» على فلان الكلام بدل «أُرْتِجَ»(١):

>ur/ti/ǧa > >ur/tu/ǧa > >ur/tuǧ/ǧa

الأصل | مماثلة بين الحركات | إغلاق المقطع القصير بالتشديد

حيث تعرّضت الكلمة لمماثلة بين الحركات، فانقلبت كسرة التاء ضمّةً لتماثل ضمّة الهمزة تماثلاً مقبلاً كلياً منفصلاً، ثم أغلق المقطع القصير (tu) بتشديد صوت الجيم، فصار قصيراً مغلقاً (tuǧ).

وقد وردَ في التهذيب: «أُرْتِجَ عليه وارتُجَّ، ورَتِجَ في منطقه رَتَجاً»(٢). وهذا يدلّ على صحة الاستعمال، وبذلك فإن كلمة (ارتُجَّ) ليست من لحن العامة. وقد ذكر اللخمي أن «أُرتِجَ» فيها لغتان: الأولى (أُرْتِج) وهي الأفصح، والثانية (ارتُجَّ) وهي الأضعف(٣).

- «قَبُوٌّ» بدل «قَبْوٌ»(٤).

ḳab/wun > ḳa /bu/ wun > ḳa/buw/wun

الأصل | تحريك الوسط | إغلاق الوسط بالتشديد

حيث حُرِّكَ وسط الكلمة الساكن (b) بحركة تجانس الواو التي تتبعه وهي الضمة فصارت (ḳa/bu/wun) ، وعندها يقع النبر على المقطع الأول (ḳa) فينتقل إلى المقطع

---

(١) أدب الكاتب/٢٩٤ وتقويم اللسان/٧٣-٧٤.

(٢) لسان العرب(رتج) : ٢/٢٨٠.

(٣) المدخل إلى تقويم اللسان /٨٢.

(٤) تثقيف اللسان/١٩١.

الذي يليه (bu) فيسبب غَلْقه، بتشديد الواو التي في المقطع الذي يليه (buw) ، وربما حدث الغلق بسبب كره العربية تتابع المقاطع القصيرة المفتوحة(١) أيضاً.

- " قَرْقَلٌ" لثوبٍ من ملابس النساء، بدل «قَرْقَلٌ»(٢) ٠

ḳar/ḳa/lun > ḳar/ḳal/lun

وقد أغلق المقطع القصير (ḳa) بتشديد اللام فصار(ḳal)٠

- «وَرَلٌّ» بدل «وَرَلٌ» لولد التمساح، إذا خَرَجَ إلى البّر وأقام به(٣) ٠

wa/ra/lun > wa/ral/lun

وأغلق فيها أيضاً المقطع القصير(ra) بتشديد اللام فصار (ral)٠

وربما كان السبب فيما حدث في هذه الكلمات وما شابهها انتقال النبر إلى المقطع الأخير(٤)، وهذا ما ذهب إليه أيضاً عبدالعزيز مطر، إذْ فسّر التشديد على هدي ظاهرة النبر، وبنى ذلك على أساس تقصير البنية(الكلمة) نتيجةً لتسكين الآخر(الوقف عليه)٠ فيرى مثلاً أنّ « وَرَلّ» أصلها «وَرَلٌ»، وهي مكونة من المقاطع (ص ح ق/ ص ح ق/ص ح ق ص) والنبر فيها يقع على المقطع الأول(wa)، وعند تسكين الآخر تصبح الكلمة مكونة من مقطعين (ص ح ق/ ص ح ق ص)، وينتقل النبر أيضاً مع هذا التطوّر إلى المقطع الأخير، ولوقوعه على المقطع الأخير لا بدّ أن يكون هذا المقطع إمّا : «رَلّ» بالتشديد ليكوّن (ص ح ق ص ص)، وإمّا : (رال) بإطالة حركة الراء ليكوّن المقطع (ص ح ط ص)، والذي حدث هو التشديد (رَلّ)(٥) ٠

---

(١) أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية/١٣٤.

(٢) لحن العامة/١٤٩ وتثقيف اللسان/١٨٩ وهو فيه : القميص الذي لا كمى له.

(٣) تثقيف اللسان/١٩٠.

(٤) أثر المقطع المرفوض في بنية الكلمة العربية/١٥٤.

(٥) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة/٢٥١-٢٥٢.

فوقوع النبر على المقطع الأخير، هو الذي اقتضى التشديد، إذ إن النبر لا يكون على المقطع الأخير من الكلمة، إلا إذا كان هذا المقطع من نوع (ص ح ط ص) أو (ص ح ق ص)(١) .

وقد قبلت الفصحى «في بعض أنماطها الشاذّة كلمات من هذا القبيل مثل: الدَمُّ وأخّ، وغيرهما مما يعدّ صحيحاً، وإن كان شاذّاً»(٢).

ج- كلمات تنتهي بياء بعدها هاء التأنيث، ضعّفت فيها تلك الياء:

ومن هذه الكلمات في كتب لحن العامة :

- عام « الحُدَيْبِيَّة» بدل « الحُدَيْبِيَة» (٣) .

(>)al/ḥu/day/bi/ya/tu > (>)al/ḥu/day/biy/ya/tu

حيث أُغلِق المقطع القصير (bi)، وذلك بتشديد الياء، التي هي حدّ ابتداء في المقطع الذي يليه، فصار (biy).

وقد ذُكر في لسان العرب أنها مخففة، وأن كثيراً من المحدثين يشدّدونها(٤). ولعلّ هذا الكلام فيه إشارة إلى أن «الحُدَيْبِيَّة» تستعمل في المستوى الفصيح أيضاً، وإنْ كان ابن منظور يشير إلى تلحين هذه الكلمة بقوله: « المحدثين» التي ربما حملت دلالة المولَّد.

- «دِيَّة» و«دِيَّات» بدل «دِيَة» و«دِيَات»(٥).

di/ya/tun >	diy/ya/tun
البنية الفصيحة	البنية العامية

(١) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس/١٢١ ومناهج البحث في اللغة/١٩٥.

(٢) أثر المقطع المرفوض في بنية الكلمة العربية/١٥٤.

(٣) تثقيف اللسان/٢٠٩.

(٤) لسان العرب(حدب): ١/٣٠٢.

(٥) تثقيف اللسان/٣٢٧ والمدخل إلى تقويم اللسان /١٤٥.

حيث أغلق المقطع القصير (di) بتشديد الصامت(الياء)، الذي يبدأ به المقطع الذي يليه، وربما حدث هذا الغلق؛ بسبب كره العربية لتتابع المقاطع القصيرة المفتوحة، أي أن الناطق تخلّص من تتابع المقاطع القصيرة المفتوحة بتحويل المقطع الأول إلى مقطع قصير مغلق بصامت.

- « مَرْثِيَّة» بدل «مَرْثِيَة» (١).

mar/ṯi/ya/tun > mar/ṯiy/ya/tun

وقد أغلق فيها أيضاً المقطع القصير (ṯi)، بتشديد الياء، فصار مقطعاً قصيراً مغلقاً (ṯiy).

- «مُغَنِّيَة» بدل «مُغَنِيَة»(٢).

mu/ġan/ni/ya/tun	>	mu/ġan/niy/ya/tun
البنية العميقة (الفصيحة)		البنية السطحية العامية

وحدث فيها ما حدث في الكلمات السابقة، وقد فسّر عبدالعزيز مطر هذه الكملة، وما هو نحوها، على أساس تقصير البنية أيضاً، نتيجة لتسكين الآخر، الذي ترتب عليه تطور في النبر أو بقاؤه، فهي تتكون من خمسة مقاطع، يقع النبر فيها على المقطع الثالث (ni)، وبعد حذف الحركة من الآخر تصبح مكوّنة من أربعة مقاطع (mu/ġan/ni/yah) ، مع بقاء النبر على موضعه (ni)، ولكنّ تقصير الكلمة أثّر في طول الصوت المنبور، أي في الكسرة في المقطع (ni)، وطول الكسرة يعني تكوّن ياء؛ ولأن الذي يقع بعدها (ياء) حدث بينهما إدغام كان مظهره هذا التشديد(٣).

---

(١) التنبيه على غلط الجاهل والنبيه/٨٣-٨٤.

(٢) تثقيف اللسان/١٩٣.

(٣) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة/٢٥١-٢٥٣.

ومن الكلمات التي تعرّضت لهذه الظاهرة أيضاً قولهم: «رِيَّة»(١) و «ربَاعِيَّة»(٢) و «مُسْتَرْخِيَّة»(٣)، و «رَفاهِيَّة»(٤) و «زِرْبِيَّة»(٥) و«مُسْتَوِيَّة»(٦) و «قَافِيَّة»(٧) و «كراهِيَّة»(٨)، و «مُلْتَوِيَّة»(٩) و «نَدِيَّة»(١٠)... الخ. والأصل فيها دون تشديد الياء: رِئَة ورَبَاعِيَة، ومُسْتَرْخِيَة، ورَفَاهِيَة وزِرْبِيَة ومُسْتَوِيَة، وقَافِيَة وكراهِيَة ومُلْتَوِيَة ونَدِيَة.

---

(١) لحن العامة/٢١٤.

(٢) إصلاح المنطق/١٨٠، والرَبَاعِيَة: إحدى الأسنان الأربع التي تلي الثنايا بين الثنيّة والناب تكون للإنسان وغيره، لسان العرب (ربع) ١٠٨/٨.

(٣) تثقيف اللسان/١٩٣.

(٤) التنبيه على غلط الجاهل والنبيه/٨٣-٨٤.

(٥) تصحيح التصحيف/٢٩٤.

(٦) أدب الكاتب/٢٩٤.

(٧) تثقيف اللسان/١٨٩.

(٨) أدب الكاتب/٢٩٢ وخير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام/٣٢.

(٩) تثقيف اللسان/١٩٣.

(١٠) إصلاح المنطق/١٨١ وتقويم اللسان/١٧٩.

٢- إشباع حركة المقطع المفتوح (ص ح ق > ص ح ط).

يقصد بظاهرة إشباع المقطع المفتوح تحويل المقطع القصير المفتوح إلى مقطع طويل مفتوح بإشباع نواته، فتصبح الضمّة واواً مديّة، والفتحة ألفاً والكسرة ياءً مديّة، وتبرز هذه الظاهرة عند تتابع المقاطع القصيرة في الكلمة لما تسببه من توتر وإجهاد للناطق؛ لهذا تكره العربية مثل هذا التتابع(١).

وقد وردت هذه الظاهرة في بعض اللغات السامية التي ترفض الحركة القصيرة في المقطع القصير المفتوح (ص ح ق) كاللغة العبرية والسريانية، «حيث تقوم اللغة العبرية بإطالة حركته إذا أُريد الاحتفاظ بهذه الحركة كما هو الحال في الأفعال الثلاثية مثل kāṭal التي تقابل (قَتَل) في العربية فالمقطع kā هنا أصله مقطع قصير ka، وقد رَدَّ بروكلمان هذا إلى أن الحركة القصيرة لا تناسب نغمة الغناء المتوارث للنصوص المقدسة في المعابد، وقد تسقط هذه الحركة، وعند ذلك يعوّض عنها بحركة مخطوفة، وربما بقيت في الكتابة ولكنها تُطَوَّلُ في النطق»(٢).

وقد روى اللغويون العرب أمثلة على هذه الظاهرة ومن ذلك:

«فأنْظُورُ» بدل «فَأَنْظُرُ» في قول الشاعر:

وأنّني حَوْثُما يُشري الهوى بَصَرِي . من حيثما سَلَكوا أُدْني فأنْظُور(٣).

و «الصَّيَاريف» بدل «الصَّيارِف»، في قول الشاعر:

تنفي يداها الحصَى في كُلِّ هاجِرَة   نفيَ الدّراهيمِ تَنْقادُ الصَّياريفِ(٤).

وقد سمّاها ابن جني «مطل الحركات»(٥)، وسمّاها ابن فارس «البسط في الأسماء

---

(١) أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية/١٥١.

(٢) أثر المقطع المرفوض في بنية الكلمة العربية/١٥٣، وانظر: في قواعد الساميات/٢٠.

(٣) سرّ صناعة الإعراب/٢٦.

(٤) الإنصاف في مسائل الخلاف: ١/٢٧.

(٥) الخصائص: ٣/١٢٣.

والأفعال»، وذهب الأخير إلى أن السبب فيها هو إقامة الــوزن الشعري(١)؛ لورودها في أبياتٍ شعريّة.

وبرزت هذه الظاهرة أيضاً في كتب لحن العامّة، فَوَرَدت مجموعة كبيرة من الكلمات المتعرّضة لها، ويمكن دراستها على وفق الحركة التي تم إشباعها.

أ- ما أشبعت فيه الفتحة:

وردَ في كتب لحن العامة كلمات، تحول فيها المقطع القصير المفتوح إلى مقطع طويل مفتوح؛ بسبب إشباع (مطل) الفتحة فيه، ومن هذه الكلمات:

-«الآذَان» بدل «الأَذَان»(٢).

(>)al/>a/ ḏā/nu > (>)al/>ā/ ḏā/ nu

وفيها تحوّل المقطع القصير المفتوح (>a)إلى مقطع طويل مفتوح (>ā) بسبب انتقال النبر إليه، بعد أن كان على المقطع الثالث (ḏā)، فسبب هذا الانتقال تطويل نواته، الفتحة (a)(٣).

- «بَاعُوض» بدل «بَعُوض»(٤).

ba/<ū/ḍun > bā/<ū/ḍun

حيث انتقل النبر أيضاً من المقطع الثاني (<ū) ، إلى المقطع الأوّل (ba)، فأثّر في نواته (الفتحة) فأطالها: (ā) ، فصار المقطع طويلاً مفتوحاً (bā).

- «سرْ في داعة الله» و «وأنت في حِلٍّ وساعة» بدل «دَعة» و «وسَعة»(٥).

---

(١) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها/٢٢٩.

(٢) لحن العامة/٦٧.

(٣) لحن العامة والتطوّر اللغوي/١٩١-١٩٢.

(٤) تصحيح التصحيف/١٤٥.

(٥) تثقيف اللسان/١٢٣.

da/<a/tun > dā/<a/tun

وفيها يقع النبر على المقطع الأول (da) ، وقد بقي مكانه وازداد وضوحاً وضغطاً بإطالة نواة هذا المقطع، فتحوّل بذلك إلى مقطع طويل مفتوح (dā).

وربما كان سبب التطوّر هذا كره العربية لتتابع المقاطع القصيرة المفتوحة، فتخلّص الناطق – لا إرادياً– من هذا التتابع بإطالة فتحة المقطع الأوّل، أي بتحويله إلى مقطع طويل مفتوح، وكذلك الأمر في «سَاعَة» المتطورة عن «سَعَةٌ».

– «طِوَال» للحبل الذي تُربطُ فيه الدابة، بدل «طِوَل»(١):

ṭi/wa/lun > ṭi/wā/lun

حيث تعرّضت لإشباع نواة المقطع القصير المفتوح (wa) ، بسبب انتقال النبر من المقطع الأوّل (ṭi) إلى المقطع الثاني، فصار (wā).

وربما كان السبب في هذا التطوّر أيضاً كره العربية لتتابع المقاطع القصيرة المفتوحة فأُزيلَ هذا الوضع المكروه بإطالة فتحة (نواة) المقطع الثاني، فصارَ طويلاً مفتوحاً.

– «عَرْعَارٌ» لشجرٍ في الجبال ، بدل «عَرْعَرٌ»(٢)

<ar/<a/run > <ar/<ā/run

حيث نبر الناطق المقطع الثاني (<a) ، وترتب على ذلك إطالة نواته (الفتحة) فصار : <ā.

ومن هذه الكلمات أيضاً : «الآوان»(٣) و «الآذريّ» نسْبة إلى أذَرْبيجان، و «الآمان»(٤)و «السِبرْوَاق» لنبت ينبت قبل الصيف، ومَوْتٌ

---

(١) لحن العامة/٢٢١ وتثقيف اللسان/١٢٤.

(٢) لحن العامة/٦٥، والمدخل إلى تقويم اللسان/١٢٦.

(٣) التنبيه على غلط الجاهل والنبيه/٦٢.

(٤) تصحيح التصحيف/٦٦

«جارُوف»(١) و «عكَار» لِدُرْدي الزيت وغيره(٢)، و «غَاسُول» و «قَاتُول» و «قَادُوم» لبعض آلات النجار(٣)... الخ بدل «الأوان» و «الأذَريّ» و «الأمان» و «البَرْوَق» وموت «جَروف» و «عكَرّ» و «غَسُول» وقتول وقَدُوم.

ب- ما أشبعت فيه الضمّة:

وردَ أيضاً في كتب لحن العامة مجموعة من الكلمات التي تحوّل فيها المقطع القصير المفتوح إلى مقطع طويل مفتوح؛ بسبب إشباع الضمّة فيه، ومن هذه الكلمات:

- «بُرْنُوس» بدل «بُرْنُس»(٤).

bur/nu/sun > bur/nū/sun

حيث نبرَ الناطق المقطع الثاني (nu)، فترتب على ذلك إطالة نواته (nū)، فصار مقطعاً طويلاً مفتوحاً.

- «سُلُّوم» بدل «سُلَّم»(٥).

إطالة نواة المقطع الثاني		مماثلة بين الحركات		الأصل
sul/lū/mun	<	sul/lu/mun	<	sul/la/mun

حيث تأثّرت نواة المقطع الثاني (la) بنواة المقطع الأول (sul)، فتماثلت بذلك الفتحة مع الضمّة تماثلاً مقبلاً كلياً منفصلاً، فصارت: (sul/lu/mun)، ثم ازداد طول نواة المقطع الثاني (lu)؛ لوقوع النبر عليه، فتحوّل إلى مقطع طويل مفتوح (lū).

- «لُوبَان» لبعض الأصماغ، بدل «لُبَان»(٦).

---

(١) تثقيف اللسان/١٢١.

(٢) لحن العامة/٢٢٢.

(٣) تثقيف اللسان/١٢١، ١٢٣ وتصحيح التصحيف/٤١٢، ٤١٣.

(٤) تثقيف اللسان/١٢٤، والبُرْنُس: القَلَنْسُوَة الطويلة، لسان العرب(برنس)٦/٢٦.

(٥) المدخل إلى تقويم اللسان/١٢٧ وتصحيح التصحيف/٣١٦.

(٦) لحن العامة/٩٧ وتثقيف اللسان/١٢١ وتصحيح التصحيف/٣٦٨، وقد وردَ في موضع آخر في تصحيح التصحيف (٤٥٧) أن العامة نطقتها «لَوْبَان» بفتح اللام.

lu/bā/nun > lū/bā/nun

حيث انتقل النبر من المقطع الثاني (bā) إلى المقطع الأوّل (lu) ، فترتب على ذلك إطالة حركة المقطع المنقول إليه، فصار طويلاً مفتوحاً (lū).

- «كُورَة» بدل «كُرَة»(١).

ku/ra/tun > kū/ra/tun

حيث تحوّل المقطع القصير المفتوح (ku) إلى مقطع طويل مفتوح (kū)؛ بسبب وقوع النبر عليه.

وربما كان السبب في هذا التطوّر أيضاً كره العربية، وهذه اللهجة التي نطقتها على هذه الصورة لتوالي المقاطع القصيرة المفتوحة، فتخلّصَ من هذا الوضع المكروه بإطالة نواة المقطع الأوّل (ku)، فصارت الكلمة (kūratun).

- «نُزُول» لما يُهَيَّأ للأمير والضيف، بدل «نُزُلٌ»(٢):

nu/zu/lun > nu/zū/lun

وفيها تحوّل أيضاً المقطع القصير المفتوح (zu) إلى مقطع طويل مفتوح (zū)،بسبب انتقال النبر إليه من المقطع الأوّل (nu) .

ولعلَّ السبب أيضاً فيما حدث فيها كره العربية وهذه اللهجة التي نطقتها على هذه الصورة لتتابع المقاطع القصيرة المفتوحة فتخلص الناطق من هذا الوضع المكروه، بإطالة نواة المقطع الثاني (zū) ، فصار مقطعاً طويلاً مفتوحاً.

ج- ما أُشْبِعتْ فيه الكسرة:

وردَ في كتب لحن العامة أيضاً، كلمات تحوّل فيها المقطع القصير المفتوح إلى مقطع طويل مفتوح؛ بسبب إشباع الكسرة (i) ، ومن هذه الكلمات:

(١) تصحيح التصحيف/٤٤٧

(٢) خير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام/٥٩

- «إيباءٌ» بدل «إِبَاء»(١).

>i/bā/>un > >ī/bā/>un

وفيها تحوّل المقطع القصير المفتوح (>i) إلى مقطع طويل مفتوح (>ī)؛ بسبب انتقال النبر إليه من المقطع الثاني (bā).

- «طِيحال» و «طِيرَاز»، و «تِيلاد» و «ثِيمار» بدل طِحال وطِراز وتِلاد وثِمار(٢).

ṭi/ḥā/lun > ṭī /ḥā / lun

وفي طحال مثلاً ينتقل النبر من المقطع الثاني (ḥā́) إلى المقطع الأوّل (ṭi) ، فيترتب على ذلك إطالة نواة المقطع المنقول إليه (ṭi) ؛ فتصبح (ṭī). وكذلك الأمر في طِراز وتِلاد وثِمار.

- «المعِيدَة» بدل «المَعِدَة»(٣).

(>)al/ ma/ <i/ da/ tu > (>)al/ ma/<ī/ da/ tu

البنية الفصيحة البنية العامية

حيث تحوّل فيها المقطع القصير المفتوح (>i) إلى مقطع طويل (<ī) ؛ بسبب وقوع النبر عليه، فيترتب على ذلك إطالة نواته؛ ليصبح مقطعاً طويلاً.

وربما فسّر التطوّر فيها على أنه من باب كره العربية لتتابع المقاطع القصيرة المفتوحة،فأزيل هذا الوضع المكروه، بإطالة نواة المقطع الثالث (<i) فتحوّل بذلك إلى مقطع طويل مفتوح (<ī).

- «النِّقْرِيس» للداء المعروف ، بدل «النِّقْرِس»(٤).

(>)an/ niḳ/ ri/ su > (>)an/ niḳ/ rī/ su

وفيها تحوّل أيضاً المقطع الثالث (ri) القصير المفتوح إلى طويل مفتوح (rī) عن طريق إشباع الكسرة وذلك بسبب وقوع النبر عليه.

---

(١) خير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام/١٦ والتنبيه على غلط الجاهل والنبيه/٥٩-٦٠.

(٢) لحن العامة/٨٦.

(٣) التنبيه على غلط الجاهل والنبيه/١٠٠.

(٤) السابق/١٠٢.

٣- تقصير حركة المقطع الطويل المفتوح (ص ح ط > ص ح ق):

وكما وردت ظاهرة إشباع حركة المقطع القصير المفتوح في كتب لحن العامة، وردت أيضاً فيها ظاهرة تقابلها تماماً، وهي ظاهرة تقصير حركة المقطع الطويل المفتوح، وفيها يتحول المقطع من مقطع طويل مفتوح، إلى مقطع قصير مفتوح، وذلك باجتزاء نواته الطويلة.

ومن أمثلة هذه الظاهرة في العربية، ما يحدث عند جزم الفعل المعتل الآخر، أو بنائه للأمر مثل: لم يرمِ ، ارمِ(١). ومن أمثلتها في الشعر العربي:

«الخَلْخَل» بدل «الخَلْخال»، في قول أحد الشعراء(٢):

غَرْثَى الوِشاحَيْن، صَمُوتُ الخَلْخَلِ

و «وَصَنّي» بدل «وَصّاني»، في قول رؤبة:

وصّاني العَجّاجُ فيما وَصَنّي(٣).

ويُفَسَّرُ هذا التقصير في هذين البيتين، وما هو نحوهما، على أنه من باب الضرورات الشعريّة، التي أثّرت في بنية الكلمة، فاقتضت ذلك للاحتفاظ بموسيقى الوزن(٤).

ومن أمثلة هذه الظاهرة في كتب لحن العامة:

- «بَلُّوعة» بدل «بالوُعة»(٥).

---

(١) طول الصوت اللغوي/٨٠
(٢) الصاحبي في فقه اللغة العربية/ ٢٣٠، وغَرْثى الوشاح: خميصة البَطْن، دقيقة الخَصْر، لسان العرب(غرث) ٢/١٧٢.
(٣) خزانة الأدب:١/٦٣
(٤) فصول في فقه العربية/١٧٦-١٧٨
(٥) تقويم اللسان/٨٠.

bā/ lū/ <a/ tun > ba/ lū/<a/ tun > bal /lū /<a /tun

الأصل اجتزاء حركة المقطع الأول إغلاق المقطع الأول

حيث تطوَّر المقطع الأوّل (bā) إلى (ba) ، وربما فسر هذا التطوّر على أنه من باب كره العربية لتوالي المقاطع الطويلة؛ لأنها تسم الصيغة بالضعــف والوهن، فعمد الناطق في سبيل التخلص من هذا الوضع إلــى تقصير نواة المقــطع الأول ليتحول إلى مقطع قصير مفتوح(١) (ba) ، فصارت الكلمة (ba/ lū/ <a/ tun) ثم أُغلِق هذا المقطع عن طريق تشديد الصامت الذي يبدأ به المقطع الذي يليه، وهو اللام فتصبح بذلك: (bal/ lū/ <a/ tun).

ويذكر صاحب اللسان أن البالوُعة والبَلُّوعة، لغتان(٢)، وهذا يعني أن «بَلُّوعة» فصيحة، وبذلك استخدمت العامة ما هو فصيح.

- فَرسٌ «رَبَعٌ» للأنثى والذكر، بدل «رَبَاعٍ» منقوصٍ كيمانٍ(٣).

ra/ bā/ <in > ra/ ba/<in

وربما تطوّرت على هذا النحو؛ بسبب انتقال النبر من المقطع الثاني (bā) إلى المقطع الأول (ra)، حيث سبب هذا الانتقال تقليص نواة المقطع المنقول منه(٤) (bā) ، ليصبح مقطعاً قصيراً (ba).

- «زُرْزُر» لبعض العصافير بدل «زُرْزُور»(٥).

zur/ zū/ run > zur/ zu/ run

---

(١) أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية/١٥١ وانظر: لحن العامة والتطور اللغوي/٥٦.

(٢) لسان العرب(بلع) ٨/ ٢٠.

(٣) لحن العامة/١٤٧، وهو إذا دخل في السنة السابعة وقيل إذا استتم الرابعة، لسان العرب (ربع) ١٠٨/٨.

(٤) انظر: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية/١٦١-١٦٢.

(٥) تثقيف اللسان/١٢٧ وتصحيح التصحيف/٢٩٤.

وفيها تحوّل المقطع الطويل المفتوح (zū) إلى مقطع قصير مفتوح (zu)،بسبب انتقال النبر من المقطع الثاني (zū) إلى المقطع الأوّل (zur)، وقد سبب هذا الانتقال اجتزاء حركة المقطع (zū) فصار (zu).

- «سَنَمُ» البعير بدل «سَنَام» البعير(١):

sa/ nā/ mun > sa/ na/ mun

البنية العميقة البنية السطحية

وقد تطورت البنية العميقة على هذا النحو بسبب انتقال النبر من المقطع الثاني (nā) إلى المقطع الأول (sa) ، فأدى هذا الانتقال إلى تقليص المقطع الثاني بتقصير نواته (na) فنتجت البنية السطحيّة (العاميّة) (sa/ na/ mun).

- رفع ثيابه على «عَتِقِهِ» بدل «عَاتِقِهِ»(٢).

<ā/ ti/ ḳi /hi > <a/ ti/ ḳi/ hi

فتحولّت كلمة «عَاتِق» إلى «عَتِق» بتقصير نواة المقطع الأوّل (<ā)،فصار (<a).

- «مَعَدا» بدل «ما عَدا»(٣).

mā/<a/dā > ma/<a/dā

وفيها أيضاً، تمّ اجتزاء نواة المقطع الأول (mā) ، فصار (ma).

---

(١) تصحيح التصحيف/٣١٩.

(٢) السابق/٣٧٤.

(٣) أدب الكاتب/٣٢٠ ولحن العامة/١٢٥.

٤- المقطع الطويل المغلق بصامت(ص ح ط ص):

ذُكر سابقاً أن المقطع الطويل المغلق بصامت لا يُقْبَلُ إلاّ في حالتين(١): الأولى الوقف عليه في آخر الكلام والثانية: إذا كان حدُّ الإغلاق فيه حدَّ ابتداء في المقطع الذي يليه.

وتوافر أحد هذين الشرطين في هذا المقطع لا يعني أنه سيصبح سهلَ الاستعمال، فهو على الرغم من قبوله في النظام المقطعي العربي مقطع مستثقل، ويظل مكروهاً ومعرّضاً لفعل قوانين التطوّر اللغوي التي ستسعى إلى التخلص منه، ودليل صعوبته أنه لا يستعمل في لغة الشعر، على الرغم من توافر أحد شرطي قبوله في غير القافية إطلاقاً(٢).

ولهذا فكثيراً ما تلجأ اللغة إلى التخلص من هذا المقطع المرفوض بطرق مختلفة. وقد استخدمت العامة منها ما يأتي:

أ- اختزال المشدّد، أو تخفيف الصوت المشدد.

ب- اختزال الحركة أو تقصيرها.

ج- فك التضعيف.

أ- اختزال المشدّد:

يمكن التخلص من المقطع الرابع (ص ح ط ص) باختزال المشدّد، فيتحوّل بذلك إلى مقطع طويل مفتوح، ومن أمثلة ذلك قراءة ابن عامر

(١) أثر المقطع المرفوض في بنية الكلمة العربية/١٥٥.

(٢) فصول في فقه العربية/١٩٦.

(١١٨هـ)(١): ﴿ولا تَتَّبِعانِ سَبِيلَ الذينَ لا يَعْلَمُون﴾(٢) وكذلك قراءة الزهري(١٢٤هـ)(٣): «والدوابُ»(٤).

ووردَ في كتب لحن العامة أمثلةٌ تظهر ميل العامة للتخلص من هذا المقطع (ص ح ط ص) بهذه الطريقة، ومنها:

- «احمَارَ» و «اصفَار» وجهه بدل «احمَارَّ» و «احمَرَّ» و «اصفَارَّ» و «اصفَرَّ»(٥)

(>)iḥ/mār/ra > (>)iḥ/mā/ra

(>)iṣ/fār/ra > (>)iṣ/fā/ra

حيث تَخلَّصَ الناطق من المقطع الطويل المغلق (ص ح ط ص) -على الرغم من توافر أحد شرطي قبوله فيه - وذلك باختزال الصوت المشدد، الذي يشكل حدَّ إغلاق لهذا المقطع، وحدَّ بدايةٍ للمقطع الذي يليه، وهو فيهما صوت الراء، فصار المقطع المكروه (mār) في الكلمة الأولى: (mā) وصار المقطع المكروه (fār) في الكلمة الثانية (fā).

- «الدّوابُ» بدل «الدّوابُّ»(٦).

(>)ad/da/wāb/bu > (>)ad/da/wā/bu

البنية الفصيحة البنية العامية

وفيها أيضاً تخلّص الناطق من المقطع المكروه (wāb) باختزال الصوت المشدّد الذي

---

(١) النشر في القراءات العشر: ٢/٢٨٦.

(٢) يونس: ٨٩.

(٣) المحتسب:٢/٧٦.

(٤) الحج:١٨.

(٥) تثقيف اللسان/٢٦٩ وتصحيح التصحيف/١١٢.

(٦) تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة/٥٣.

يشكّل حدّ إغلاق بالنسبة له، وحدّ ابتداء للمقطع الذي يليه، وهو صوت الباء، فيصبح بذلك مقطعاً طويلاً مفتوحاً (wā).

ولكنّ هذا التطوّر لهذه الكلمة، لا يعدّ من باب اللحن، لأنّ الزهري قرأ به كما ذُكر سابقاً.

- في خلق فلان «زَعارّة» بدل «زَعارَة»(١).

za/<ār/ra/tun > za/<ā/ra/tun

وقد اختُزل فيها أيضاً الصوت المشدد (الراء)، الذي يغلق المقطع المكروه (<ār) فصار بذلك مقطعاً مفتوحاً (<ā) .

وقد وردَ عن اللحياني «زَعَارَة» بالتخفيف ، بمعنى شراسة وسوء خُلُق(٢). وربما كان في ذلك إشارة إلى أنها ليست من لحن العامة.

- لَزِمَ الناسُ «مَصَافَهم» بدل «مَصَافَّهم» و «مَصَفَّهم»(٣).

ma/ṡāf/fa/hum > ma/ṡā/fa/hum

المقطع المكروه — التخلص من المقطع المكروه

وفيها أيضاً تخلص الناطق من المقطع المكروه (ṡāf) ، باجتزاء صوت الفاء المشدد الذي هو حدّ إغلاق له، وحدّ بداية للمقطع الذي يليه، فتحول إلى مقطع طويل مفتوح (ṡā)، وهو مقطع سهل مقارنة بالمقطع الطويل المغلق، (ص ح ط ص) على الرغم من جواز الأخير لتوافر أحد شرطي قبوله فيه.

- «فلانٌ عَامِيٌّ» بدل «عامّيٌّ»(٤).

---

(١) إصلاح المنطق/١٧٦.

(٢) لسان العرب(زعر) ٤/٣٢٣.

(٣) تصحيح التصحيف/٤٨٢.

(٤) التنبيه على غلط الجاهل والنبيه/٩٤.

<ām/ miy/ yun > <ā/ miy/ yun

التخلص من المقطع المكروه المقطع المكروه

وحدث فيها ما حدث في الأمثلة السابقة، فتحوّل المقطع المكروه (<ām) باختزال المشدد (m) إلى مقطع طويل مفتوح (<ā).

- «امْلاسَ» الشيء بدل «امْلاسّ»(١).

(>) im / lās/ sa > (>) im/ lā/ sa

اجتزاء المشدد المقطع المكروه

البنية العامية البنية الفصيحة

وفيها أيضاً تحوّل المقطع المكروه (lās) إلى مقطع طويل مفتوح (lā) وذلك باجتزاء الصوت المشدد، الذي هو حدُّ إغلاق له، وحدُّ بداية للمقطع الذي يليه، وهو صوت السين.

- «مَانِي المُوَسْوِس» بدل «مَانّي» وهو اسم فارسيّ(٢).

mān/ nī > mā/ nī

اجتزاء المشدد المقطع المكروه

البنية العامية البنية الفصيحة

حيث تحوّل المقطع المكروه (mān) إلى مقطع طويل مفتوح (mā) باجتزاء المشدد الذي هو حدّ إغلاق له، وحدّ بدايةٍ للمقطع الذي يليه، وهو صوت النون. فالمقطع (mān)، على الرغم من قبوله، مكروه، وفيه صعــوبة مقــارنة بالمقطع المفتوح(mā).

(١) تثقيف اللسان/٢٦٩ والمدخل إلى تقويم اللسان /٢٠٥ وامـلاسّ من مَلُس: ضدّ الخشونة ،لسان العرب(ملس) ٦/٢٢١.

(٢) تثقيف اللسان/١٩٦ وتصحيح التصحيف/٤٦٠.

ب- اختزال الحركة:

وقد يتم التخلص من المقطع الرابع الطويل المغلق (ص ح ط ص) بتقصير نواته فيتحوّل بذلك إلى مقطع قصير مغلق (ص ح ق ص)، ويظهر ذلك بشكل واضح في اللغة العربية – فيما عدا باب دابّة وشابّة- ويقول بروكلمان: «وفي المقاطع المغلقة لا تتحمل اللغات السامية أصلاً، إلا الحـــركات القصيرة فإذا جاء في بناء الصيغة حركة طويلة في مقطع مغلق، فإنها تقـــصره»(١)، ومن هذه الصيغ مثلاً: « الأجوف من فعل الأمر، والمضارع المجزوم بالسكون مثل: قوم (kūm) التي تصبح (kum)، ولم يقـــوم (yakūm) التي تصبح: لم يَقُمْ (yakum)(٢).

وتنفرد العربية بهذه الخاصية، عن الساميات المختلفة التي تجيز هذا النوع من المقاطع، فقُمْ العربية يقابلها (kūm) في السريانية والعبـــريّة و (kūn) في الأكادية(٣).

والأمثلة على ذلك في كتب لحن العامة قليلة جداً منها قولهم: « بَرَشْتَق» للفاختة المأخوذة من الفخت، وهو ضوء القمر، بدل «بَراشْتَقٌ»(٤).

ba/ rāš/ ta/ kun > ba/ raš/ ta/ kun

حيث تخلص الناطق من المقطع المرفوض (rāš) في الكلمة المُعرَّبة السابقة وذلك باختزال نواته؛ فصار مقطعاً قصيراً مغلقاً (raš).

---

(١) فقه اللغات السامية/٤٣.

(٢) أثر المقطع المرفوض في بنية الكلمة العربية/١٥٩-١٧٠.

(٣) أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية/١٢٦.

(٤) تصحيح التصحيف/١٥٧.

ج- فك التضعيف:

وقد يتمّ التخلص من المقطع المكروهِ (ص ح ط ص) أيضاً، بفك التضعيف ومن أمثلة ذلك ما ينسب إلى عمر بن الخطاب من أنه قَرأ «يُضَارِرْ»(١) بدلاً من «يُضَارَّ» في قوله تعالى: ﴿ولا يُضَارَّ كاتِبٌ ولا شَهِيدٌ﴾(٢).

وقد وردت هذه الظاهرة أيضاً في كتب لحن العامة، ومن أمثلتها:

- «سَارَرَ» «مسارَرَة» و «قاصَصَ» « مُقَاصَصَة»، و «حاجَجَ» «مُحَاجَجَة» و «شاقَقَ» «مُشاقَقة»، والأصل أن العرب استعملت الإدغام في هذه الأفعال ونظائرها طلباً للخفّة، واستثقالاً للحرفين المتماثلين(٣).

وقد تطوّرت الكلمات السابقة على النحو الآتي:

sār/ ra > sā/ ra/ ra

ḳāṡ/ ṡa > ḳā/ ṡa/ ṡa

ḥāǧ/ ǧa > ḥā/ ǧa/ ǧa

šāḳ/ ḳa > šā/ ḳa/ ḳa

حيث تخلّص الناطق فيها من المقاطع المكروهة (šāḳ, ḥāǧ, ḳāṡ, sār) وذلك بفك التضعيف، وفَصْل حدود الإغلاق عنها؛ لتتحولَ إلى مقاطعَ مفتوحة طويلة (šā, ḥā, ḳā, sā).

- «يَتَعَالَلُ» لمن يُظهر العلّة، بدل «يَتَعَالّ»(٤):

ya/ ta/ <āl/ lu > ya/ ta/ <ā/ la/ lu

---

(١) معاني القرآن: ١/ ١٥٠.

(٢) البقرة: ٢٨٢.

(٣) أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية/ ١٢٤ نقلاً عن كتاب: درّة الغواص في أوهام الخواص/ ١١٣ وانظر أيضاً: تصحيح التصحيف/ ٣٠٠.

(٤) المدخل إلى تقويم اللسان/ ٢٠٨ وتصحيح التصحيف/ ٥٤٨.

وفيها تخلّصوا من المقطع الطويل المغلق (ā̆l) ، على الرغم من توافر أحد شرطي قبوله، وهو تضعيف حد الإغلاق وذلك بفك التضعيف، وفصل حدّ الإغلاق (l) عنه ليصبح مقطعاً طويلاً مفتوحاً (ā̆).

- «يَتَقَارَرُونَ» في الحقّ بدل «يَتَقَارُّون»(٢)

ya/ ta/ ḳār/ rū/ na > ya/ ta/ ḳā/ ra/ rū/ na

وتحوّل فيها أيضاً المقطع المكروه (ḳār) إلى مقطع طويل مفتوح (ḳā) بفك الإدغام.

- تكوين المقطع الطويل المغلق بصامت:

ذُكر سابقاً أن العامة مالت إلى التخلص من المقطع الطويل المغلق بصامت (ص ح ط ص)، على الرغم من توافر أحد شرطي قبوله أيضاً لما فيه من صعوبة ومع ذلك، ظهر أيضاً ما يدلّ على ميلهم إلى تكوينه؛ فشكّلوا بذلك هذا المقطع الطويل المغلق بصامتٍ، هو حدّ الابتداء في المقطع الذي يليه، وقد ظهر ذلك في قولهم:

- «حَامَّة» لمجتمع الماء الحار بدل «حَمَّة»(٣).

ḥam/ ma/ tun > ḥām/ ma/ tun

وربما حدث هذا التطوّر بسبب انتقال النبر من المقطع الثاني (má) إلى المقطع الأول (ḥam)، فسبب هذا الانتقال إشباع نواة المقطع المنقول إليه فصار (ḥām)، فتحوّل بذلك من مقطع قصير مغلق بصامت (ص ح ق ص) إلى مقطع طويل مغلق بصامت (ص ح ط ص).

وربما فسّر ذلك التطوّر على أنه من باب إيثار الأصوات الحلقيّة -وهو هنا صوت

(١) المدخل إلى تقويم اللسان /٢٠٨ وتصحيح التصحيف/٥٤٨.

(٢) المدخل إلى تقويم اللسان /٢٠٨ وتصحيح التصحيف/٥٤٨.

(٣) تثقيف اللسان/١٢٣ والحامّة الفصيحة تعني الخاصّة أمّا الحَمَّة فهي عينُ ماءٍ حارٌ يستشفى بالغسْل منه، لسان العرب (حمم) ١٥٤/١٢.

الحاء- للفتح، فتأثرت الفتحة التي تلي صوت الحاء بهذا الصوت الحلقي، فازدادت طولاً فحوّلت المقطع من مقطع قصير مغلق، إلى مقطع طويل مغلق.

- «لاحَّوْلَ، ولا قوة إلاّ بالله» بدل «لا حَوْلَ»(١).

lā/ ḥaw/ la > lāḥ/ ḥaw/ la

وقد تكوّن في هذا الاستعمال المقطع الطويل المغلق بصامت (lāḥ)؛ بسبب تشديد صوت الحاء، الذي يشكل حدّ ابتداء في المقطع الذي يليه، مما أدّى إلى إغلاقه بهذا الصوت، فتحوّل بذلك من مقطع طويل مفتوح إلى مقطع طويل مغلق بصامت .

(١) تثقيف اللسان/١٩٢

٣- دور الحركات المزدوجة:

تنقسم الحركات المزدوجة بصورة عامة إلى حركات مزدوجة صاعدة وحركات مزدوجة هابطة، ومن الناحية الوظيفية، فإن ما يحدّد الصعود والهبوط في الحركات المزدوجة، هو موقع النواة الصائتة في المقطع الذي يحتوي عل هذا السياق أي موقع الحركة؛ لأن الحركة المزدوجة عبارة عن تتابع حركة وشبه حركة، أو شبه حركة وحركة في مقطع واحد(١).

ولا فرق هنا بين الحركة الطويلةوالقصيرة، فكلاهما يقع في سياق بشكل حركة مزدوجة(٢)، فإذا جاءت الحركة قبل شبه الحركة، فإن الحركة المزدوجة هنا هابطة، وإذا حدث العكس فتكون عندئذٍ حركة صاعدة، وعلى العموم، فإن الذي يحدد الصعود والهبوط في الحركات المزدوجة من الناحية الصوتية المجردة، هو الأجهزة الصوتية التي ترسم شكل الحركة على شاشات الأجهزة، وهو أمرٌ قد فُرغ منه منذ زمن بعيد(٣).

وعلى أي حال، فإن الحركات المزدوجة صاعدة كانت أو هابطة، من الأوضاع الصوتية التي لا يمكن أن تكون محببة في اللغة العربية؛ ولهذا نراها تتخلص من بعض السياقات التي تحتوي على حركات مزدوجة بطرق شتى(٤)، ومن هذه الطرق مثلاً إقحام الهمزة فراراً منها، وستتم دراسة هذه الطريقة في فصل الهمزة وقضاياها.

وستتم دراسة الحركات المزدوجة وأثرها في كتب لحن العامة وذلك من خلال القضايا الآتية:

---

(١) انظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس/١١١، وفي الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المد العربية/٤٣-٤٤، والهمزة المقحمة ودورها في تشكيل بنية الكلمة العربية ، بحث مطبوع على الآلة الكاتبة (غير منشور).

(٢) الصوتيات/٨١ ولمزيد من المعرفة انظر: المدخل إلى علم الأصوات /١٦٨-٢٠٢.

(٣) الهمزة المقحمة ودورها في تشكيل بنية الكلمة العربية .

(٤) لمزيد من المعلومات انظر: كتاب «أثر الحركة المزدوجة في بنية الكلمة العربية، دراسة لغوية» إذ يتحدث عن الحركات المزدوجة ودورها التركيبي في بنية الكلمة.

١- تطوّرها.

٢- تحوّل نواتها.

٣- الفرار من الحركة المزدوجة الواوية إلى الحركة المزدوجة اليائية.

- الفرار من الحركة المزدوجة اليائية إلى الحركة المزدوجة الواويّة.

٥- الفرار من الحركة المزدوجة بالقلب المكاني.

٦- تخلّق الحركة المزدوجة.

١- تطوّر الحركات المزدوجة:

على الرغم من قبول العربية في نظامها المقطعي هذين النوعين من أنواع الحركات المزدوجة (ay) ، (aw)، فقد تعرّضتا للتطوّر، ويظهر ذلك من خلال المظاهر الآتية:

أ- تطوّر الحركة المزدوجة الهابطة الواويّة(aw).

تتطوّر الحركة المزدوجة الهابطة (aw) وذلك بانكماشها إلى ضمّة طويلة ممالة (ō) ، كما في نطق العامّة لكلمة(يَوْم)، في اللهجات العربية الحديثة المختلفة(١).

وقد وردت أمثلةٌ كثيرةٌ على هذا التطوّر في كتب لحن العامة منها:

- «جُوْرَب» بدل «جَوْرَب»(٢)، ويمثل التطوّر بالنحو الآتي:

ǧawrab > ǧōrab

حيث انكمشت الحركة المزدوجة الهابطة (aw) ، فصارت ضمّة ممالة(ō)، وذلك بسبب صعوبتها، إذْ تتطلب جهداً كبيراً لنطقها.

- «زُوش» بدل «زَوْش» للعبد اللئيم(٣)، ويمثل التطوّر بما يأتي:

zawš > zōš

حيث انكمشت أيضاً، الحركة المزدوجة الهابطة (aw)، فصارت ضمّة ممالة (ō) فتشكلت البنية العامية (zōš).

- «سُوسَن» بدل «سَوْسَن»(٤)، فانكمشت الحركة المزدوجة الواوية الهابطة (aw)؛ فصارت ضمّة ممالة (ō)، وذلك كما في المخطط الآتي:

sawsan > sōsan

---

(١) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه/٤٩.

(٢) ما تلحن فيه العامة/١٢٢ وإصلاح المنطق /١٦٢ وتصحيح التصحيف/٢١٧.

(٣) تقويم اللسان/١١٥ ولسان العرب (زوش) ٦/٣١٠ وتصحيح التصحيف/٢٩٨.

(٤) المدخل إلى تقويم اللسان/٩١ وخير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام/٣٦.

- «صُنُوبَر» بدل «صَنَوْبَر»(١)، وقد تطوّرت على النحو الآتي:

ṡanawbar > ṡanōbar > ṡunōbar

حيث انكمشت الحركة المركبة في المقطع الثاني (aw)، فصارت ضمّة ممالة (ō) فتكوّنت البنية (ṡanōbar)، ثم تأثرت فتحة الصاد بالضمّة الممالة فتماثلت معها، فصارت ضمّة، فتشكلت البنية العامية (ṡunōbar).

- «كُوسَج» بدل «كَوْسَج»(٢)، وحدث فيها ما حدث في الأمثلة السابقة، ويظهر تطوّرها كما في المخطط الآتي:

kawsaǧ > kōsaǧ

ومن الأمثلة على هذه الظاهرة أيضاً: «بَلُّور»(٣) و «بُورَق» للذي يلقى في العجين، و «ثُوبان» لمولى رسول الله(٤) - صلى الله عليه وسلم- و «خَنُّوس» لولد الخنزير(٥)، و «الرُّوزَنة»، و «الرُّوشَن»(٦) و «شُوصة»(٧).

و «لُوح» للهواء بين السماء والأرض(٨). بدلاً من: بِلَّوْر، وبَوْرَق وثَوْبان وخِنَّوْص، والرَّوْزَنة والرَّوْشَن، وشَوْصَة ولَوْح.

وجميعها أمثلة تثبت ميل العامة إلى الابتعاد عما هو صعب، وإنْ كان مقبولاً في العربية.

---

(١) لحن العامة/١٢١.

(٢) ما تلحن فيه العامة/١٢٢ وإصلاح المنطق/١٦٢ وتقويم اللسان/١٥٤، والكوسج: سمكة في البحر تأكل الناس، لسان العرب (كسج) ٢/٣٥٢.

(٣) تقويم اللسان/٨٠.

(٤) تصحيح التصحيف/٧٩، ١٧٤، ٢٠٢.

(٥) تثقيف اللسان/٩٨.

(٦) تقويم اللسان/١١٠.

(٧) تثقيف اللسان/٢٣٤.

(٨) المدخل إلى تقويم اللسان/٢١٢.

ب- تطوّر الحركة المزدوجة الهابطة اليائية (ay):

ويحدث ذلك بانكماشها إلى كسرة طويلة ممالة (ē) ، كما تنطق العامة في معظم أجزاء الوطن العربي كلمة «بَيْت» «بيت» (١)..

bayt > bēt

ومن أمثلة هذا التطوّر في كتب لحن العامة ما يأتي:

- «بيرم» النّجار بدل «بَيْرَم»(٢)، وهو حديدة.

bayram > bēram

حيث انكمشت الحركـة المزدوجـة الهابـطة اليائية (ay)، فصارت كسرة طويلة ممالة (ē).

- «دِيزَج» لفرسٍ لونه بين السواد والبياض، بدل «دَيْزَج»(٣)، ويمثل التطوّر بالنحو الآتي:

dayzaǧ > dēzaǧ

وقد تحولت أيضاً الحركة المزدوجة في هذه الكلمة (ay) إلى كسرة طويلة ممالة (e) بسبب صعوبتها.

- «بيطار» بدل «بَيْطار»(٤).

bayṭār > bēṭār > bīṭār

---

(١) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه/٥٠.

(٢) تقويم اللسان/٨٠.

(٣) السابق/١٠٥ وتصحيح التصحيف/٢٦٧.

(٤) تصحيح التصحيف/١٧٧، وهو من البَطْر بمعنى الشقّ.

- «تعالِي» بدل «تَعَالَيْ»(١).

ta<ālay > ta<ālē > ta<ālī

- «رِيحان» بدل «رَيْحان»(٢).

rayḥān > rēḥān > rīḥān

- «العِيش» بدل «العَيْش»(٣).

(>)al<ayš > (>)al<ēš

- «غِيْرَة» بدل «غَيْرَة»(٤).

ġayrah > ġērah > ġīrah

- «قِيح» بدل «قَيْح»(٥).

ḳayḥ > ḳēḥ

- «نِيفَق» بدل «نَيْفَق» القميص(٦).

nayfaḳ > nēfaḳ

حيث انكمشت في هذه الكلمات جميعها الحركة المزدوجة الهابطة اليائية (ay) فصارت كسرة طويلة ممالة (ē)، ثم تحوّلت الكسرة الطويلة الممالة (ē) إلى كسرة طويلة (ī) في بعضها.

ويُتوقع من هذا الميل العام للغة نحو هذه الظاهرة أن تكون الأمثلة كثيرة جداً وعامّة.

---

(١) تقويم اللسان/٨٦.

(٢) السابق/١١٠.

(٣) التنبيه على غلط الجاهل والنبيه/٩٤-٩٥.

(٤) لحن العامة/١٢٨.

(٥) السابق/١٥٢.

(٦) لحن العامة/١١٧ وتقويم اللسان/١٧٨.

ج- تطوّر الحركة الناجمة عن انكماش الحركة المزدوجة إلى الفتح الخالص:

وقد تتطوّر الحركة الممالة الناجمة عن انكماش الصوت المركب، فتصير فتحة طويلة، وذلك مثل كلمة : «فَأيــن» التي تعــرَّضت لسقوط الهمزة منها، فصارت (فَيْن: fayn)، ثم انكمش الصوت المركب فيها؛ فصارت (فِين: fēn)، وفي بعض اللهجات : (وِين: wēn) المتطورة عن «وَأيْن»، غير أن بعض أهالي صعيد مصر، ينطقون (fēn) بالفتح الخالص، فيقولون: «فان: fān» بدلاً من : «فِين: fēn» الشائعة فيما عدا ذلك في مصر(١).

وظهر مثل هذا التطوّر في العربية القديمة، ومن ذلك ما يروى عن أهل الحجاز من أنهم كانوا يقولون في «يَوْجَل» : «يا جَلُ»(٢)، ومثل ذلك أيضاً: «القال» بدلاً من «القَوْل» في عبارة «القيل والقال»(٣).

وقد ظهر هذا التطوّر في كتب لحن العامة أيضاً، ومن ذلك:

- «سُمَارِيَّة» لضرب من السفن بدلاً من: «سُمَيْرِيَّة»(٤)، حيث تعرّضت «سُمَيْرِيَّة» لانكماش الحركة المزدوجة فيها (ay)، فتحوّلت إلى كسرة طويلة ممالة؛ فصارت الكلمة (سُميرِيّة)، ثم تعرّضت الكسرة الطويلة الممالة للفتح الخالص؛ فصارت الكلمة (سُمارِيَّة)، ويوضّح ما سبق المخطط الآتي:

سُمَارِيَّة	سُمِيرِيَّة	سُمَيْرِيَّة
sumāriyyah <	sumēriyyah <	sumayriyyah
الفتح الخالص	انكماش الصوت المركب	الأصل

---

(١) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه/٥١.

(٢) المقتضب: ١/٩٠.

(٣) لسان العرب (قول) ١١/٥٧٤.

(٤) تصحيح التصحيف/٣١٩.

- «نَافِق» القميص بدل من : «نَيْفَقه»(١)، حيث تعرّضت الكلمة للإمالة الشديدة فتحولت الحركة المزدوجة اليائية الهابطة (ay) إلى كسرة طويلة ممالة (ē)، فصارت الكلمة (نِيفَق: nēfaḳ) وهو نطق عامة أهل المشرق(٢). ثم تعرّضت الكلمة لمرحلة الفتح الخالص؛ فصارت (نَافَق: nāfaḳ)(٣)، ثم أُبدلت فتحة الفاء كسرة، فصارت (nāfiḳ)(٤)، ويظهر ذلك على النحو الآتي:

الأصل	انكماش الحركة المزدوجة	الفتح الخالص	إبدال الفتحة كسرة
نَيْفَق	نِيفَق	نَافَق	نافِق
nayfaḳ >	nēfaḳ >	nāfaḳ >	nāfiḳ

- «وَالَك» بدلاً من : «وَيْلَك»(٥)، ويفسّر تطورها بالنحو الآتي:

الأصل	الإمالة	الفتح الخالص
وَيْلَك	ويِلك	والك
waylak >	wēlak >	wālak

حيث انكمشت الحركة المزدوجة الهابطة اليائية (ay) ، فتحوّلت إلى كسرة طويلة ممالة (ē)، ثم تعرّضت تلك الكسرة الطويلة الممالة للفتح الخالص، فصارت الكلمة (wālak).

(١) تصحيح التصحيف/٥٠٦ وهو الموضع المتسع منها، لسان العرب (نفق) ١٠/٣٦٠.
(٢) إصلاح المنطق/١٦٣ ولحن العامة/١١٧.
(٣) لحن العامة/١١٧.
(٤) تصحيح التصحيف/٥٠٦.
(٥) السابق/٥٣٩.

٢- تحوّل نواة الحركة المزدوجة:

وقد تتعرّض نواة الحركة المزدوجة الصاعدة للتغير، ومن أمثلة ذلك في القراءات القرآنية قراءة «الوَلاية» بمعنى الموالاة والصلة؛ بدلاً من: «الوِلاية» بمعنى الرئاسة والرعاية(١)، في قوله تعالى ﴿هُنَالِكَ الوَلايَةُ للهِ الحقِّ هوَ خَيْرٌ ثوابا﴾(٢)، حيث تغيرت الحركة المزدوجة الصاعدة (wi) إلى الحركة المزدوجة الصاعدة (wa) لتغير النواة، وقد حدث هذا التغير؛ لأن الفتحة أخف من الكسرة.

ومن مثل هذا في كتب لحن العامة ما يأتي:

- دقيق «حَوَّارَى» بدل «حُوَّارى»(٣)، ويمثل تطوّرها بالنحو الآتي:

ḥuwwārā > ḥawwārā

حيث تغيّرت نواة الحركة المزدوجة الواوية الهابطة (uw) من الضمّ إلى الفتح؛ فصارت (aw)، وذلك بسبب تأثير المماثلة المدبرة الكلية.

- «وِسْقٌ» بدل «وَسْق»(٤)، ويمثل تطوّرها بالنحو الآتي:

wasḳun > wisḳun

حيث تغيّرت نواة الحركة المزدوجة الواوية الصاعدة (wa) من الفتح إلى الكسر فصارت (wi)، على الرغم من سهولة الفتحة مقارنةً بالكسرة.

وقد وردَ في اللسان: «الوَسْق والوِسْق: مِكْيَلَة معلومة»(٥)، وهذا يدلّ على أنهما لغتان مستعملتان على المستوى الفصيح.

---

(١) تفسير البحر المحيط: ١٣٠/٦ وقد قرأ بالكسر الأخوان والأعمش وابن وثاب وشيبة وابن غزوان عن طلحة وخلف وابن سعدان وابن عيسى الأصبهاني وابن جرير، وقرأ باقي السبعة بفتحها.

(٢) الكهف: ٤٤.

(٣) تصحيح التصحيف/٢٣٥، وهو الدقيق الأبيض، لسان العرب (حور) ٢٢٠/٤.

(٤) تثقيف اللسان/٣٢٢، وهو ستون صاعاً.

(٥) لسان العرب (وسق) ٢٧٨/١٠.

- «وَفَـاز» بدل «وِفَـاز» لمن لم يكن عـلى طمـأنينة(١)، وقـد تطوّرت عـلى النحـو الآتي:

wifāzun > wafāzun

فتغيرت أيضاً نواة الحركة المزدوجة الصاعدة (wi) من كسرة إلى فتحة، فصارت الحركة المزدوجة (wa) ؛ لأن الفتحة أخف من الكسرة.

ووردَ في اللسان: يقال: قعد على أوفاز من الأرض وَوِفاز... قال [أبو بكر] ولا تقل على وِفاز. وأوفاز -كما في اللسان- واحدها: وَفَز(٢)، وعليه فاستخدام العامة (وَفَاز) لا لحن فيه سوى أنهم أشبعوا فتحة الفاء.

(١) تقويم اللسان/٧٠، ووردَ في كتاب إصلاح المنطق/٢٧٣ (وَفَز) بمعنى عجلة.

(٢) لسان العرب (وفز) ٥/٤٣٠.

٣- الفرار من الحركة المزدوجة الواوية إلى الحركة المزدوجة اليائية:

إن الانتقال في حدّ ابتداء الحركة المزدوجة من الواو إلى الياء، أمرٌ تفترضه طبيعة اللغة العربية، وإنْ كان هذا غير إلزامي؛ لأن الياء أخف من الواو عند العرب، وعندما تتغيّر شبه الحركة من الواو إلى الياء مع المحافظة على الحركة المزدوجة صاعدة كانت أو هابطة، ينتج نمط جديد من الأنماط اللغوية التي دخلت في المعجم، واستعملت جنباً إلى جنب مع الصيغة الأصلية القديمة(١).

- «ما آلَيْتُ» جَهْداً بدل «ما أَلَوْت» بمعنى قَصَّرْتُ(٢). ويفسّر تطوّرها بما يأتي:

آلَيْتُ		آلَوْتُ		أَلَوْتُ
>ālaytu	>	>ālawtu	>	>alawtu
الانتقال من الحركة المزدوجة الواوية إلى اليائية		تطويل الحركة		الأصل

حيث أشبعت فتحة الهمزة، فصار المقطع الأول من الكلمة (>ā)، ثم استثقل الناطق الحركة المزدوجة الواويّة الهابطة (aw)؛ ففرَّ منها إلى الحركة المزدوجة اليائية الهابطة (ay)، وذلك بإبدال شبه الحركة (w) شبه الحركة (y)، فالياء أخف من الواو.

ووردَ في اللسان أن «بعضهم يقول: ولا أَلَيْت، إتباع لَدَرَيْت»(٣). وربما كان في ذلك إشارة إلى جواز استعمال : أَلَيْت، وأمّا آلَيْت بإشباع الفتحة فهو اللحن.

- بينهما «بَيْن» بدل «بَوْن»(٤). وحدث فيها ما حدث في سابقتها،إذْ استثقل الناطق أيضاً الحركة المزدوجة الواوية الهابطة (aw) ، ففرَّ منها إلى الحركة المزدوجة اليائية

---

(١) انظر: دور الحركات المزدوجة في توليد الصيغ اللغوية/٢٠.

(٢) تصحيح التصحيف/١٢٣.

(٣) لسان العرب/ (ألا) ١٤/٤١.

(٤) تقويم اللسان/٨٢.

الهابطة (ay) ، ويظهر ذلك على النحو الآتي:

bawnun > baynun

وقد ذكر ابن السكيت أنه «يقال إنَّ بينهما لَبَوْناً في الفضل وَبَيْناً. لغتان. فأمّا في البُعْد فَيُقال إن بينهما لبيناً»(١). وبالرجوع إلى اللسان وجد أن البون تعني «المسافة ما بين الشيئين»، وأمّا «البَيْن» فعلى وجهين: الأول بمعنى الفرقة، والثاني بمعنى الوصل، وهو من الأضداد(٢). ومن خلال هذا الكلام يمكن إدراك أن البَيْن تحمل معنى يقترب من معنى «البَوْن»، فكلاهما يدل على البعد بين شيئين، هذا إنْ لم تدل البين على الوصل؛ ولهذا استعملت العامة (البون) مكان (البين)، وهو استعمال مقبول كما يظهر من الكلام السابق.

- «جِيعان» بدل « جَوْعان»(٣)، ويمثل التطوّر بالنحو الآتي:

جَوْعان   جَيْعان   جِيعان

ğaw<ān > ğay<ān > ğī<ān

حيث استثقل الناطق الحركة المزدوجة الواوية الهابطة (aw)؛ ففرَّ منها إلى الحركة المزدوجة اليائية الهابطة (ay)، وبعد ذلك تعرَّضت هذه الحركة المزدوجة (ay) للإمالة الشديدة؛ فتحوَّلت إلى كسرة طويلة ممالة إمالة شديدة فصارت البنية العامية (ğī<ān). وربّما تطوّرت جَوْعان (ğaw<ān) إلى (ğō<ān) ، ثم أبــدلت الضمّة الطويلة الممالة (ō) إلى كسرة طويلة ممالة إمالة شديدة (ī)؛ فصارت (ğī<ān).

---

(١) إصلاح المنطق/١٣٦، والبَوْن هنا بمعنى التفاوت، والبَوْن لغة عالية، وهناك من يقول بينهما بَيْنٌ بعيد، إصلاح المنطق/١٨٧.

(٢) لسان العرب (بون) ١٣/٦١-٦٢.

(٣) تثقيف اللسان/١١٢ وتصحيح التصحيف/٢١٩.

- «أرياح» في جمع ريح، بدل «أرواح»(١)، ويمثل التطوّر بالنحو الآتي:

أرواح : أرياح

>arwāḥ > >aryāḥ

ويمكن تفسير ما حدث في هذه الكلمة بأن الناطق استثقل الحركة المزدوجة الواويّة الصاعدة (wā)، ففرّ منها إلى الحركة المزدوجة اليائية الصاعدة (yā)؛ لأن شبه الحركة (y) أخف من شبه الحركة (w)؛ فصارت بذلك البنية (>aryāḥ).

وقدوردَ في اللسان أن «جمع الرِّيح أرواح، وأراويحُ جمع الجمع، وقد حُكيتْ أرْياح وأرايح، وكلاهما شاذ، وأنكر أبوحاتم على عُمارة بن عقيل جمعَهُ الريحَ على أرْياح»(٢).

- فلانٌ «أصْيَت» من فلان، بدلاً من «أصْوَت»، بمعنى أشدّ صوتاً(٣). ويمثل التطور بما يأتي:

أصْوَت أصْيَت

>aṡwat > >aṡyat

فاستثقل الناطق الحركة المزدوجة الواوية الصاعدة (wa)، ففرَّ منها إلى الحركة المزدوجة اليائية الصاعدة (ya).

- «قَيَّمْتُ» بدل «قَوَّمْتُ»(٤)، وقد تطورت الكلمة بالنحو الآتي:

قَوَّمْتُ قَيَّمْتُ

ḳawwamtu > ḳayyamtu

(١) تثقيف اللسان/١١٢ وخير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام/١٩.

(٢) لسان العرب (روح) ٢/٤٥٥.

(٣) المدخل إلى تقويم اللسان/١٢٥.

(٤) تثقيف اللسان/١١٣ وتصحيح التصحيف/٤٣٢.

حيث تحتوي الكلمة على حركتين مزدوجتين الأولى هابطة واوية (aw) والثانية صاعدة واويّة أيضاً (wa)؛ فتحوّل حدّ الانتهاء في الحركة المزدوجة الأولى إلى ياء، وتحوّل حد الابتداء في الحركة المزدوجة الثانية إلى ياء أيضاً، فتكونت حركتان مزدوجتان: الأولى يائية هابطة (ay)، والثانية يائية صاعدة (ya).

- «هَجَيْتُ» الرجل، بدلاً من: «هَجَوْتُ»(١)، ويمثل التطوّر بالمخطط الآتي:

هَجَيْت   هَجَوْت

haǧawtu > haǧaytu

فاستثقل الناطق الحركة المزدوجة الواوية الهابطة (aw)، ففرَّ منها إلى الحركة المزدوجة اليائية الهابطة (ay)، فتكونت بذلك البنية العامية (haǧaytu)، وهي أيسر من الأولى.

- «مِنْيار ومنايِر» بدل «مِنْوار ومَناوِر»، للذي يُستَصْبَح به على أبواب الملوك(٢)، ويمثّل التطوّر بالنحو الآتي:

مِنيار   مِنْوار

minwārun > minyārun

مَنَايِر   مَنَاوِر

manāwiru > manāyiru

ففرّ الناطق من الحركتين المزدوجتين الصاعدتين الواويتين (wā) و (wi) إلى الحركتين المزدوجتين الصاعدتين اليائيتين (yā) و (yi)، وذلك لاستثقالهما.

---

(١) إصلاح المنطق/ ١٨٦ وتصحيح التصحيف/٥٢٩.

(٢) تثقيف اللسان/١١٢.

٤- الفرار من الحركة المزدوجة اليائية إلى الحركة المزدوجة الواويّة:

وعلى الرغم من صعوبة الحركة المزدوجة الواويّة، مقارنةً مع الحركة المزدوجة اليائية، فقد ورد في كتب لحن العامة أمثلة ظهر فيها الانتقال من الحركة المزدوجة اليائية إلى الحركة المزدوجة الواوية، ومن هذه الأمثلة:

- «رَقْوَة» بدلاً من «رُقْيَة»(١)، ويمثل هذا التطوّر بالمخطط الآتي:

رُقْيَة رُقْوَة رَقْوَة

rukyah > rukwah > rakwah

فانتقل الناطق من الحركة المزدوجة اليائية الصاعدة (ya) إلى الحركة المزدوجة الواوية الصاعدة (wa) ، ثم تماثلت ضمّة الراء مع فتحة الواو تماثلاً مدبراً كلياً منفصلاً؛ فانقلبت إلى الفتحة، وربما كان في حدوث هذا التماثل نوعٌ من التخفيف والتيسير ، فعندما أُبدلت شبه الحركة الياء واواً حدث تثقيل، وعندها لا بدّ من الإتيان بما يخففها ويحقق نوعاً من التعادل الصوتي، فجيءَ بالفتحة، وهي أخفُّ الحركات؛ لتحلَّ محلَّ الضمّة على الراء، فيصبح نطق الكلمة مقبولاً مستساغاً.

- «كُلْوَة» بدل «كُلْيَة»(٢)، وقد تطورت على النحو الآتي:

kulyah > kulwah

حيث انتقل الناطق من الحركة المزدوجة اليائية الصاعدة (ya) إلى الحركة المزدوجة الواويّة الصاعدة (wa).

وورَدَ في اللسان: «والكُلْوَة: لغة في الكُلْيَة لأهل اليمن»(٣)، ولكنَّ الصفدي يرى أنّ ذلك الكلامَ مردودٌ(٤).

---

(١) لحن العامة/١٥٣، وهي تعني «العُوذة» ، لسان العرب (رقا) ٣٣٢/١٤.

(٢) إصلاح المنطق/٣٤٢، ووردَ في كتاب لحن العامة/٧٩ أنهم يقولون: كَلْوَة بفتح الكاف والصواب: كُلْيَة، ووردَ في كتاب تثقيف اللسان/١١٢ أن العامة تقول: «كُلْوَة» بضم الكاف والعامة الآن ينطقونها: كِلوة بالواو أيضاً وكسر الكاف.

(٣) لسان العرب (كلا) ٢٢٩/١٥.

(٤) تصحيح التصحيف/٤٤٣.

- «هَوْبَة» بدل «هَيْبَة»(١)، ويمثل التطوّر بالمخطط الآتي:

هَيْبَة   هَوْبَة

haybah > hawbah

فانتقل الناطق من الحركة المزدوجة اليائية الهابطة (ay) إلى الحركة المزدوجة الواويّة الهابطة (aw)؛ فتكوّنت البنية العاميّة (hawbah).

٥- الفرار من الحركة المزدوجة بالقلب المكاني:

وقد تتخلص العامةُ من الحركة المزدوجة التي تعدّ من السياقات الصوتية الصعبة بالقلب المكاني، ومن أمثلة ذلك قولها:

«الصَّلْوَجَان» بدل «الصَّوْلَجان»(٢)، وقد تطوّرت على النحو الآتي:

الصَّوْلَجان   الصَّلْوَجان

(>)aṣṣawlağānu > (>)aṣṣalwağānu

حيث تخلّص الناطق من الحركة المزدوجة الواويّة الهابطة (aw) بالقلب المكاني، إذْ حلّت الواو مكان اللامِ واللامُ مكان الواو، وبسبب ذلك نتجت حركة مزدوجة واويّة صاعدة (wa)، وهذه الحركة المزدوجة أكثر قبولاً إذا ما قورنت مع الحركة المزدوجة (aw).

---

(١) لحن العامة/١١٦.

(٢) تصحيح التصحيف/٤٤٧، والصَّوْلَجان: العود المعوجُ، فارسي معرّب، لسان العرب (صلج) ٢/٣١٠.

٦- تَخَلُّق الحركة المزدوجة:

وعلى الرّغم من صعوبة الحركات المزدوجة، ومحاولة التخلص منها، فقد وردت في كتب لحن العامة أمثلة ظهر فيها تكوّن هذه الحركات المزدوجة، وربمّا فسّر ما حدث في معظمها على أنه من باب التوهم والحذلقة والتقعّر والمبالغة في التصويب، ومن هذه الأمثلة:

ـ «حُمَّيْض» بدل «حُمَّاض»(١)، ويُفسّرُ التطوّر على النحو الآتي:

حُمَّيْض	حُمّيض	حُمّاض
ḥummaydun <	ḥummēḍun <	ḥummāḍun
التوهم	الإمالة	الفتح

جيث توهموا أن الفتحة الطويلة (ā) متطوّرة عن كسرة طويلة ممالة متطوّرة هي الأخرى بدورها، توهماً ،عن الحركة المزدوجة اليائية الهابطة (ay)؛ فأعادوها إلى الأصل المتوهم (ḥummayḍun)، ويدعم هذا التفسير أنه وردَ نطقهم (حُمَّاض) بالإمالة (حُمِّيض: ḥummēḍ)(٢)، في فترة متقدمة، كما هو الحال في نطق العامّة الآن. وعلى هذا النحو أيضاً يفسّرُ تطوّر «خَبَّاز» إلى «خُبَّيز»(٣) و «السُّكَاكَة» إلى «السُّكَيْكا»(٤).

---

(١) المدخل إلى تقويم اللسان/١٢٩، والحُمّاض: نبتٌ جَبَليٌّ، وهو من عُشْب الربيع. لسان العرب (حمض) ٧/١٣٩.

(٢) تثقيف اللسان/٩٠.

(٣) تصحيح التصحيف/٢٣٨.

(٤) لحن العامة/٢١٦، وفيه أن السُّكاكة تعني الهواء بين السماء والأرض.

- «حوّاقة» القوم بدل «حُوَاقَه»(١)، ويمثل التطور بالنحو الآتي:

حَوّاقة　　حُوّاقة　　حُوَاقة

ḥuwākah > ḥuwwākah > ḥawwākah

المماثلة في الحركات،فتكوين　　إغلاق المقطع المفتوح　　الأصل

الحركة المزدوجة　　ذي الحركة القصيرة

حيث تخلّقت الحركة المزدوجة (aw)؛بسبب إغلاق المقطع القصير ذي الحركة القصيرة عن طريق التشديد، وتأثرِ نواة هذا المقطع (u) بنواة المقطع الذي يليه (ā) تأثراً مدبراً كلياً.

وعلى ضوء هذا التفسير يمكن تفسير تخلّق الحركة المزدوجة فيما هو نحو: «دَوّار»(٢)، و «قَوّارة» القميص وأبو «نَوّاس»(٣)، والأصل فيها: «دُوَار» و «قُوَارة» و «نُوَاس».

- «دَيْباج» بدلاً من: «دِيباج»(٤)، ويمثل التطور في هذه الكلمة بالنحو الآتي:

dībāǧ > daybāǧ

وقد تخلّقت الحركة المزدوجة اليائية الهابطة (ay)؛ بسبب المبالغة في التفصّح والتوهم بأن الكسرة الطويلة الممالة إمالة شديدة (ī) متطورة عن الحركة المزدوجة (ay)؛ فأعادوها إلى أصلها المتوهم؛ فتكوّنت الحركة المزدوجة اليائية الهابطة (ay).

---

(١) تصحيح التصحيف/٢٣٥، والحُوَاقة: الكُناسة، وربما الإطار المحيط بالشيء المستدير حوله؛ لسان العرب (حوق) ٧١/١٠.

(٢) لحن العامة/٢١٢.

(٣) تقويم اللسان/١٤٩، ١٧٩.

(٤) السابق/١٠٤ وتصحيح التصحيف/٢٦٧، وهو ضربٌ من الثياب، لسان العرب (دبج) ٢٦٢/٢.

وقد وردَ في اللسان أنّ الدِّيباج «بالكسر والفتح، مُوَلَّدٌ»، ووردَ فيه أيضاً قول الليث: «الدِّيبـاج أصـوب من الدَّيْبـاج»(١)، وفي ذلك إشـارة إلى أن تلك اللفظة (الدَّيْباج) ليست عامية، وإنما لغة في الدِّيباج، ولكنّ الكسر أجود من الفتح.

- «رَوْح» بدل «رُوح»(٢)، ويمثل التطور بالنحو الآتي:

rūḥun > rawḥun

حيث توهموا أن الضمّة الطويلة الخالصة(ū) متطوّرة عن الحركة المزدوجة الواوية الهابطة (aw) قياساً على أمثلة تعرّضت الحركة المزدوجة فيها للإمالة الواوية الشديدة؛ فأعادوها إلى أصلها المتوهم، كما تعاد هذه الأمثلة إلى أصلها الفصيح؛ فتكوّنت بذلك الحركة المزدوجة الواويّة الهابطة (aw).

- «شَوْنيز» للحبَّة السَّوداء بدل « شُونيز»(٣)، ويمثل التطوّر بالنحو الآتي:

شُونيز > شَوْنيز

šōnīz > šawnīz

فتوهموا أن الضـمّة المـالة متطوّرة عن الحركة المزدوجة الواويّة الهـابطة (aw) فأعـادوها إلى أصلها المتوهم، قياساً على الضمّة المالة فيما هو نحو (ḳōm) والتي تعاد إلى أصلها الفصيح (ḳawm)، فتكوّنت بذلك الحركة المزدوجة الواوية الهابطة (aw).

- «قَرَيْتُ» الكتاب بدل «قرَأت»(٤)، ويمثل التطوّر بالمخطط الآتي:

قَرَأت > قَرَيْتُ

ḳara>tu > ḳaraytu

---

(١) لسان العرب (دبج) ٢/٢٦٢.

(٢) تصحيح التصحيف/٢٩١.

(٣) تثقيف اللسان/٣٢٤.

(٤) السابق/٨٧.

وقد تَخَلَّقت الحركة المزدوجة اليائية الهابطة (ay)؛ بسبب حذف الهمزة الذي سبب فجوةً؛ لهذا انزلقت شبه الحركة (y) تعويضاً وسداً لهذه الفجوة، وعلى هذا النحو يمكن تفسير نشوء الحركة المزدوجة في كثير من الكلمات الواردة في كتب لحن العامة، وسيتم عرض كثير منها أثناء الحديث عن الهمزة.

- «هَوْنا» بدل «هُنا»(١)، وقد تطوّرت على النحو الآتي:

هُنا   هُونا   هَوْنا

hunā > hōnā > hawnā

حيث تعرّضت الضمّة للإمالة؛ فأشبعت، فصارت ضمّة طويلة ممالة (ō)، ثم توهموا أن هذه الضمّة الطويلة الممالة(ō) متطوّرة عن الحركة المزدوجة الهابطة الواوية (aw)، فأعادوها إلى أصلها المتوهم، فصارت الكلمة (hawnā).

---

(١) تصحيح التصحيف/٥٢٩.

٤- الإبدال الصوتي التاريخي

يقصد بالإبدال الصوتي التاريخي «التغيير المنتظم الذي ينتاب صوتاً من الأصوات في كل سياقاته اللغوية»، ويرتبط هذا التغيير بمكان وزمن معينين(١)، ويحدث لستهيل النطق في الغالب، فالهدف منه، إذن، تحقيق نوعٍ من الاقتصاد في عمليات النطق المتتابعة(٢)، ولا بدَّ لحدوثه من القرب بين الأصوات المتبادلة، وقد يكون هذا القرب في المخرج أو بسبب الاشتراك في بعض الصفات الصوتية، كالجهر والهمس والشدة والرخاوة، ويقتصر هذا الإبدال على النقل والسماع، دون أن يكون قياسياً يسمح للناطق بصوغ أمثلة جديدة في اللغة(٣) في الغالب.

ويختلف هذا الإبدال عن الإبدال التركيبي؛ لأن التركيبي يتطلب لحدوثه بيئة صوتية معينة، فتتغير صفاته تغييراً تركيبياً آنياً، يزول بزوال تلك البيئة، وذلك كما في كلمة (اصْطبر) وما هو نحوها؛ إذْ أصل الطاء تاء مرققه، أبدلت بسبب مجاورتها صوتاً مفخماً وهو الصاد(٤).

ومن مظاهر هذا الإبدال التاريخي في كتب لحن العامة ما يأتي:

١- الإبدال بين الميم والباء:

يتفق صوت الميم مع الباء في أنهما صوتان شفويان مجهوران، إلاّ أن الهواء مع الميم يخرج من الأنف، ومع الباء من الفم، والميم صوت مائع، والباء صوت شديد (٥).

---

(١) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه/١٧ والمدخل إلى علم الأصوات/٦٧.

(٢) المنهج الصوتي للبنية العربية /١٦٨.

(٣) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث /٧٣.

(٤) التطوّر اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه/١٧ والمحيط في أصوات العربية/١١٣-١١٤.

(5) O'connor, J.D, Better English Pronunciation, (1984), P. 39-42, 49.

وانظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس/٤٦-٤٧.

وعلى وفق ما سبق فإن إمكانية إبدال أحدهما من الآخر واردةٌ؛ لاشتراكهما في المخرج، وقدوردت أمثلة على تناوبها في اللغة العربية، ومن ذلك: الرِّبا، والرِّما، والرُّجْبَة، والرُّجْمَة، بمعنى الشيء الذي تُعْمَدُ به النخلة لئلا تقع، والساسَم والساسَب لشجرٍ، والقَرْهَب والقَرْهَم للسيّد(١) وبُعْكوكة التي أصلها مُعْكُوكة(٢).

أي انه يمكن أن نصفهما بأنهما صوتان، يمكن أن يبدل أحدهما من الآخر، ومن الأمثلة على هذا التبادل في كتب لحن العامة:

أ- إبدال الميم باءً:

ومن الأمثلة على ذلك في كتب لحن العامة ما يأتي:

- «بلاغم» لما حول الفم، بدل «ملاغم»(٣).

malāġim > balāġim

-«خبَّشْتُ» وَجْهَهُ، بدل «خَمَشْتُهُ»(٤)، إلاّ أن يراد التكثير.

ẖammaštu > ẖabbaštu

فالأصل هو خَمَش وخَمَّشَ، ولكن ابن الجوزي يرى أنَّ الفصيح هو (خَرْبَش). ويذكر أن عامة عصره يقولون: خرْمَشَ(٥).

وقد فسّر عبدالعزيز مطر هذا التباين في النطق؛ فقال «ولعلّ الأصل في خبش وجهه، وخَرْمَشَ الكتاب واحد، وهو خَمَشَ وخَمَّش عند التكثير... ووفقاً لقاعدة التغاير... استبدل بأحد الصوتين المضعفين في خمّش أحد الأصوات الشبيهة بأصوات

---

(١) المزهر في علوم اللغة /٤٦٣-٤٦٤.

(٢) سر صناعة الإعراب: ١١٩/١، وهي من المعك بمعنى الشدة.

(٣) تثقيف اللسان/١١٣.

(٤) السابق/٩٠ وتصحيح التصحيف/٢٣٨.

(٥) تقويم اللسان/١٠٣.

اللين، وهو الراء؛ فصار: خرمش. واستبدلت الباء بالميم في لهجة ثانية، فالراء زائدة في الحالتين. والمعنى واحد...»(١).

- «زُرْبانقة» بدل «زُرْمانقة»، وهي عبرانية، تكلمت بها العرب(٢).

zurmānḳah > zurbānḳah

وقد وردَ في اللسان أن أصل هذه الكلمة هو «أُشْتُرْبانَهْ»(٣)، فربما أرادوا إعادة بعض الحروف إلى أصلها؛ فأعادوا الميم إلى الباء.

- «بَشيمة» للجلدة التي يخرج فيها الولد، بدل «مَشيمة»(٤).

mašīmah > bašīmah

«فانْبِص اللحية» بدل «فانْمِصْها»(٥).

(>)inmiṣ > (>)inbiṣ

ويفسّر عبدالعزيز مطر التطوّر فيها؛ فيقول: «النون في «انمصها» جاورت الميم، ومقتضى هذه المجاورة بين النون والميم بالذات وكلاهما أنفي، أن تفنى النون فناءً تامّاً في الميم. ولعلّ الرغبة في عدم فناء النون أدت إلى قلب الميم إلى نظيرها من أصوات الفم، وهو الباء»(٦).

ب- إبدال الباء ميماً:

ومن أمثلته في كتب لحن العامّة:

---

(١) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة/٢٢١.

(٢) تصحيح التصحيف /٢٩٥، وهي جبّة الصوف.

(٣) لسان العرب (زرمق) ١٠/١٤٠.

(٤) تثقيف اللسان/٩٠.

(٥) لحن العامة/٤٨ وتصحيح التصحيف/٤٩٩، والنَّمْصُ: رقّةُ الشعر ودقّتُه، لسان العرب (نمص) ٧/١٠١.

(٦) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة/٢٢١.

- «يا حاملُ اذكرْ حلاً»، بدل «يا حَابِل»، أي يا مَنْ يشد الحبل(١).

ḥābilu > ḥāmilu

وقد ذكر ابن سيدة أن اللحياني روى ذلك بالميم (حامل)، وهو تصحيف(٢)، ويمكن تفسير ذلك على أنه من باب الإبدال التاريخي؛ بسبب قرب مخرجي هذين الصوتين، كما أشير سابقاً.

- «لغة عِمْرانية» بدل «عِبْرانية»(٣).

<ibrāniyyah > <imrāniyyah

- «قِنَّمٌ» بدل «قِنَّبٌ» و «قُنَّبٌ»(٤).

ḳinnabun > ḳinnamun

حيث أبدلت في هذه الأمثلة الباء ميماً، لتوحد مخرجي الباء والميم.

٢- إبدال الفاء باءً:

قد تبدل الفاء باء، وهذا مما تقرّه القوانين الصوتية؛ لقرب مخرجي الصوتين، فالباء صوت شفوي مجهور شديد -كما أشير سابقاً- والفاء صوت شفوي أسناني(٥) مهموس رخو(٦).

ومن الأمثلة على هذا الإبدال ما يأتي:

---

(١) تصحيح التصحيف/٢٢٠.

(٢) لسان العرب (حبل) ١١/١٣٤.

(٣) تقويم اللسان/١٣٨ وخير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام/٤٠.

(٤) المدخل إلى تقويم اللسان/٩٧ وهي تعني ضربٌ من الكتّان، لسان العرب (قنب) ١/٦٩١

(5) Roach, P. English Phonetics and Phono l ogy, (1987). P. 39.

وانظر: في صوتيات العربية/١٥٧، ١٥٩.

(٦) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس/٤٧.

- بلا «تَربُّق» بدل بلا «تَرَفُّق»(١).

taraffuḳun > tarabbuḳun

- «بَرْبَنْد» بدل «فِرْوَند»(٢).

firwand > parpand

- «بُوتَنْك» بدل «فُوتَنْج» بمعنى الحبق(٣).

fōtanğ > pōtank

و «فِرْوند» و «فُوتَنْج» كلمتان معرّبتان عن الفارسية، يمكن تفسير تطورهما على أنهما تنطقان بصوت بين الباء والفاء (وهو الباء المهموسة: p) وهذا الصوت غير موجود في العربية؛ لهذا عُرِّبَ فاءً(٤)، وقد يُعَرَّبُ باء(٥)؛ وعليه فنطق العامة هذا الصوتَ باءً ليس من اللحن، ويدعم هذا الكلام كلمة «فُرَانِق» التي هي معرّب «بَرْوانْك»، وقد نطقتها العامة «فَرْوانك»(٦) أي كما في المخطط الآتي:

parwānk > farwānk

ويدعم ما سبق، أيضاً، «تطوّر الباء المهموسة(p) في اللغات السامية الأم، إلى «فاء» في اللغات السامية الجنوبية، وهي العربية والحبشية، وقد بقي الأصل كما هو، في اللغات السامية الشمالية، وهي: العبرية، والآرامية، والأكادية، مثال ذلك كلمة: pōl في العبرية، التي صارت في العربية: «فول»، وفي الحبشيّة: fāl»(٧).

---

(١) لحن العامة/٢٠٦ وتصحيح التصحيف /١٨١.

(٢) تقويم اللسان/١٤٤.

(٣) السابق /١٤ وتصحيح التصحيف/١٧٤.

(٤) الكتاب: ٣٠٦/٤ ولحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة/٢٢٢.

(٥) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة/٢٢٢.

(٦) تصحيح التصحيف/٤٠٥.

(٧) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه/١٧.

وتطوّر الپاء المهموسة (p) في العبّرية والآرامية إلى «فاء: f» ، «مسألة خاصّة بالسياق الصوتي فيهما، فإن هذا الصوت مع خمسةٍ أخرى، يطلق عليها أصوات (بجد كبت) الأصل فيها أن تكون انفجاريةً، إلاّ إذا جاءت بعد حركة، فإنها في هذه الحالة تتحول إلى أصوات احتكاكية، دون أن يتأثر المعنى بذلك ،فمثلاً: كلمة «فتح» في العربية، تقابل في العبريّة pāṯaḥ، كما تقابلُ في الآرامية: pṯaḥ ، غير أن المضارع من هذا الفعل في العبريّة هو: yiftaḥ وفي الآرامية: neftaḥ ، فلم تُنطق «الپاء» فيهما «فاء» إلاّ لوقوعها هنا بعد حركة»(١).

- «مُبَرْطح» بدل «مُفَلْطَح»(٢)، ويرى عبدالعزيز مطر أن أصل هذه الكلمة (مُفطّح)؛ وبسبب قانون المخالفة صارت (مُفَلْطح أو مُفَرْطح) ثم تعرّضت الطاء في (مُفَرْطح) للإبدال؛ فصارت باءً(٣)، ويمكن توضيح ما سبق بالمخطط الآتي:

mufaṭṭaḥun > mufarṭaḥun > mubarṭaḥun

الأصل — مخالفة — إبدال الفاء باء

- «نَبِيَّة» بدل «نَفِيَّة» للسُّفرة التي تُعْمَلُ من الخوص(٤).

nafiyyatun > nabiyyatun

فأبدلت الفاء باءً لقرب مخرجي الصوتين من بعضهما.

وقد وردَ في اللسان أن الناس تُسمّى النِفيَّة «النَّبِيَّة» وهي النَّفيَّة(٥)، وربما في ذلك إشارة إلى أنها بالباء عاميّة مع أنه يمكننا القول أيضاً أنه لم يصرّح بذلك.

---

(١) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه/١٨.

(٢) تصحيح التصحيف/٤٦١، والمفَلْطح هو العريض وكذلك المُفَرْطَح ، لسان العرب (فلطح) ٢/٥٤٩.

(٣) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة/٢٢٢.

(٤) تصحيح التصحيف/٥٠٩-٥١٠.

(٥) لسان العرب (نفي) ١٥/٣٣٨.

٣- الإبدال بين الأصوات المائعة (Liquid Sound)

تشترك هذه الأصوات جميعها في أن مخارجها متقاربة، وفي وصفها بالجهر وفي أنها ليست بالشديدة ولا بالرخوة، وفي سهولتها وكثرة دورانها على الألسنة(١)؛ ولهذا كان أمر إبدال الواحد من الآخر مما تقرّه القوانين الصوتية:

أ- الإبدال بين اللام والراء:

وردَ في كتب اللغة أمثلة ظهر فيها تناوب الراء واللام، ومن هذه الأمثلة: سهمٌ أمرطٌ وأملط، لا ريش عليه، وجَرَمَ الشيء وجَلَمَهُ بمعنى قطعه، وزَرَفْتُ وزَلَفْتُ بمعنى دنوت، وهَدَرَ الحمامُ وهَدَلَ(٢) والطِّلْس والطِّرْس للصحيفة إذا مُحِيَتْ(٣).

وورد في كتب لحن العامة، أيضاً، أمثلةٌ ظهر فيها إبدال اللام راءً وأخرى ظهر فيها إبدال الراء لاماً.

١- إبدال اللام راء:

ومن الأمثلة على ذلك ما يأتي:

- «بَرَغْواطة» بدل «بَلَغْوَاطة»(٤).

balaĝwāṭah > baraĝwāṭah

- «براقع» بدل «بلاقع»(٥).

balāḳi<u > barāḳi<u

---

(١) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس/ ٢٥، ٤٦-٤٧، ٥٢-٥٦.

(٢) الإبدال: ٢/٦٤، ٦١، ٥٦، ٥٩.

(٣) لسان العرب (طلس) ٦/١٢٤.

(٤) تصحيح التصحيف/١٥٤.

(٥) السابق/١٥٥، وهي الخالية التي لا شيء فيها، لسان العرب (بلقع) ٨/٢١.

- «زَجَرَتْ» الناقة بجنبها، إذا رَمَتْ به، بدل «زَجَلَتْ» به(١).

zağalat > zağarat

- «خَشْرٌ» بدل «خَشْلٌ» لرؤوس الحُلِي، وما تكسَّر منه(٢).

haŝlun > haŝrun

- بصل «العُنْصُر» بدل العُنْصُل»(٣).

(>)al<unŝulu > (>)al<unŝuru

- «رُكْنَةٌ» للعجمة في اللسان والعيّ، بدل «لُكْنَة»، وذلك عند بعض العوام(٤).

luknah > ruknah

- «نَثَرَ» كِنَانَتَهُ بدل «نَثَل»»(٥).

natala > natara

وقد ذكر أبو الطيب اللغوي أن «نَثَرَ عليه دِرْعَهُ ونَثَلَها: إذا لبسها»(٦) وهذا يعني أنها ليست من لحن العامة بل هي لغة.

٢- إبدال الراء لاماً:

ومن الأمثلة التي تظهر ذلك أيضاً ما يأتي:

(١) لحن العامة/١٣٣.

(٢) تصحيح التصحيف/٢٤٥.

(٣) تقويم اللسان/١٣٨ والعُنْصُل نوع من البصل.

(٤) التنبيه على غلط الجاهل والنبيه/٩٩-١٠٠.

(٥) تصحيح التصحيف/٥١٠.

(٦) الإبدال: ٢/٦١

- «خِنْجَل» بدل «خَنْجَر» بمعنى سكين(١).

ẖanǧar > ẖinǧal

- زُرْزُل» للطائر، بدل «زُرْزُور» التي جمعها زَرازِير(٢).

zurzūr > zurzūl > zurzul

فالرّاء أبدلت لاماً، وهو إبدالٌ تقرّه القوانين الصوتية؛ بسبب ما ذكر سابقاً، وربما فُسّرَ هذا الإبدال على أنه من باب المخالفة الصوتية بين الراء في المقطع الأول والراء في المقطع الثاني؛ وذلك بإبدالها في المقطع الثاني لاماً.وتعرّضت لتقصير حركة المقطع الثاني؛ فصارت ضمة قصيرة.

- «يَطْحَل» بدل «يَطْحَر» لمن يتنفس نفساً عالياً(٣).

yaṭḥaru > yaṭḥalu

فأبدلت أيضاً الراء لاماً. وهو إبدال سائغ؛ لأن الصوتين يشتركان في صفة السيولة أو الميوعة.

- «القَلَسْطُون» بدل «القَرَسْطون» للميزان العظيم(٤).

(>)alkarasṭōn > (>)alkalasṭōn

فأبدلت الراء لاماً كذلك.

- «قُسْطال» لناقِد الدراهم، بدل «قِسْطار»(٥).

kisṭārun > kusṭālun

---

(١) المدخل إلى تقويم اللسان /٢٠٠.

(٢) لحن العامة /٢١٤ وورد في كتاب تصحيح التصحيف/٢٩٤؛ أنها بدل «زُرْزُر» .

(٣) تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة/٣٦.

(٤) لحن العامة/٨٣.

(٥) السابق/٨٢-٨٣.

ب- الإبدال بين اللام والنون:

وردَ في كتب اللغة أمثلة ظهر فيها تناوب اللام والنون، ومن هذه الأمثلة: خامِل وخامِن، وقد جاء في كتاب «لحن العامة» للزُبيدي سبب الإبدال في هذه الكلمة وهوتقارب مخرجي اللام والنون(١)، ومن الأمثلة أيضاً عُنوان الكتاب وعُلْوانه، وهَتَلَتْ السماءُ وهَتَنَتْ(٢) وغير ذلك.

ووردَ أيضاً في كتب لحن العامة أمثلة، أبدلت فيها اللام نوناً، وأخرى أبدلت فيها النون لاماً وهو -كما أشير سابقاً- إبدال تقرّه القوانين الصوتية.

١- إبدال اللام نوناً

ومن الأمثلة التي تظهر هذا الإبدال ما يأتي:

- «أدان» بدل «أدال»(٣).

>adāla > >adāna

- «زجّان» بدل «زجّال» لِمُرْسِل الحمام(٤).

zağğālun > zağğānun

- «المِقْنِينُ» لبعض الطيور بدل «المِقْلِين»(٥).

(>)almiklīnu > (>)almiknīnu

---

(١) لحن العامة/٩٣.

(٢) الإبدال: ٢/٣٩٧، ٣٨٢.

(٣) تثقيف اللسان/١١٠، والإدالة تعني الغلبة، لسان العرب (دول) ١١/٢٥٢.

(٤) تصحيح التصحيف /٢٩٣.

(٥) المدخل إلى تقويم اللسان/١١١.

- «الوَرَن» بدل «الوَرَل»، لِدُوَيْبَّة أصغر من الضب(١).

(>)alwaralu > (>)alwaranu

وفي الأمثلة السابقة يظهر إبدال اللام نوناً، وهو إبدالٌ تقرّه القوانين الصوتية.

٢- إبدال النون لاماً:

وقد يحدث العكس، فتبدل النون لاماً، ومن أمثلة ذلك في كتب لحن العامة ما يأتي:

- «زُلامِيّ» للمزمار، بدل «زُنَامِيّ»(٢).

zunāmiyyu > zulāmiyyu

- «زُوال» لحبّة تكون في الحنطة، تُنَقّى منها، بدل «زُؤان» و «زُوان»(٣).

zuwānun > zuwālun

- «فَيْجِل» بدل «فَيْجَن»(٤).

fayǧan > fayǧil

وقد وردَ في اللسان أن «الفَيْجَن والفَيْجَل: السَّذاب»، وهي على الأغلب غير عربية(٥). وهذا يعني أن نطقها باللام ليس من اللحن فهو لغة، وإنما كَسْرُ الجيم هو اللحن في هذه الكلمة.

- «لارَنج» بدل «نَارَنج»(٦).

nāranǧ > lāranǧ

---

(١) تقويم اللسان/١٨٣، وقد جاءَ في لسان العرب (ورل) ١١/٧٢٤،أن الوَرَل: دابّة على خِلقة الضب، إلاّ أنه أعظم منه، يكون في الرمال والصحاري.

(٢) تثقيف اللسان/١١٠.

(٣) لحن العامة /١٤٢، وقد وردَ في كتاب المدخل إلى تقويم اللسان/٤٩، أن العامة تقول: زُوّال.

(٤) تثقيف اللسان/١١٠.

(٥) لسان العرب (فجن) ١٣/٣٢١، ويبدو أنه شيء يُؤْكل.

(٦) تصحيح التصحيف/٦٧، وقد نطقت العامة هذه الكلمة على النحو الآتي: «لارَنْج»و «وآرَنْج» و «يارنج».

ج- الإبدال بين النون والميم:

تشترك النون مع الميم -إضافة لما ذُكر سابقاً- في أن مجرى الهواء معهما يكون من الأنف(١)؛ وبسبب هذا التقارب الشديد، زادت إمكانية الإبدال بينهما.

وقد جاءت أمثلة على هذا الإبدال في كتب اللغة منها: الأيْم والأيْن بمعنى الحيَّة(٢)، والحَزْم والحَزْن لما غلظ من الأرض في رأي الأصمعي، والغَيْمُ والغَيْن للسحاب الأسود القاتم، وامتُقِعَ لونه وانْتُقِعَ(٣)، والمَدى والنَّدى بمعنى الغاية(٤)، وغير ذلك.

ومن الأمثلة التي تظهر هذا الإبدال في كتب لحن العامة ما يأتي:

- «براثم» بدل «براثن»(٥).

barāṯinun > barāṯimun

وردَ في اللسان أنه «في حديث القبائل: سُئِلَ عن مُضَرَ فقال: تميمٌ بُرْثُمَتُها وجُرْثُمَتُها؛ قال الخطابي: إنما هو بُرْثُنَتُها، بالنون، أي مَخالِبُها، يريد شَوْكَتَها وقُوَّتَها، والميم والنون يتعاقبان، فيجوز أن تكون الميمُ لغةً، ويجوز أن تكون بدلاً لازْدواج الكلام في الجُرْثومة كما قال: الغَدايا والعشايا»(٦).

- «حُلْزوم» للدود الذي يغيب في قِشْرِه، بدل «حَلَزُون»(٧).

ḥalazūnun >	ḥalazūmun >	ḥulazūmun >	ḥulzūmun
الأصل	إبدال النون ميماً	إبدال فتحة الحاء ضمة بسبب المماثلة	تسكين اللام (حذف الحركة)

(١) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس/٥٦.

(٢) المزهر:١/٤٦١.

(٣) الإبدال: ٢/٤٢٩، ٤٢٤، ٤٣٠.

(٤) المزهر : ١/٤٦٨.

(٥) تثقيف اللسان/١١١، والبراثن من السباع بمنزلة الأصابع من الناس.

(٦) لسان العرب (برثن) ١٣/٥٠.

(٧) تصحيح التصحيف/٢٣٠.

حيث أُبدلت النون ميماً، وأبدلت فتحة الخاء ضمة؛ تأثّراً بضمّة الزاي الطويلة وحذفت حركة اللام؛ فصارت ساكنةً لميل العربية إلى التخلص من توالي المتحركات، فتكونت البنية العامة (hulzūmun).

- «خَمَّمَ» بدل «خَمَّنَ»(١).

h̲ammana > h̲ammama

وربما أبدلت النون ميماً تأثّراً بالميم التي تسبقها؛ وذلك لجذبها النون نحو مخرجها فصارت ميماً مماثلة لها.

٤- الإبدال بين السين والزاي:

تشترك السين مع الزاي في المخرج، وهو التقاء أول اللسان بالثنايا السفلى أو العليا، وفي الرخاوة، إلاّ أن صوت السين مهموس وصوت الزاي مجهور(٢)؛ ولهذا كان أمر إبدال أحدهما من الآخر مما تقرّه القوانين الصوتية.

وقد وردت في كتب اللغة أمثلة على هذا الإبدال منها: الجِبْز والجِبْس بمعنى الضعيف، والرِّجْز والرِّجْس بمعنى العذاب(٣)، وشَأز وشأس بمعنى غليظ،ونَسَغه ونَزَغه بمعنى طعنه بيدٍ أو رمح(٤)، وغير ذلك.

ومن الأمثلة على إبدال السين زاياً في كتب لحن العامة ما يأتي:

- «الزَّيْكَران» بدل «السَّيْكُران»(٥).

(>)assaykurānu > (>)azzaykarānu

---

(١) تثقيف اللسان/١١١.

(٢) الأصوات اللغوية ، إبراهيم أنيس/٦٣-٦٤.

(٣) الإبدال: ١١٥/٢، ١١٦.

(٤) المزهر : ٤٦٧/١.

(٥) تصحيح التصحيف/٢٩٩، ووردت في لسان العرب (سكر) : ٣٧٥/٤، بفتح الكاف وليس بضمّها وهي نبتٌ تدوم خضرتُهُ.

حيث أبدلت ضمّة الكاف فتحةً لتماثل فتحة الراء الطويلة تماثلاً مدبراً كلياً منفصلاً، وأبدلت السين المهموسة إلى نظيرها المجهور وهو الزاي؛ فصارت الكلمة(azzaykarānu(>))

- «القَلْقَاز» بدل «القَلْقَاسُ»(١).

(>)alkulkāsu > (>)alkulkāzu

فأبدلت السين المهموسة زاياً مجهورة تأثراً بصفة الجهر في اللام.

- «نَزْق» لآلة النسّاج، بدل «مِنْسَق» من نَسَقَ يَنْسُقُ(٢)، وربما تطوّرت مِنْسَق أولاً إلى نَسْق، ثم أبدلت السين زاياً مجهورة تأثراً بالقاف المجهورة، ويمثل ذلك بما يأتي:

naskun > nazkun

- «النَقْرَزُ» بدل «النَقْرِسُ»، لداءٍ معروف(٣).

(>)annakrisu > (>)annakrazu

ويمكن تفسير إبدال السين زاياً مجهورة على أنه من باب المماثلة المدبرة الجزئية المنفصلة مع الراء المجهورة.

٥- الإبدال بين السّين والشّين:

يصدر صوت السين من طرف اللسان، حين يلتقي بأصول الثنايا العليا أو السفلى، وأمّا صوت الشين فيصدر عند التقاء أولِ اللسان وجزءٍ من وسطه بوسط الحنك الأعلى، ويترك التقاءُ العضوين مع السين فراغاً أضيق من مجرى

---

(١) المدخل إلى تقويم اللسان/١٩٦.

(٢) لحن العامة/٢٣٢.

(٣) المدخل إلى تقويم اللسان /١٧٨-١٧٩.

الشين عند مخرجه(١).

ويظهر -مما سبق- قربُ مخرجيهما، كما أنهما يشتركان في الرخاوة والهمس(٢)؛ لهذا كان أمر إبدال أحدهما من الآخر مما تقبله القوانين الصوتية فضلاً عن العلاقة التاريخيّة بين هذين الصوتين، إذْ تحوّلت الشين الساميّة إلى سين في العربية، وتحوّلت السين الساميّة إلى شين في العربية كذلك(٣)، ويظهر ذلك مثلاً في كلمة «السارية» في العربية المعرّبة من الآرامية (šārīta)، فالسين أصلها شين، وفي كلمة (دِمَشْق) المعرَّبة من الآرامية: Dammesek، فالشين أصلها سين(٤).

ومن الأمثلة التي تظهر هذا التناوب المقبول صوتياً بينهما، والواردة في كتب اللغة: جَرْسٌ من الليل وجَرْش بمعنى قِطْعة، وحَمِشَ الشرُّ وحَمِسَ أي اشتدَّ(٥)، والسُّدْفة والشُّدْفة بمعنى الظلمة، وغبسَ الظلام وغَبشَ(٦)، وفَقَسْتُ البيضَةَ وفقشْتُها بمعنى فقصْتها(٧)، وغير ذلك.

أ- إبدال السين شيناً:

وفي ضوء ما سبق، يمكن تفسير ما أبدلت فيه السين شيناً، مما وردَ في كتب لحن العامة، وذلك من مثل:

- «مِشْحَذَة» بدل «مِسْحَتَة»، للحديدة التي يستعملها الذين يدقون اللحم(٨)، وقد تطورت كما في المخطط الآتي:

---

(١) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس/٦٣، ٦٥.

(٢) السابق/٦٣، ٦٤.

(٣) أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية/٤٠.

(٤) السابق/٣٤، وانظر التطور النحوي للغة العربية/٢٥.

(٥) الإبدال: ٢/١٥٨، ١٥٩.

(٦) الإبدال: ٢/١٥٥.

(٧) السابق: ٢/١٦٥.

(٨) تصحيح التصحيف/٤٨١.

mishạtatun > misḥadatun > misḥaḏatun > mišḥaḏatun

الأصل ‏ ‏ ‏ إبدال التاء دالاً ‏ ‏ ‏ إبدال الدال ذالاً على التوهم ‏ ‏ ‏ إبدال السين شيناً

حيث أبدلوا التاء دالاً، ثم توهموا أن أصل هذه الدال ذالاً؛ فأعادوها إلى الأصل المتوهم، وأبدلوا السين شيناً، ولعلّهم أعادوا السين إلى أصلها التاريخي، وهو الشين؛ فصارت الكلمة بذلك: (mišḥaḏatun).

- «شَنَّ» عليه دِرْعَه، بدل «سَنَّ»، بمعنى صَبَّها(١).

sanna > šanna

فأُبدلتْ السين شيناً.

- «شَذانِق» لبعض الطيور، بدل سُوذانِق، وسَوْذَق، وسَوْذَنيق و سَيْذَنُوق(١).

sōḏānik > šaḏānik

وهذا الأسم فارسي معرّب(٣)، وعرّب على عدّة صور(٤) منها: السَّوْذق والشَّوْذَق(٥) والسُّوذانِيق والسَّوْذَنِيق، والشَّوْذَنِيق(٦). ومن خلال هذا الكلام يظهر أن هذه الكلمة تقال بالسين والشين، فَنُطْقُ العامة لها بالشين ليس فيه لحن.

- «لَطَّشَ» الكتاب، إذا محاه، بدل «طَلَّسَهُ»(٧)، حيث تعرّضت الكلمة للقلب المكاني؛ فصارت (لَطَسَ)، ثم ضعّف صوت الطاء للدلالة على التكثير؛ فصارت

---

(١) إصلاح المنطق/٣٢٨ وتقويم اللسان/١١٧.

(٢) لحن العامة/١٠٩ وورد في كتاب تثقيف اللسان/٧٦: سَوْذَنوق بدل سَوْذَنيق وفي كتاب تصحيح التصحيف/٣٣٣، وردَ أن العامة تقول «شُذانِق» بدل «سُوذانِق وسُوذَق وسَوْذَنيق بالسين والدال المهملة.

(٣) لحن العامة/١٠٩.

(٤) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة/٢٣٤.

(٥) الإبدال: ٢/١٥٩ والمعرب من الكلام الأعجمي /١٨٦-١٨٧.

(٦) المعرّب من الكلام الأعجمي/١٨٦.

(٧) تصحيح التصحيف/٤٥٤.

«لَطَّسَ»، ثم أبدلت السين شيناً، وهو إبدالٌ تقرّه القوانين الصوتية -كما أشير سابقاً- أو ربما كانت الشين هي النطق الأصلي، فأعادوا الكلمة لأصلها، ويظهر ذلك في المخطط الآتي:

ṭalasa > laṭasa > laṭṭasa > laṭṭaša

- «كُرْدُوش» للعظم التام، بدل «كُرْدُوس»(١).

kurdūs > kurdūš

وحدث فيها ما حدث في الأمثلة السابقة.

- جاري «مُكَاشِرى» بدل «مُكَاسِرى»، وقد أخطأ اللحياني في هذه الكلمة فظنَّ أنها بالشين من كَشَّر في وجهه. فَصَوَّبها له ابن السكيت وقال إنها بالسين، بمعنى كِسْر بيتي إلى كِسْر بيته(٢).

mukāsirā > mukāširā

وفي هذه الكلمة أيضاً أبدلت السين شيناً.

- «تَلَبَّشَ» فلان بفلان إذا تعلّق به، بدل «تَلَبَّس» من اللباس(٣).

talabbasa > talabbaša

فابدلت السين شيناً، فتكوّنت البنية العاميّة (talabbaša).

- فلان «مُمَشْقِع» بدل «مُمَسْقِع»، وهو «المتبجج»، وهو المتبجبح كثير الكلام(٤).

mumaskiʿun > mumaškiʿun

فأبدلت أيضاً السين شيناً، فتكوّنت البنية العامية (mumaškiʿun).

---

(١) تصحيح التصحيف/٤٤٠.

(٢) السابق/٤٩٣-٤٩٤.

(٣) تثقيف اللسان/٧٦.

(٤) تصحيح التصحيف/٤٨١.

ب- إبدال الشين سيناً:

وفي ضوء ما سبق أيضاً، يمكن تفسير ما أبدلت فيه الشين سيناً، مما وردَ في كتب لحن العامة ومن ذلك:

- «حَسْرَجَ» الرجلُ بدل «حَشْرَجَ»(١).

ḥašraǧa > ḥasraǧa

- «سرَّجتُ» الخُرْج بدل «شرَّجتُ»(٢).

šarraǧtu > sarraǧtu

- «سَلْجَم» لبعض البقول، بدل «شَلْجَم»(٣).

šalǧam > salǧam

فيجعل ابن مكي الصقلي النطق الأصيل بالشين، ونطق عامة عصره بالسين، ولكن ابن الجوزي يجعل النطق الأصيل بالسين (سَلْجَم)، ونطق عامة عصره بالشين، وبعضهم ينطقه بالثاء(٤).

ووردَ في اللسان: «السَّلْجَم: نبت، وقيل: هو ضرب من البقول؛ ... وفي التهذيب: المأكول يقال له سَلْجَم، ولا يقال له شَلْجَم ولا ثَلْجَم؛ وأنشد ابن بري لأبي الزحف:

هذا وربِّ الرّاقصاتِ الرُّسَّمِ

شِعْري، ولا أُحْسِنُ أَكْلَ السَّلْجَمِ

---

(١) المدخل إلى تقويم اللسان/١٦٦، وحَشْرَجَ: ردّدَ صوت النفس في حلقه من غير أن يخرجه بلسانه، لسان العرب (حشرج) ٢/٢٣٧.

(٢) تثقيف اللسان/٧٥ وشرّج تعني نضد بعضَهُ إلى بعض، لسان العرب (شرج) ٢/٣٠٥.

(٣) تثقيف اللسان/٧٦.

(٤) تقويم اللسان/١١٩.

وقال: ومنهم من يتكلم به بالشين المعجمة، ويُرْوَى الرجز بالسين والشين، وقال: والصواب بالسين المهملة. قال أبو حنيفة: السَّلْجَمُ معرّب وأصله بالشين، والعرب لا تتكلم به إلا بالسين، قال: وكذا ذكره سيبويه بالسين في باب عِلَل ما يجعله زائداً فقال: وتُجْعَل السينُ زائدة إذا كانت في مثل سَلْجَمَ»(١).

ويذكر الصفدي أن عامّة عصره ينطقونه بالثاء، وبعضهم بالشين، ويرى أن الصواب هو ما حكاه «أبو عمر الزاهد» عن «ثعلب» بأنه بالسين المهملة(٢).

ومما سبق يظهر أن النطق الفصيح لهذه الكلمة المعرّبة بالسين؛ وبهذا نطقت العامة في عصر ابن مكي بما هو فصيح، ويظهر أن أصل هذه الكلمة المعرّبة بالشين، وعليه فنطق هذه الكلمة بالسين أو بالشين ليس من لحن العامة.

٦- الإبدال بين الدال والتاء:

تشترك التاء مع الدال في أن كليهما صوت أسناني لثوي، ومخرجهما واحد، وهو مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا، إلاّ أن التاء صوت مهموس والدال نظيره المجهور(٣).

وعلى وفق ما سبق يظهر أن مخرجي الصوتين واحد وأنّهما يشتركان في صفة الشدة، وهذا يعني أنّ إمكانية إبدال أحدهما من الآخر واردة، والدليل على ذلك تناوب هذين الصوتين في كلمات سجلتها كتب اللغة، ومن هذه الكلمات: التَّوْلَج والدَّوْلَج للكِنَاس، وسَبَنْتَى وسَبَنْدَى للنَّمِر ومدَّ في السير ومتَّ(٤).

---

(١) لسان العرب (سلجم) ١٢/٣٠١-٣٠٢..

(٢) تصحيح التصحيف/٢٠٢.

(٣) الكتاب: ٤/٤٣٣، ٤٣٤.

(٤) المزهر: ١/٤٦٤.

وفي ضوء ذلك يمكن تفسير قول العامّة:

- ثوبٌ «دُستَرِيّ»، بدل «تُستَرِيّ» نسبة إلى «تُستَر»(١).

tustariyyun > dustariyyun

حيث جهر العامّي التاء؛ فصارت دالاً.

- «تخاريس» القميص، بدل «دخاريص»، وهي فارسية معرّبة(٢).

daẖārīsu > taẖārīsu

فهمس العاميّ الدال؛ فصارت تاءً؛ فتشكلت البنية (taẖārīsu)، والدّخاريص جمع مفرده الدِّخْرِيص، وذكر «الليث: الدِّخْرِيصُ من الثوب والأرض والدرع التيرِيزُ، والتِّخْرِيصُ لغةٌ فيه»(٣)، و هذا يعني أن نطق هذه الكلمة بالتاء ليس من لحن العامة.

- «الكَنْعَتُ» بدل «الكَنْعَدُ» لضرب من السمك(٤).

(>)alkan<adu > (>)alkan<atu

فَهُمِست الدال أيضاً؛ فصارت تاءً.

وقد ورد في اللسان: «كنعد: الكَنْعَتُ: ضَرْبٌ من السمك كالكَنْعَد، قال:وأرى تاءه بدلاً والنون ساكنة والعين منصوبة»(٥).

---

(١) المدخل إلى تقويم اللسان/١٢٣.

(٢) تقويم اللسان/١٠٤.

(٣) لسان العرب (دخرص): ٣٥/٧، وقد وردَ في كتاب معجم الألفاظ الفارسية المعرّبة/٣٤، أن التّخْرِيص بنيقة الثوب تعريب تِيرِيز، والتُّخرصة والتخريص والتخريصة والدّخرِص لغات فيه.

(٤) تصحيح التصحيف/٤٤٦.

(٥) لسان العرب (كنعد) : ٣٨٢/٣.

٧- الإبدال بين القاف والكاف:

يتفق صوتا القاف والكاف في أنهما شديدان مهموسان، هذا من حيث الصفة، أما من حيث المخرجُ فيقترب مخرج القاف من مخرج الكاف، فهو للقاف عند اتصال أدنى الحلق (بما في ذلك اللهاة) بأقصى اللسان، وأما مخرج الكاف فهو عند اتصال أقصى اللسان بأقصى الحنك الأعلى، فمخرج القاف التي ننطقها اليوم أعمق قليلاً من مخرج الكاف(١).

«وتختلف القاف عن الكاف بأن القاف من الأصوات المستعلية؛ فتطوّر أحد الصوتين إلى الآخر له ما يؤيده من الناحية الصوتية، إذ ينتقل مخرج القاف إلى الأمام قليلاً، أو ينتقل مخرج الكاف إلى الخلف قليلاً»(٢).

وقد وردَ في كتب اللغة كلمات، ظهر فيها إبدال أحد هذين الصوتين من الآخر، ومن هذه الكلمات، قشطْتُ الكتابة عن القرطاس وكشطتها، وهذا أعرابي قح وكحٌّ، ونقب على القوم نِقابة ونكب عليهم نِكابة، والنقيب والنكيب لعريف القوم وغير ذلك(٣).

أ- إبدال القاف كافاً:

ويحدث ذلك بانتقال مخرج القاف إلى الأمام قليلاً -كما أشير سابقاً- ومن الأمثلة على هذا الإبدال، التي يمكن تفسيرها في ضوء ما سبق، والواردة في كتب لحن العامة ما يأتي:

- «تَرْكُوَة» بدل «تَرْقُوة»، للعظم الذي بين ثُغْرة النحر والعاتِق(٤).

---

(١) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس/٦٦-٦٩.

(٢) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة/٢٣٨.

(٣) الإبدال: ٢/٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٩.

(٤) تثقيف اللسان/١٠٩ وتصحيح التصحيف/١٨١.

tarḳuwah > tarkuwah

حيث مالت العامة إلى ترقيق هذه الكلمة، فنطقتها بالكاف.

-«حُكٌّ وحُكَّة» بدل «حُقٌّ وحُقَّة»، لبعض الأوعية، وكذلك حُكُّ الوَرِك، بدل «حُقُّه»(١).

ḥukḳun > ḥukkun

فأبدلت القاف كافاً؛ بسبب انتقال مخرج القاف إلى الأمام قليلاً.

-«الشبابك»، لضرب من النبات بدل «الشَّبابِق»(٢).

(>)aššabābiḳu > (>)aššabābiku

وحدث فيها ما حدث في المثالين السابقين.

- «عُكْسَة» لما تجمعه المرأة من شعرها، بدل «عِقْصَة»(٣).

<ikŝatun > <uksatun

حيث تعرّضت هذه الكلمة للترقيق؛ فأبدلت الصاد سيناً والقاف كافاً، ثم أُبدلت كسرة العين ضمّة، فتكونت البنية العامية:(<uksatun).

- «استَكْتَلَ» في الأمر، إذا جدَّ فيه، بدل استقتل(٤).

(>)istaḳtala > (>)istaktala

فانتقل مخرج القاف إلى الأمام قليلاً، فصارت كافاً.

---

(١) لحن العامة/٨٠ وتصحيح التصحيف/٢٢٨، والحُقُّ و الحُقَّةُ: هذا المنحوت من الخشب والعاج وغير ذلك مما يصلُح أن يُنحت منه، عربيّ معروف، وحُقُّ الوَرِك: مغرز رأس الفخذ. لسان العرب (حقق) ٥٦/١٠.

(٢) تصحيح التصحيف/٣٢٧.

(٣) تثقيف اللسان/١١٤.

(٤) المدخل إلى تقويم اللسان/١٩٧.

ب- إبدال الكاف قافاً:

ويحدث ذلك بانتقال مخرج الكاف إلى الخلف قليلاً، ومن الأمثلة على هذا الإبدال في كتب لحن العامة ما يأتي:

- اقطعه من حيث «رَقَّ» بدل «رَكَّ»، بمعنى ضعُفَ(١).

rakka > raḳka

وقد ذكر ابن قتيبة في «غريب الحديث»: «وهما سواء، ولكن المسموع بالكاف»(٢) وقد فسّر ما حدث في الكلمة عبدالعزيز مطر؛ فقال: «ويبدو لي أن قول عامة صقلية «اقطعْهُ من حيث رق» ، وهو من الأمثال الشائعة بين عامة المشرق قد انتقل إلى صقلية، بهذه الصورة التي نبّه اللغويون على خطئها، وقالوا إنّ صواب المثل: «اقطعه من حيث رك» أي ضعف. أو ربما نطقه بعض فصحائهم بالقاف، على أنه من الرّقة، وهي الضعف مثل الرقَق لا من الركاكة، كما قال أهل اللغة، وهي الضعف أيضاً»(٣).

- «القِشْمِش» بدل «الكِشْمِش»(٤).

(>)alkišmišu > (>)alḳišmišu

حيث انتقل مخرج الكاف إلى الخلف؛ فحدث استعلاء للصوت، فتحوّل إلى القاف؛ فتشكلت البنية العامية ((>)alḳišmišu).

- القَلْطبان عند العامة الأولى، والقَرْطَبان عند العامة السفلى، بدلاً من:

---

(١) تثقيف اللسان/١٠٩. وتقويم اللسان/١١٢.

(٢) تثقيف اللسان/١٠٩.

(٣) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة/٢٣٩؛ وقد اعتمد في كلامه هذا على ما وردَ في الصحاح (رقق).

(٤) تقويم اللسان/١٥٤، والكِشْمِش: ضربٌ من العنب وهو كثير بالسّراة، لسان العرب (كشمش) ٣٤٢/٦.

«الكَلْتبان»، للذي لا غيرة له على أهله والغالب أنها أعجميّة(١).

(>)alkaltabānu > (>)alḳalṭabānu

الأصل   عند العامة الأولى

(>)alkaltabānu > (>)alḳarṭabānu

الأصل   عند العامة السفلى

حيث تعرّضت الكلمة للتفخيم، فانقلبت الكاف قافاً بانتقال مخرجها إلى الخلف، وبسبب التوافق الصوتي، لا بدَّ للتاء أن تنقلب إلى نظيرها المفخم، وهو الطاء؛ فتكوّنت بذلك البنية ((>)alḳalṭabānu) عند العامة الأولى.

أمّا العامة السفلى، فأحدثت التغييرات الصوتية السابقة إضافة إلى إبدال اللام راء؛ فازدادت الكلمة تفخيماً؛ فتكوّنت بذلك البنية العامية ((>)alḳarṭabānu).

- «مَقْسٌ» لأُجرة الرحى، و «مَقّاس» لخادمه، بدل «مكْس» و «مكّاس»(٢).

maksun > maḳsun

makkāsun > maḳḳāsun

فانتقل مخرج الكاف إلى الخلف؛ فصارت الكاف قافاً.

ومن العامة من نطق القاف بصوت بين القاف والكاف، وهو الذي نسمّيه الآن «الجيم القاهرية (g)»(٣)، وظهر هذا النطق في قولهم: «بكِيرة» بصوت بين الكاف والقاف للقميص الذي لا كُمَّى له، بدل «بقيرة»، بقافٍ محضة(٤)، ويمثل هذا التطور

---

(١) تقويم اللسان/١٥٦ وتصحيح التصحيف/٤٢٨.

(٢) تثقيف اللسان/١٠٨-١٠٩ والمدخل إلى تقويم اللسان/١١٧.

(٣) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة/٢٣٩.

(٤) تثقيف اللسان/١٠٩.

بالمخطط الآتي :

bakīrah > bagīrah

ويقال : إنَّ هذا الصوت كان معروفاً في لهجة تميم(١).

(١) الصاحبي/٥٧ والمزهر : ١/٢٢٢.

الفصل الثاني

المخالفة الصوتية وتسكين المتحرك وتحريك الساكن

المخالفة الصوتية (Dissimilation)

يسير قانون المخالفة الصوتية في عكس اتجاه قانون المماثلة، فكما يحاول قانون المماثلة التقريب بين صوتين بينهما بعض الاختلاف، يعمد قانون المخالفة إلى «صوتين متماثلين تماماً في كلمة من الكلمات، فيغير أحدهما إلى صوت آخر، يغلب أن يكون من أصوات العلّة الطويلة»، أو من الأصوات المائعة (اللام والميم والنون والراء)(١).

وقد عرّف أحمد مختار عمر المخالفة بأنها: «تعديل الصوت الموجود في سلسلة الكلام بتأثير الصوت المجاور، ولكنه تعديل عكسي يؤدي إلى زيادة مدى الخلاف بين الصوتين»(٢).

وعرّفها صلاح الدين حسنين بأنها: نزعة صوتين متشابهين إلى الاختلاف،مثل تحول الشين إلى سين في كلمة «شمش» لتصبح : شمس، وتحول الراء إلى ياء في كلمة «قرّاط»؛ لتصبح : قيراط، وغير ذلك(٣).

والسبب في المخالفة الصوتية، «هو أن الصوتين المتماثلين يحتاجان إلى جهد عضلي؛ في النطق بهما في كملة واحدة،ولتيسير هذا المجهود العضلي، يقلب أحد الصوتين صوتاً آخر، من تلك الأصوات التي لا تتطلب مجهوداً عضلياً كاللام، والميم والنون»(٤).

ويرى بيرجشتراسر أن العلّة في المخالفة علّة نفسية محضة نظيره الخطأ في النطق «فإنا نرى الناس كثيراً ما يخطئون في النطق، ويلفظون بشيء غير الذي أرادوه، وأكثر ما يكون هذا إذا تتابعت حروف شبيهة بعضها ببعض؛ لأن النفس يوجد فيها قبل النطق بكلمة، تصوّرات الحركات اللازمة على ترتيبها، ويصعب عليها إعادة تصوّر بعينه بعد

---

(١) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه/٣٧.

(٢) دراسة الصوت اللغوي/٣٢٩.

(٣) المدخل إلى علم الأصوات/٨١.

(٤) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه/٤١.

حصوله بمدة قصيرة. ومن هنا ينشأ الخطأ، إذا أسرع الإنسان في نطق جملة محتوية على كلمات تتكرر وتتابع فيها حروف متشابهة»(١).

وقد أطلق القدماء على هذه الظاهرة تسميات مختلفة، مثل كراهية التضعيف واستثقاله، وكراهية اجتماع المثلين(٢)، وما إلى ذلك.

وأطلق المحدثون على هذه المصطلحات مصطلح المخالفة الصوتية، ومصطلح المغايرة الصوتية، إلاّ أن الدكتور عبدالقادر مرعي يجعل المخالفة مظهراً من مظاهر التخلص من توالي الأمثال(٣).

وقد وردت في كتب اللغة إشارات دالة على هذه الظاهرة الصوتية، ومن ذلك، مثلاً، ما ذكره سيبويه تحت عنوان: «ما شذّ فأبدل مكان اللام الياء لكراهية التضعيف، وليس بمطرد، وذلك قولك تَسَرَّيْت، وتَظَنَّيْتُ وتقصَّيْتُ من القصّة، وأمْلَيْتُ»(٤) وقولهم: دينار بدل دنّار، وديوان بدل دوّان، وديباح بدل دبّاج، وقيراط بدل قرّاط، وغير ذلك(٥). وقول المبرد: «واعلم أن التضعيف مستثقل، وأن رفع اللسان عنه مرة واحدة، ثم العودة إليه، ليس كرفع اللسان عنه، وعن الحرف الذي من مخرجه ولا فصل بينهما، فلذلك وجب. وقوم من العرب إذا وقع التضعيف أبدلوا الياء من الثاني لئلا يلتقي حرفان من جنس واحد؛ لأن الكسرة بعض الياء، وأن الياء تغلب على الواو رابعة، فما فوقها حتى تصيّرها ياء؛ لا يكون إلاّ ذلك... ومن ذلك قولهم في: تَقَضَّضْتُ تَقَضَّيْتُ، وفي أَمْلَلْتُ: أمليت، وكذلك تسرَّيْتُ في تَسَرَّرْتُ. والدليل على أنّ هذا إنما أبدل لاستثقال التضعيف قولُكَ: دينار، وقيراط، والأصل: دِنّار، وقِرّاط، فأُبْدِلَتُ الياء

(١) التطور النحوي/٣٤.

(٢) الكتاب: ٤/٤٢٤ والمقتضب: ١/٢٤٦ والخصائص: ٢/٨٩.

(٣) انظر: ظاهرة كراهية توالي الأمثال في العربية/١٣-١٩.

(٤) الكتاب: ٤/٤٢٤.

(٥) معاني القرآن: ٣/٢٦٧.

للكسرة، فلمّا فرّقت بين المضاعفين رجعَ الأصل، فقلت: "دنانير وقراريط، وقُرَيريط»(١). وما رواه أبو الطيب اللغوي من مثل: الخَدَنّق والخَدَرْنَق من أسماء العنكبوت(٢)، وما رواه عن الأصمعي واللحياني: تغلّلْتُ بالغالية، وتَغَلَّيْتُ بها، وتَلَعَّيْتُ منَ اللعَاعَةِ، والأصْلُ (تَلَعَّعْتُ) فقُلبَتْ العَيْن ياءً(٣). وغير ذلك، وجاءَ في لسان العرب: «ومن العرب من يقلب أحد الحرفين المدغمين ياء، فيقول في مَرٍّ، مَيْر، وفي زرّ: زِير، وفي رِزّ: ريز»(٤)، ومنهم من يقول: «حَنْظ وليس ذلك بمقصود، إنما هو غنّة تلحقهم في المشدّد، بدليل أن هؤلاء إذا جمعوا قالوا: حظوظ. قال الأزهري: وناس من أهل حمص يقولون: حنظ، فإذا جمعوا رجعوا إلى الحظوظ، وتلك النون عندهم غنّة، ولكنهم يجعلونها أصلية، وإنما يجيء هذا اللفظ على ألسنتهم في المشدّد، نحو الرزّ، يقولون: رُنْز»(٥).

وقد وردت أمثلة كثيرة على ظاهرة المخالفة في كتب لحن العامة، ويمكن تقسيمها إلى:

أولا: المخالفة بين الصامتين.

ثانياً: المخالفة بين الصائتين.

---

(١) المقتضب: ٢٤٦/١.

(٢) الإبدال: ٩٣/٢.

(٣) السابق: ٤١٩/٢، ٣٢٥.

(٤) لسان العرب (زور): ٤٢٥/٥.

(٥) السابق (حظظ): ٣١٩/٩.

أولا: المخالفة بين الصامتين:

وتحدث بين صوتين متماثلين، ومن الأمثلة عليها في كتب لحن العامة:

- «إنْجاص» بدل «إجّاص»(١)، ويمثل التطور بالنحو الآتي:

>iğğāṡun > >inğāṡun

حيث أبدلت الجيم الأولى نوناً تخلّصاً من توالي المثلين (ğğ)، وذلك بعد فك التضعيف؛ لأنه صعب على النطق.

وقد وردَ في اللسان أنّ «الإجّاص والإنْجاص: من الفاكهة معروف... وقال يعقوب: ولا تقل إنْجاص؛ قال ابن بري: وقد حكى محمد بن جعفر القزّاز إجّاصة وإنْجاصة، وقال: هما لغتان»(٢). وعلى وفق هذا الكلام لا يمكن عدّ إنْجاص من لحن العامة؛ لأنها رويت عن الفصحاء كما يبدو.

وكذلك الأمر في قولهم: «إنْجانة» بدلاً من: «إجّانة»(٣).

- «جَبْس» للذي يُلاط به البيوت، بدل «جِصّ»(٤)، ويمثل التطوّر بالنحو الآتي:

ğiṡṡun > ğaṡṡun > ğabṡun > ğabsun

فأبدلت كسرة الجيم فتحة، وهي أسهل الحركات، وأبدلت الصاد الأولى باءً، تخلصاً من المتماثلين، وفي هذه الكلمة المتعرّضة للمخالفة، يظهر أنه قد يُبْدَل أحد المتماثلين بصوت ليس من الأصوات المائعة، أو من أصوات العلّة الطويلة، فالباء ليست من الأصوات المائعة، ولا من أصوات العلة الطويلة،وهذا مما يخالف الاتجاه العام للتطوّر اللغوي الذي أشرنا إليه سابقاً، بل هو مما يمكن عدّه من براجماتية التطوّر الصوتي؛ لأنّ

(١) ما تلحن فيه العامة/١٦ وتقويم اللسان/٦٨.

(٢) لسان العرب (أجص) ٣/٧.

(٣) ما تلحن فيه العامة/١٦ وتقويم اللسان/٦٨.

(٤) تصحيح التصحيف/٢٠٦.

الياء أسهل من الصاد المضعّفة.

- «حِيشَ» الحشيش، بدل «حَشَّ» بمعنى يَبُسَ(١)، ويمثّل التطور بالنحو الآتي:

ḥaššа > ḥīša

فأُبدل صوتُ الشين الأوّل أحد أصوات العلّة الطويلة، هو هنا الياء؛ تخلّصاً من المتماثلين، اللذين يشكل نطقهما معاً صعوبة.

- «يُذْوِرَ» على زوجته نفقتها، بدل «يُدِرُّ»(٢)، ويظهر التطوّر بالمخطط الآتي:

yudirra > yudwira

فتخلّصوا من المتماثلين بإبدال الأول منهما واواً، والواو من أصوات العلّة سهلة النطق، فسبَّب ذلك إعادة ترتيب المقاطع.

- «عدَنْبَس» للأسد، بدل «عَدَبَّس»(٣) ويمثّل التطوّر بالنحو الآتي:

ˁadabbasun > ˁadanbasun

فتخلّصوا أيضاً من المتماثلين بإبدال الباء الأولى نوناً، والنون من الأصوات المائعة سهلة النطق.

- «عُوش» الطائر بدل «عُشّ»(٤)، ويمثّل التطوّر بالنحو الآتي:

ˁuš / šun > ˁu/ šun > ˁū /šun

حيث يمكن القول بأنّ هذه الكلمة تعرّضت للمخالفة الصوتية بين المتماثلين (šš)، فأبدلت الشين الأولى واواً، والواو من أصوات العلة سهلة النطق. ويمكن أن يقال بأنه حذف أحد المتماثلين، فسبب ذلك فجوةً في الكلمة؛ فعوّضَ عنه عن طريق إطالة نواة

---

(١) تثقيف اللسان/١٩٥-١٩٦.

(٢) تصحيح التصحيف/٥٥٥.

(٣) المدخل إلى تقويم اللسان/٢٠٤.

(٤) لحن العامة/٢٢٢.

المقطع السابق،وهي الضمّة.وكذلك الأمر في قولهم «قُوح» بدلاً من: «قُحّ» للخالص النسب(١)، ويمثل تطور هذه الكلمة بالنحو الآتي:

kuḥ/ḥun > ku/ḥun > kū/ḥun

الأصل — حذف الحاء من المقطع الأول — التعويض عن المحذوف بإطالة نواة المقطع الأول

- «عُرْقافة» للخشبة التي في رأسها حُجْنَة، بدل «عُقَّافة»(٢).

<ukkāfatun > <urkāfatun

فأبدلت إحدى القافين راء كراهية توالي الأمثال.

-«قَرْنَبيط» بدل «قُنَّبيط»(٣)، ويمثّل تطورها بالنحو الآتي:

kunnabīṭ > kannabīṭ > karnabīṭ

فأبدلوا ضمة القاف فتحة، وفرّوا من توالي المثلين بالمخالفة،فأبدلوا النون الأولى راءً، والراء من الأصوات المائعة التي لا تحتاج في نطقها لمجهود عضلي.

- «قَنْبان» للميزان العظيم، بدل «قَفَّان»(٤).

kaffānun > kappānun > kanpānun

وفي هذه الكلمة عادت الفاء العربية (f) إلى أصلها الفارسي (الپاء المهموسة: p)(٥)؛ وبسبب توالي مثلين (pp)، لجأ الناطق إلى التخلص من الپاء الأولى (p)، ونطق مكانها النون المائعة سهلة النطق، ثم تحوّلت الپاء المهموسة إلى الباء المجهورة (b).

---

(١) تثقيف اللسان/١٢٤.

(٢) تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة/٣٩.

(٣) تثقيف اللسان/١٢٣. وتصحيح التصحيف/٤٢٢ وورد في الأخير أن العامة تقول «قُرْنَبيط» بضم القاف.

(٤) تصحيح التصحيف/٤٣١.

(٥) لسان العرب (قفن) ١٣/٣٤٦.

- «كُرْناسة» للدفتر، بدل كُرَّاسة(١).

kurrāsah > kurnāsah

فخولفت الراء الثانية إلى النون، وصوتا الراء والنون متقاربان في المخرج، إضافة إلى أنهما من الأصوات المائعة سهلة النطق، ولكن أن تنطق راءً تليها نون أسهل من أن تنطق راءين متواليتين.

ومن الأمثلة على هذه الظاهرة أيضاً: قَنْطَرْتُه بمعنى ألقيته على أحد قُطْرَيه أي جانبيه(١)، وتَقَعْوَرَ في كلامه(٢) و «مِنْطَر» و «مَنْقُور»(٤) وغير ذلك، بدلاً من: "قَطَّرْته وقَتَّرْتُه"، «وتَقَعَّر» و «مِمْطر» و «مَمْقور».

(١) لحن العامة/ ٥٧.

(٢) تثقيف اللسان/١١٦.

(٣) المدخل إلى تقويم اللسان /١٥٩.

(٤) تثقيف اللسان/١١١ وتصحيح التصحيف/٤٩٨-٤٩٩ وورد في الأخير أن العامة تقول مَنْطر بفتح النون، والمِمْطَر: ضرب من الثياب يُتَّخذ من صوف.

ثانياً- المخالفة بين الصائتين:

وقد تحدث المخالفة بين حركتين متماثلتين في كلمة واحدة، ويظهر ذلك من خلال:

أ- إبدال الفتحة ضمّة:

ومن الأمثلة على ذلك في كتب لحن العامة:

- «رُشَاش» لضرب من المطر، بدل «رَشَاش»(١)، ويمثل التطور بالنحو الآتي:

ra/šā/šun > ru/šā/šun

حيث خولفَ بين نواتي المقطعين:الأول والثاني، فأبدلت في المقطع الأول ضمّة.

- «زُرَافَة» بدل «زَرَافة»، لبعض الدوابّ(٢).

za/rā/fa/tun > zu/rā/fa/tun

فأبدلت فتحة الزاي ضمّة للمخالفة بين الفتحتين:القصيرة والطويلة.

وقد وردَ في لسان العرب : «وقيل: هي بفتح الزاي وضمّها مخففة الفاء»(٣) وهذا يعني أنها لا تعدّ من لحن العامة.

- «زَعْفُران» بدل «زَعْفَران»(٤)

za

za$^{<}$/fa/rā/nu > za$^{<}$/fu/rā/nu

فخولفت فتحة الفاء إلى ضمّة؛ فتكوّنت البنية العامية.

- بنو «قَيْنُقاع» بدل «قَيْنَقاع»(٥).

ḳay/na/ḳā/$^{<}$u > ḳay/nu/ḳā/$^{<}$u

---

(١) تصحيح التصحيف/٢٨٤.

(٢) السابق/٢٩٣.

(٣) لسان العرب (زرف) ٩/١٣٤.

(٤) تصحيح التصحيف/٢٩٦.

(٥) تثقيف اللسان/٣١٧.

فخولفت فتحة النون إلى ضمّة؛ فتكوّنت أيضاً البنية العامية.

- «كُلاعيّ» في النسب إلى قبيلة من اليمن، بدل «كَلاَعيّ»(١).

kalā<iyyun > kulā<iyyun

وحدث فيها ما حدث في الأمثلة السابقة.

ب- إبدال الضمّة فتحة:

- ثيابٌ «جُدَد» بدل «جُدُد»(٢).

ğu/du/dun > ğu/da/dun

فأبدلتْ ضمّة الدال فتحة؛ لاستثقال اجتماع ضمتين مع التضعيف(٣). وقد وردَ في لسان العرب: «يقال شيء جديد، والجمع أجِدَّة وجُدُد وجُدَد»(٤) وهذا يعني أن «جُدَد» ليست مما يعد من لحن العامة:

- «دَسْتُور» بدل «دُسْتُور»(٥).

dus/tū/run > das/tū/run

فخولفت ضمّة الدال، فصارت فتحة، فتكوّنت البنية العامية (dastūrun).

- «الذَّبول» ، بدل «الذُّبول»(٦)، ويمثّل التطوّر بالنحو الآتي:

(>)addubūlu > (>)addabūlu

فأبدلت ضمّة الذال فتحة؛ فتكوّنت البنية العامية ((>)addabūlu).

---

(١) تثقيف اللسان/٢٢٣.

(٢) تصحيح التصحيف/٢١٠.

(٣) المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر/١٤٤.

(٤) لسان العرب (جدد) ٣/١١١.

(٥) المدخل إلى تقويم اللسان /١٦٩.

(٦) تثقيف اللسان/٣٣٥، والذُّبول: أن يجفّ وييْبَسَ ريقُهُ ، لسان العرب (ذبل) ١١/٢٥٥.

- «الزَّنبور» بدل «الزُّنبور»(١)، ويمثل التطوّر بالنحو الآتي:

(>)azzunbūru > (>)azzanbūru

فأبدلت ضمّة الزاي أيضاً، فتحة. وكذلك الأمر في «الطَّنْبور» المتطوّرة عن «الطُّنْبُور»(٢).

ج- إبدال الفتحة كسرة:

ومن الأمثلة على ذلك في كتب لحن العامة ما يأتي:

- «البَرْنامِج» بدل «البَرْنامَج» للألواح التي يكتب فيها الحساب(٣)، ويمثل التطوّر بالنحو الآتي:

(>)albarnāmağu > (>)albarnāmiğu

فخولفت فتحة الميم إلى الكسرة، فصارت الكلمة بكسر الميم.

- «بَنَفْسِج» بدل «بَنَفْسَج»(٤)، ويمثل تطوّرها بالنحو الآتي:

banafsağu > banafsiğu

-«الطَّيْلِسان» بدل «الطَّيْلَسَان»(٥)، ويمثل تطور هذه الكلمة بالنحو الآتي:

(>)aṭṭaylasānu > (>)aṭṭaylisānu

---

(١) ما تلحن فيه العامة/١١٠ وتصحيح التصحيف/٢٩٨، وهو الدَّبْر، لسان العرب (زنبر) ٤/٣٣١.

(٢) ما تلحن في العامة/١١١ وتصحيح التصحيف/٣٦٦، وهو الذي يُلْعَبُ به، لسان العرب (طنبر) ٤/٥٠٤.

(٣) تثقيف اللسان/٣٢٥.

(٤) المدخل إلى تقويم اللسان/١٣٠.

(٥) تصحيح التصحيف/٣٦٨، وهو ضرب من الأكيسة، لسان العرب(طلس) ٦/١٢٥.

- تسكين المتحرك وتحريك الساكن:

يطلق الخليل بن أحمد الفراهيدي على مفهوم تحريك الساكن مصطلح التثقيل، وعلى مفهوم تسكين الحرف المتحرك مصطلح التخفيف، ويظهر ذلك في قوله: «والعُنُق معروف، يخفف ويثقّل»(١).

ويستخدم هذين المصطلحين بهذين المعنيين أيضاً الفرّاء(٢) وابن جني(٣). وأطلق بيرجشتراسر -من المستشرقين- عليهما مصطلحي: حذف الحركات وزيادتها(٤). ويمكن أن نطلق عليهما مصطلح «إعادة الترتيب المقطعي»؛ «لأن أي حذف من أجزاء الكلمة أو إضافة إليها سيعيد بناء المقاطع الصوتية التي تشكّل الكلمة بصورة تجعلها تختلف عما كانت عليه قبل حدوث الحالة الجديدة»(٥).

أ- تسكين المتحرك:

سجلت كتب اللغة أمثلة كثيرة ظهر فيها تسكين المتحرك طلباً للخفّة ومن ذلك ما كتبه سيبويه: «هذا باب ما يسكن استخفافاً وهو في الأصل متحرك»، ومن الأمثلة التي أوردها على ذلك: فَخْذٌ وكَبْدٌ وعَضْدٌ، والرَّجْلُ وكَرْمَ وعَلْمَ، ونسب هذه الصيغ للغة بكر بن وائل، وأناس من بني تميم(٦).

وذكر ابن جني في كتابه «الخصائص»: أن (كَلِمة) حجازية و (كِلْمة) تميميّة(٧). ومن الأمثلة التي حذفت منها الضمّة والكسرة الواردة عنده: رُسْل بدل رُسُل؛ وعَجْز بدل عَجُز، وعَضْد بدل عَضُد؛ وكَتْف بدل كَتِف، وكَبْد بدل كَبِد وعَصْر بدل عَصِر

---

(١) كتاب العين (عنق) ١٦٨/١.

(٢) معاني القرآن: ٣٠٠/١.

(٣) المحتسب: ٨٥/١، ١٤٣، ٦٦/٢.

(٤) التطور النحوي/٦٨-٦٩.

(٥) شاهد القراءات القرآنية عند السيوطي وعلماء اللغة القدامى/١٦١.

(٦) الكتاب: ١١٣/٤-١١٥.

(٧) الخصائص: ٢٧/١.

وغير ذلك(١).

وسجلت كتب لحن العامة أمثلة كثيرة على ظاهرة تسكين المتحرك منها ما يأتي:

١- حذف الكسرة:

يرى سيبويه أن حذف الكسرة فيما هو نحو (فَعِل) جاء بسبب كراهيتهم «أن يرفعوا ألسنتهم عن المفتوح إلى المكسور، والمفتوح أخف عليهم، فكرهوا أن ينتقلوا من الأخف إلى الأثقل»(٢).

ويرى الباحثُ حمزة المزيني أن مثل هذا التعليل ليس مقنعاً حتى يوصل إلى مقياس نقيس به خفة صوت معين أو ثقله. ولا يزيد هذا التحليل عن أن يكون انطباعاً غير مدعوم بأي برهان(٣).

ويعزو ابراهيم أنيس هذه الظاهرة وغيرها من الظواهر الصوتية إلى مستوى اللهجات، فالحضر في رأيه أكثر أناة في نطقهم؛ لهذا يعطون الأصوات حظها من النطق، أما البدو غلاظ الطبع فقد كانوا سريعي الأداء، ويترتب على ذلك عامل آخر، وهو الاقتصاد العضلي في الأداء، فالحضري بأناته ينطق الكلمات على الرغم مما يوجد فيها من أصوات كل منها يحتاج إلى جهد قد يكون متعارضاً مع الجهد المطلوب لصوت آخر، وأما البدو فلسرعتهم في الأداء؛ بسبب خشونتهم، فهم أكثر اقتصاداً في جهدهم العضلي، وهو بذلك يرى أن حذف الحركة الثانية في فَعِل من الصفات الصوتية للبدو، وذلك لميلهم إلى المقاطع المغلقة(٤).

ويرد المزيني عليه بأنه لم يناقش القوانين الصوتية التي تحكمها؛ والسياق الصوتي الذي تقع فيه، كما أن كثيراً من القبائل، أو البيئات يمكن أن تنسب إليها مثل تلك

---

(١) الخصائص: ٧٦/١ وانظر: المحتسب: ٢٠٥/١، ٦٦/٢.

(٢) الكتاب: ١١٤/٤.

(٣) تعاقب الحركات القصيرة وحذفها في اللغة العربية قديماً/٣٢٥.

(٤) في اللهجات العربية/٨٦-٨٩، ٩٦، ١٦١ وانظر: تعاقب الحركات القصيرة وحذفها في اللغة العربية قديماً/٣٢٩.

الظواهر الصوتية، حتى أن القبيلة نفسها يمكن أن تُنسَبَ إليها الظاهرة ونقيضتها(١).

وينتهي بقوله: «ويمكن أن يستأنس في دراسة هذه المسائل بالدراسات اللسانية الاجتماعية، ولكي أوضح أهمية هذه الدراسات اللسانية في دراسة هذه المسائل أشير إلى أن نص سيبويه على تجويز استعمال بعض الخصائص بدل بعضهما الآخر يوحي بأن المتكلم تتوفر لديه دائماً هذه الخيارات، وهو حرٌ في استعمال ما يشاء منها. غير أن ما بينته الدراسات اللسانية الاجتماعية أن هذه الخيارات ليست اختيارية حرة free varia-tions، بل هي اختيارات مرتبطة بالأساليب التي تستعمل في مواقف معينة»(٢).

ومن الأمثلة الواردة في كتب لحن العامة، والتي يظهر فيها حذف الكسرة ما يأتي:

- «صَبْر» بدل «صَبِر»(٣)، ويمثل التطوّر بالنحو الآتي:

ṡa/bi/run > ṡab /run

فحذفت الكسرة؛ للتخلص من تتابع المقاطع القصيرة المفتوحة؛ لأن العربية تكره تتابع هذا النوع من المقاطع على الرغم من وجوده فيها؛ لهذا تميل إلى التقليل من عددها أو التخلص من تتابعها عن طريق إلغاء بعض القيم الحركية، فأدى ذلك إلى تغيير ترتيب المقاطع، فصارَ هذا الترتيب خفيفاً على الناطق(٤).

- «النَّبْق» بدل «النَّبِق»(٥)، ويمثل بالنحو الآتي:

(>)an/na/bi/ḳu > (>)an/nab/ḳu

حيث حذفت نواة المقطع الثالث (الكسرة)؛ بسبب تتابع المقاطع القصيرة المفتوحة، فدعا ذلك إلى إعادة ترتيب هذه المقاطع، فصار أيسر نطقاً، وقد وردَ في اللسان أنها

---

(١) تعاقب الحركات القصيرة وحذفها في اللغة العربية قديماً/٣٢٩-٣٣٠.

(٢) السابق/٣٣١ وانظر: علم اللغة الاجتماعي: د. هدسون، ترجمة: د. محمود عيّاد.

(٣) تثقيف اللسان/٣٣٤.

(٤) شاهد القراءات القرآنية عند السيوطي وعلماء اللغة القدامى/١٦٢.

(٥) تصحيح التصحيف/٥٠٩، وهو حَمْلُ السِّدْر، لسان العرب (نبق) ١٠/٣٥٠.

تنطق بالتسكين والتحريك(١) فهي بذلك لا تعدّ من لحن العامة.

(٢) حذف الفتحة:

ومن الأمثلة على ذلك في كتب لحن العامة:

- «الأَرْضُون» بدل «الأَرَضُون»(٢)، ويمثل التطوّر بالنحو الآتي:

(>)al/>a/ra/ḍūn > (>)al/>ar/ḍūn

فحذفت فتحة الراء بسبب تتابع مقطعين قصيرين مفتوحين، مما أدى ذلك إلى تغيير ترتيب المقاطع، فصار خفيفاً سهلاً.

وعند الرجوع إلى اللسان وجد أن هذه الكلمة تنطق بتسكين الراء وفتحها(٣)، وهذا يعني أن تسكين الراء ليس مما يعد من لحن العامة، وإنما هو لغة.

- «بَرْهوت» للبئر التي باليمن، بدل «بَرَهوت»(٤).

ba/ra/hūt > bar/hūt

وحدث في هذه الكلمة ما حدث في الكلمة السابقة، إذْ خففت بتسكين الراء، الذي سبب بدوره تغييراً في ترتيب المقاطع.

ووردَ في اللسان أنه يقال: بَرَهُوت، وبُرْهُوت(٥)، فتسكين الراء لغة، ولكنه مع ضم الباء، أما تسكينها مع فتح الباء فلحن.

- «البَلْح» بدل «البَلَح»(٦).

(>)al/ba/la/ḥu > (>)al/bal/ḥu

---

(١) لسان العرب (نبق) ٣٥٠/١٠.

(٢) تقويم اللسان/٧٢.

(٣) لسان العرب (أرض) ١١٤/٧.

(٤) تثقيف اللسان/٣١٣ وتقويم اللسان/٨٠.

(٥) لسان العرب (برهت) ١٠/٢.

(٦) تصحيح التصحيف/١٦٨.

فخففت الكلمة بحذف فتحة اللام، بسبب كره العربية توالي المقاطع القصيرة المفتوحة، فسببّ ذلك تغييراً في ترتيب المقاطع.

- فيك «بَلْهٌ» بدل «بَلَهٌ»(١).

ba/la/hun > bal/hun

حذفت الفتحة للتخلص من تتابع مقطعين قصيرين مفتوحين، فأدى ذلك إلى تغيير ترتيب المقاطع، فصار سهلاً على الناطق.

«حَزْرات» الناس، بدل «حَزَرَاتِهم»، وهي بمعنى خيار أموالهم(٢)، ويمثل التطور بالنحو الآتي:

ḥa/za/rā/tu > ḥaz/rā/tu

حُذِفَتْ فتحة الزاي، فأدى ذلك إلى تغيير ترتيب المقاطع،فصار سهلاً على الناطق.

- أمسكْتُ «بطَرْف» الحبل، بدل «طَرَف»(٣).

ṭa/ra/fun > ṭar/fun

حذفت أيضاً فتحة الراء؛ بسبب تتابع مقطعين قصيرين مَفْتوحين وهما المقطع الأول والثاني؛ فأدى ذلك إلى تغيير ترتيب المقاطع؛ فصار خفيفاً على النطق.

- «غَطْفان» بدل «غَطَفان»(٤).

ġa/ṭa/fā/nu > ġaṭ/fā/nu

فخففت الكلمة بتسكين الطاء.

---

(١) تثقيف اللسان/١٤٠ والبَلَهُ: الغَفْلَةُ عن الشرّ وأن لا يُحْسِنَهُ، لسان العرب (بله) ١٣/٤٧٧.

(٢) تثقيف اللسان/٣٢٢ وتصحيح التصحيف/٢٢٥.

(٣) المدخل إلى تقويم اللسان/١٢٩.

(٤) تصحيح التصحيف/٣٩٤ وغَطَفَان: حيٌّ من قَيْس عَيْلان، وهو غَطَفان بن سعد بن قيس عيلان، لسان العرب (غطف) ٩/٢٦٩.

- «مَرْقَة» بدل «مَرَقة»(١).

ma/ra/ḳa/tun > mar/ḳa/tun

حذفت فتحة الراء للتخلص من تتابع المقاطع القصيرة المفتوحة، فالعربية تكره تتابع هذا النوع من المقاطع، وبسبب ذلك الحذف أُعيد ترتيب المقاطع، فصار سهلاً على الناطق.

- «نُعْـرَة» بدل «نُعَـرَة»، للذباب الذي يدخل أنوف الدواب(٢)، ويمثّل التطوّر بالنحو الآتي:

nu/ˤa/ra/tun > nuˤ/ra/tun

خففت الكلمة أيضاً بحذف فتحة العين، فصارت مكوّنة من ثلاثة مقاطع فقط. الأول منها مغلق بصامت، بعد أن كانت الكلمة مكوّنة من أربعة، الثلاثة الأولى منها من نوع المقطع القصير المفتوح، وهو ما تكره العربية تتابعه.

- «وَتْر» القوس، بدل «وَتَره»(٣).

wa/ta/run > wat/run

وحدث فيها ما حدث في الأمثلة السابقة.

والأمثلة التي يظهر فيها تسكين المتحرك كثيرة منها أيضاً: «على جرْيان» العادة(٤) و «رمْكة»(٥) و «سَبْخَة»(٦)، ورزقٌ «غَدْق» و «لَقْبُ» فلان كذا(٧)، و«لَحقْ» لما يزاد

---

(١) تصحيح التصحيف/٤٧٢.

(٢) السابق/٥١٦.

(٣) تصحيح التصحيف/٥٣٩.

(٤) تثقيف اللسان/١٤٠.

(٥) السابق/١٣٨ وتصحيح التصحيف/٢٨٨، وهي الأنثى من البراذين.

(٦) تثقيف اللسان/١٣٨، وهي الأرض المالحة، لسان العرب (سبخ) ٣/٢٤.

(٧) تصحيح التصحيف/٣٩٢، والغَدَق: الكثير، لسان العرب (غدق) ١٠/٢٨٢.

في الكتاب(١)، و «نُخْبَـة» القـوم(٢)، و«نَخْـعِيّ» نسبـة إلى النَّخَـع(٣)، والتُّخْمَة و «التُّهْمة»(٤)، وغير ذلك.

بدلاً من : «جرَيان» و «رَمَكة» و «سَبَخـة» و «غَـدَق»، و «لَقَـبٌ» و« لَحَق» و «نُخَبَة»، و «نُخَعِيّ» و «التُّخَمة» و«التُّهَمَة».

---

(١) تقويم اللسان/١٥٩، وقد أجاز الأزهري لَحْق بالتخفيف لسان العرب (لحق) ٣٢٧/١٠ ، هذا يعني أنها لا تعد من لحن العامة، بل هي لغة.

(٢) تقويم اللسان/١٨٠ وتصحيح التصحيف/٥١٢، وقد وردَ في لسان العرب (نخب) ٧٥١/١-٧٥٢ «ونُخْبَة القوم ونُخَبَتُهم: خيارُهم. قال الأصمعي: يقال هم نُخَبَة القوم، بضم النون وفتح الخاء. قال أبو منصور وغيره: يقال نُخْبَة، بإسكان الخاء، واللغة الجيدة ما اختاره الأصمعي»

(٣) تثقيف اللسان/٢٢٣، ٢٢٨، والنَّخَعُ قبيلة من اليمن رهط إبراهيم النَّخَعيّ، لسان العرب (نخع) ٣٤٩/٨.

(٤) تثقيف اللسان/٣٢٧.

ب- تحريك الساكن:

وكما جاءَ في اللغة أمثلة ظهر فيها تسكين المتحرك، جاءَ أيضاً أمثلة حرّك الساكن فيها، فثقلت الكلمة بإضافة هذه الحركة إليها، ومن ذلك ما جاءَ في قوله تعالى: ﴿سنلقي في قلوب الذين كفروا الرُّعُبَ﴾(١)، فقد قرأ ابن عامر والكسائي: الرُّعُب بضم العين، وقرأ باقي السبعة بسكونها، وقد ردّ بعض العلماء الأمر إلى لغات العرب، وردَّه آخرون إلى الإتباع، فالأصل في هذه الحالة هو إسكان العين كالصُّبْح والصُّبُح، ومنها أيضاً: السُّحْت والسُّحُت(٢). فالأصل فيها السكون وجاء الضمُّ إتباعاً أو أن هذه الضمّة مما يمكن أن تعدّه حركات منزلقة»(٣).

ووردت هذه الظاهرة أيضاً في كتب لحن العامة، فجاءت أمثلة كثيرة حرّك الساكن فيها بالفتحة وبعضها حرّك بالضمّة، وأخرى بالكسرة.

أ- تحريك الساكن بالفتحة:

ومن الأمثلة على ذلك ما يأتي:

- «الأثَل» بدلاً من: «الأثْل»(٤)، ويمثل التطور بالنحو الآتي:

(>)al/>at̲/lu > (>)al/>a/t̲a/lu

فحرّكت الثاء بالفتحة؛ فازدادت الكلمة ثقلاً، بسبب زيادة عدد المقاطع لتغيير ترتيبها، وبسبب تتابع مقاطع قصيرة مفتوحة.

- يومٌ «بَدَريٌّ» بدلاً من: «بَدْرِيّ» نسبة إلى البَدْر(٥)، ويمثل التطور بالنحو الآتي:

---

(١) آل عمران/١٥١.

(٢) تفسير البحر المحيط: ٧٧/٣ وانظر: حجة القراءات: ١٧٦.

(٣) شاهد القراءات القرآنية عند السيوطي وعلماء اللغة القدامى/١٥٩.

(٤) تقويم اللسان/٦٩، والأثْل: شجر يشبه الطَّرْفاء إلا أنه أَعْظَمُ منه وأكرمُ وأجودُ عوداً تسوّى به الأقداح الصفر الجياد ،لسان العرب (أثل) ١٠/١١.

(٥) تثقيف اللسان/٢٢١.

bad/riy/yun > ba/da/riy/yun

فحرّكت الدال بأخف الحركات (الفتحة)، فازدادت ثقلاً بسبب إعادة ترتيب المقاطع ليُصبحَ أصعب على الناطق، لتتابع مقطعين قصيرين مفتوحين (ba/da).

- «بكَرَة»، بدل «بكْرَة» بالتخفيف(١)، ويمثل التطور بالنحو الآتي:

bak/ra/tun > ba/ka /ra/tun

فازدادت الكلمة ثقلاً بتحريك الكاف بالفتحة، إذْ سبب ذلك تتابعاً لمقاطع قصيرة مفتوحة، وهو مما تكرهه العربية -كما أشير سابقاً- ويذكر ابن سيدة: «والبَكْرَةُ والبكَرَة لغتان للتي يُسْتَسقى عليها»(٢). وهذا يعني أن التحريك لغة في التسكين، وأنه لا يعدّ من لحن العامة.

«حَرَبَة» لواحد الحِراب، بدل «حَرْبَة» بالتخفيف(٣)، ويمثل التطوّر بالنحو الآتي:

ḥar/ba/tun > ḥa/ra/ba/tun

فتغيّر ترتيب المقاطع بسبب إقحام الفتحة على الراء، فصارَ صعباً على الناطق؛ بسبب تتابع المقاطع المفتوحة القصيرة.

- «زَنَدٌ» للعود الأعلى، بدل «زَنْدٌ»(٤)،ويمثّل ذلك بالنحو الآتي:

zan/dun > za/na/dun

وحدث فيها ما حدث في الأمثلة السابقة.

- «رَضَفٌ» للحجارة المُحْماة، بدل «رَضْفٌ»(٥).

---

(١) لحن العامة/١٥٥.

(٢) لسان العرب (بكر) ٤/٨٠.

(٣) تصحيح التصحيف/٢٢٤.

(٤) السابق/٢٩٧.

(٥) تثقيف اللسان/١٣٤.

rad/fun > ra/da/fun

فازدادت الكلمة ثقلاً بتحريك الضاد؛ وتغير ترتيب المقاطع، فصار صعباً.

- «السَّمَنُ» بدل «السَّمْن»(١).

(>)as/sam/nu > (>)as/sa/ma/nu

حرّكت الميم بالفتحة، فازداد عدد المقاطع لتغير ترتيبها، فصارت الكلمة أثقل.

- «شَتَوِيّة» بدل «شَتْوِيّة»نسبة إلى الشَّتْوة(٢).

šat/wiy/yah > ša/ta/wiy/yah

فتغير ترتيب المقاطع؛ بسبب زيادة حركة «الفتحة» على التاء، فصار صعباً.

- «شَغَب» للشرّ والجَبَلة، بدل «شَغْب»(٣)، ويمثل تطور هذه الكلمة بالنحو الآتي:

šaġ/bun > ša/ġa/bun

ازدادت الكلمة ثقلاً؛ بسبب تحريك الغين بالفتحة، إذْ أدّى التحريك إلى زيادة عدد المقاطع، فصار النطق ثقيلاً لتتابع مقطعين قصيرين مفتوحين.

ويرى الكوفيون أنه يجوز فتح كل ما كان على وزن فَعْل إذا كان أوسطه حرف حلق، أمّا البصريون فيأبون ذلك، ولا يفتحون إلاّ ما جاءَ مسموعاً عند العرب(٤).

وقد وردَ في اللسان: «الشَّغْبُ، والشَّغَبُ، والتَّشْغيبُ: تهييجُ الشرّ»(٥)، وهذا يؤيد أنها بالفتح لا تعدّ من اللحن، بل هي لغة.

---

(١) المدخل إلى تقويم اللسان /١٢٨.

(٢) تصحيح التصحيف/٣٣١.

(٣) تثقيف اللسان/١٣٢ وتصحيح التصحيف/٣٣٨.

(٤) تثقيف اللسان/١٣٢.

(٥) لسان العرب (شغب) ٥٠٤/١.

- «ضَرَعُ» الشاةِ، بدل «ضَرْع»)(١).

dar/ˁun > da/ra/ˁun

وحدث فيها ما حدث في الكلمات السابقة.

ومن الأمثلة التي حرّك الساكن فيها أيضاً: «بَثَرٌ» لما يخرج في الأجسام(٢)، و «شَطَبَة» للخضراء الرَّطْبة(٣)، و«الشَّعَبيّ»(٤) وعنتر «العَبَسي»(٥)، و«العَرَجيّ».(٦)، و «القَرَع» للدُّبَّاء(٧)، و«القَلَس» للقيء(٨)، و «نَحَويّ» نسبة إلى النَحْو(٩)، وغير ذلك. بدلاً من: «بَثْر» و «شَطْبَة» و «الشَّعْبي» و «العَبْسي» و«العَرْجيّ» و «القَرْع» و «القَلْس» و «نَحْوِيّ».

وقد يقال أيضاً، أن الفتحة في الكلمات السابقة جميعها، جاءت إتباعاً للفتحة التي تسبقها.

---

(١) تصحيح التصحيف/٣٥٦ وهو مدرُّ لبنها ،لسان العرب (ضرع) ٨/٢٢٢.

(٢) تثقيف اللسان/١٣٣، وورد في لسان العرب (بثر) ٤/٣٩: «البَثْر والبَثَر والبُثُور: خُرَاج صغار، وخص بعضهم به الوجه، واحدته بَثْرَة وبَثَرَة»، فهي بذلك لا تعد من لحن العامة.

(٣) تصحيح التصحيف/٣٣٦-٣٣٧.

(٤) تقويم اللسان/١٢٦، وهو عامر بن شَرَاحيل أبو عمرو، من شَعْب هَمْدان، علّامة أهل الكوفة، روى عن عليّ رضي الله عنه -يسيراً.

(٥) تثقيف اللسان/٢٢٣.

(٦) المدخل إلى تقويم اللسان /٢٢١، وهو من ولد عثمان بن عفان -رضي الله عنه- منسوب إلى العَرْج موضع بقرب المدينة كان لعثمان ، رضي الله عنه، وفي لسان العرب (عرج) ٢/٣٢٣: هو عبدالله بن عَمرو بن عثمان بن عفان.

(٧) تثقيف اللسان/١٣٤، وجاءَ في لسان العرب (قرع) ٨/٢٦٩: « قال المَعرّي: القرع الذي يؤكل فيه لغتان: الإسكان والتحريك، والأصل التحريك... وقال أبو حنيفة: هو القَرَع، واحدته قَرَعةٌ، فحرك ثانيها ولم يذكر أبو حنيفة الإسكان، كذا قال ابن بري». وهذا يعني أنها بالفتح لا تعد من لحن العامة، بل هي لغة.

(٨) تثقيف اللسان/٣١٩، وورد في لسان العرب (قلس)٦/١٨٠: « القَلَس، بالتحريك، وقيل بالسكون من ذلك»، وهذا يعني أن هذه الكلمة لا تعد من لحن العامّة.

(٩) تصحيح التصحيف/٥١١.

ب- تحريك الساكن بالضم:

وقد يحرّك الساكن بالضمّ اتباعاً لحركة الضمّ التي على الصوت الذي يسبقه، فتزداد الكلمة ثقلاً، ويعاد ترتيب المقاطع، فيُصبح صعباً على الناطق، وذلك مثل قولهم : «الشُّفُعَةَ» بدلاً من «الشُّفْعَة»(١)، ويمثل التطوّر بالنحو الآتي:

(>)aš/šuf/<a/tu > (>)aš/šu/fu/<a/tu

فحركت الفاء بالضمّة اتباعاً لحركة الشين، فأدّى ذلك إلى إعادة ترتيب المقاطع، فاصبح صعباً، بسبب توالي مقاطع من نوع القصير المفتوح، وهذا مما تكرهه العربية.

وقد وردَ في اللسان: «الشُّفْعَةُ والشُّفُعَةُ في الدارِ والأرض: القضاء بها لصاحبها»(٢)، وهذا يعني أنها لا تعدّ من لحن العامة، بل هي لغة.

ج- تحريك الساكن بالكسر:

وقد يحرّك الساكن بالكسر؛ اتباعاً للكسرة التي على الصوت الذي يسبقه، فيعاد ترتيب المقاطع، فيصير صعباً، ومن ذلك قولهم: «الإِبِطِ» بدلاً من: «الإِبْط»(٣)، ويمثل التطور بالنحو الآتي:

(>)al/>ib/ṭu > (>)al/>i/bi/ṭu

وربّما حرّك الساكن في جميع الكلمات السابقة حذلقةً ومبالغةً في التصويب، وتوهماً.

---

(١) تثقيف اللسان/٣٢٧.

(٢) لسان العرب (شفع) ٨/١٨٤.

(٣) تقويم اللسان/٦٥.

الهمزة و "ياها

حدد سيبويه صوت الهمزة بأنه يخرج من أقصى الحلق، ووصفه بالجهر والشدّة(١) أمّا المعاصرون من علماء الأصوات فيرون أنه من الحنجرة، ويحدث عندما ينغلق الوتران الصوتيان انغلاقاً تاماً، فيحصر الهواء، ويتزايد ضغطه عليهما مما يؤدي إلى أن ينفتحا بشكل مفاجيء؛ فيكوّن الإنفجار صوت الهمزة(٢)، وبهذا لحدوث الهمزة لا بدّ من ثلاث مراحل:

١- انحباس الهواء فيما دون الحنجرة.

٢- ازدياد الضغط على الوترين الصوتيين.

٣- الانفجار المفاجيء للهواء عند انفتاح الوترين بشكل مفاجيء.

وهو بذلك حنجري شديد، ويختلف المعاصرون في وصفه بالهمس أو الجهر، فيرى معظمهم أنه مهموس؛ لأن الوترين الصوتيين معه يغلقان تماماً، فلا يحدث فيها ذلك الاهتزاز اللازم لصفة الجهر(٣). ويرى الآخرون أنه ليس بالمهموس ولا بالمجهور؛ لأن «وضع الأوتار الصوتية حال النطق بها، لا يسمح بالقول بوجود ما يسمى بالجهر، أو ما يسمى بالهمس»(٤).

وعلى وفق الوصف السابق فإنه صوت صعب جداً، تقتضي آلية نطقه من المتكلّم جهداً أكبر من أي جهد يبذله في نطق الأصوات الأخرى. وقد أثبتت الدراسات الحديثة

---

(١) الكتاب: ٤/٤٣٣، ٤٣٤.

(٢) علم الصوتيات /٩٣، ومناهج البحث في اللغة/١٢٥، والمنهج الصوتي/٢٨.

(٣) مناهج البحث في اللغة/١٢٥ وأصوات اللغة/١٨٣، ٢١٧، والمدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي/٥٦-٥٧.

(٤) علم اللغة العام: الأصوات العربية/١٤٣ والمصطلحات اللغوية الحديثة /١٨٦، وعلم اللغة /١٥٧ وقد ردّ على هذا الرأي عبدالرحمن أيوب في كتابه أصوات اللغة/١٨٣-١٨٤.

تعقيد تركيبه(١)، وهذه الصعوبة دفعت كثيراً من اللغات الساميّة، منذ زمن قديم إلى إجراء كثير من التغييرات عليه، على الرغم من أصالته فيها جميعها(٢).

ومن هذه اللغات الساميّة اللغة العربية، وقد تعرّض صوت الهمزة فيها لما يأتي:

أولاً- الإبدال.

ثانياً- الحذف.

ثالثاً- الإقحام.

(١) البنية الصوتية للكلمة العربية/٥٠.

(٢) النظام اللغوي للهجة الصفاوية/١٦٧.

أولاً- إبدال الهمزة:

قد تتعرض الهمزة للإبدال؛ بسبب صعوبة نطقها، وقد وردت هذه الظاهرة في كتب لحن العامة، فظهر فيها أنها قد تبدل عيناً أو هاء أو ميماً.

أ- إبدال الهمزة عيناً:

حدّد سيبويه مخرج الهمزة -كما سبق- بأنه من أقصى الحلق، ومخرج العين بأنه من وسطه، وتوصل معظم علماء الأصوات المحدثون إلى أن الهمزة مزماريّة؛ لأنها تخرج من المزمار نفسه(١)، فالصوتان بذلك متقاربان في مخرجيهما؛ لهذا كان احتمال إبدال أحدهما إلى الآخر ممكناً. ومن أمثلته في الفصحى قولهم: عُبابُ الموجِ وأُبابُه(٢)، وانجافت النخلة وانجعفت إذا انقلعتْ من أصلها(٣)، وكَثَع اللبن وكَثَأَ إذا علا دسمُهُ وخثورته على رأسه في الإناء(٤).

وظاهرة إبدال الهمزة عيناً أوسع بكثير من ظاهرة إبدال العين همزة في العربية، لأن العينَ أخف من الهمزة. ولأنها أكثر وضوحاً في السَّمْع لوضوح جهرها مقارنة بالهمزة(٥).

وعلى ضوء ما سبق يمكن تفسير قول العامة:

- «أصْدَع» بدل «أصْدأ»، للفرس الذي تقارِب حمرته السواد(٦).
- و«فَقَعْتُ» عين الرجل، وهو مفقوع العين بدل «فقأت» عينه، وهو مفقوء

---

(١) الأصوات اللغوية ،إبراهيم أنيس/٧٢.
(٢) الإبدال : ٢/٥٥٥.
(٣) السابق: ٢/٥٥٦.
(٤) الإبدال : ٢/٥٥٤.
(٥) لهجة الكرك/٦٢.
(٦) تثقيف اللسان/٨٤ وتصحيح التصحيف/١١٠.

العين(١).

ويرى عبدالعزيز مطر أن الإبدال الذي حدث في هاتين الكلمتين لم يحدث لقرب مخرجيهما فقط، وإنما «ربما كان السرّ فيه أيضاً هو ما يسمى «عقدة العين»، وذلك أن العين لما كانت عسيرة النطق على غير أهل البلاد العربية، فإنهم يحاولون تحقيقها ليكون نطقهم على سنن العربية، ويترتب على هذا الحرص على تحقيق العين، توهّم أن أصل الهمزة في بعض الكلمات عين، فينطقونها عيناً»(٢)، وهو بذلك يجعل الإبدال فيهما من باب المبالغة في التصويب والحذلقة والتفصّح أي من باب التوهم.

وقد يكون في ميل العامة إلى هذا الإبدال متابعة لبعض اللهجات العربية القديمة، أي أنها قد تكون امتداداً لظاهرة العَنْعَنَة، التي خُصَّت بها تميم من قبائل العرب، والتي تبدل الهمزةَ عيناً(٣)، ومن أمثلة هذه الظاهرة قول الشاعر ذي الرمّة:

أَعَنْ تَرَسَّمْتَ من خَرقاءَ مَنْزِلَةٍ ماءُ الصَّبابَةِ في عَيْنَيْكَ مَسْجُومُ(٤)

وما حدث في هذه الظاهرة «العنعنة»، وفي هذين اللفظين: «أصْدَأ» و «وفَقَأ» من باب المبالغة في تحقيق الهمز(٥).

وامتد هذا الميل إلى إبدال الهمزة عيناً، أيضاً، في بعض اللهجات العربية الدارجة اليوم كلهجة بعض أهالي صعيد مصر، نحو قولهم: «لَعْ» في «لأ» وكلهجة أهل النوبة والسودانيين، نحو قولهم: «سَعَلَ» بدل «سَأَل»(٦)، ويُسْتَخْدَمُ هذا الفعل بهذا النطق «سَعَلَ» عند بعض أهالي جنوب الأردن أيضاً كبعض أهالي الكرك(٧).

---

(١) لحن العامة/١٣٧ وتشقيف اللسان/٨٤ والمدخل إلى تقويم اللسان/١٢٢. وتصحيح التصحيف/٤٨٩.

(٢) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة/٢٤١.

(٣) الصاحبي في فقه اللغة العربية/٥٦ وفصول في فقه العربية/١٣٥.

(٤) الصاحبي في فقه اللغة العربية/٥٦.

(٥) فصول في فقة العربية/١٣٧.

(٦) السابق/١٣٧.

(٧) لهجة الكرك/٦١.

- إبدال العين همزة:

وردَ في المقابل أنَّ العامة قد تبدل العين همزة، وظهر ذلك في قولهم للذي يُصَبُّ فيه الماء في القِرَب، والزيتُ في الزِّقاق: قِماء، ويجمعونه: أقمية. والصواب: قِمْع، والجمع: أقماع. وقد ذُكرَ أن «قِمْع» فيها لغة أخرى «قِمَع»، مثل: «ضِلْع وضِلَع»(١)؛ وبهذا ربّما حدث التطوّر فيها على النحو الآتي:

kịm< > kịma< > kịmā< > kịmā>

إبدال العين همزة	تطويل حركة المقطع الثاني القصير المفتوح	لغة أخرى بتحريك الوسط	الأصل ساكن الوسط

حيث إن (قِمْع) فيها لغة أخرى هي (قِمَع) بتحريك عين الكلمة لتأثير الحرف الحلقي فيما قبله، وإيثاره الفتح للتخفيف، وربما تعرّضت (قِمَع) لإشباع الفتحة في المقطع الثاني منها تخلصاً من تتابع المقاطع المفتوحة، فصارت: قِمَاع، ثم أبدلت العين همزة.

ومما يدعم هذا الإبدال أنّه حدث في أغلب الأحيان في البونية الحديثة والسامرية والجليلية والمنداعية والسريانية الحديثة(٢). واللغة العربية كغيرها من الساميات تتعرض أصواتها لتطوّرات تاريخية، ومن هذه الأصوات صوت العين.

ومما يؤيد التفسير السابق المقترح لتطوّر (قِمْع > قِماء) ندرة الكلمات التي نطقتها العامة، المتعرّضة لمثل هذا الإبدال، وذلك لأنه -كما يبدو- تطوّر مرّ بمراحلَ كثيرة.

وقد وردَ في كتاب "المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان" أن العامة نطقت هذه الكلمة: «قِمَا»(٣)، أي دون همز، وربما فسّر ذلك على أن الكلمة العامية (قِمَاء) تعرّضت فيما بعد لقانون السهولة والتيسير، فسقطت منها الهمزة؛ فصارت قما.

---

(١) لحن العامة/٥٩، وتصحيح التصحيف/٤٢٩.

(٢) فقه اللغات السامية/٤٨ ودراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن/٢٢٩.

(٣) المدخل إلى تقويم اللسان/٩١، وربما سقطت العين من "kịma<"، فعوّض عنها بإطالة الفتحة التي قبلها، فصارت: "kịmā"؛ انظر في ذلك: ص٢٥٣ من هذه الدراسة.

ب- إبدال الهمزة هاءً:

مخرج الهاء والهمزة عند سيبويه واحد، وهو من أقصى الحلق(١)، وتشير الدراسات الصوتية المعاصرة إلى أنهما من مخرج واحد، وهو الحنجرة، ويفرق الأول عن الثاني، في أن الأول ينطلق بتضييق الوترين الصوتين،أما الثاني فينطلق بإغلاقهما إغلاقاً تاماً؛ وبسبب هذا التقارب كان أمر إبدال أحدهما من الآخر ممكناً(٢).

وورد في كتب اللغة أمثلة على هذا الإبدال منها: إيّاك وهيّاك وأيا وهيَا، وأرقْتُ وهَرَقْتُ وما وردَ عن طيء أنها تقول: «هِنْ فَعَلَ فَعَلْتُ» يريدون «إنْ»(٣).

وعلى ضوء ما سبق يمكن تفسير قول العامة : «هَرْش» بدل «أرْش» لما يُدْفَع بين السلامة والعيب في السِّلْعة، أي بمعنى خصومة وقعت بين المشتري وصاحب السلعة(٤).

والإبدال فيها إبدالٌ تقرّه القوانين الصوتية؛ لاشتراكهما في مخرج واحد كما سبق، ولأن العامي يسعى في نطقه إلى ما هو أيسر، والهاء أيسر نطقاً من الهمزة.

وفي المقابل قد تُبْدِل العامة الهمزة من الهاء، وذلك كما في قولهم عند الاستعجال: أيًّا بدل هِيًّا، لاستحثاث الإبل(٥)، على الرغم من سهولة الهاء وصعوبة الهمزة.

---

(١) الكتاب: ٤/٤٣٣.

(٢) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي/٥٦.

(٣) سر صناعة الإعراب: ٢/٥٥١-٥٥٤.

(٤) تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة/٣٠ وتصحيح التصحيف/٥٣٠-٥٣١.

(٥) لحن العامة/١٣١ والمدخل إلى تقويم اللسان /١٣٣.وتصحيح التصحيف/١٤١، ٥٣٦.

ثانياً- إبدال الهمزة ميماً:

وردَ في كتب لحن العامة أن الهمزة قد تبدل ميماً أيضاً، وظهر هذا في قولهم:

- «مَرْجُوحَة» بدل «أُرْجُوحَة»(١)، وبمراجعة المعاجم اللغوية، لوحظ استخدام اللفظين للدلالة على معنى واحد(٢).

- «مَرْزَبَّة» بدل «إِرْزَبَّة»(٣)، وقد وجدَ في اللسان أنها تُنطَقُ بالهمزة مع التشديد أو بالميم المكسورة مع التخفيف (مِرْزَبَة)(٤).

- اشتريت من «مطايِب» الشاة، بدل «أطايِب»(٥)، وقد اختلف اللغويون في هذه اللفظة فمنهم من جعلها بالميم فقط، ومنهم من جعلها بالهمزة فقط، ومنهم من أجازها بالميم وبالهمزة، على أن أطايب جمع مفرد أطيب، ومطايب لا واحد لها من لفظها(٦).

- «مِنْفَحَة» الجدي بدل «إِنْفَحَتهُ»(٧)، وهي أيضاً تستعمل بالميم وبالهمزة في المستوى الفصيح من اللغة(٨).

ومما سبق يظهر أنَّ استعمال العامة الكلمات السابقة بالميم استعمال فصيح،لا لحنَ فيه.

---

(١) تقويم اللسان/٦٧ وتصحيح التصحيف/٤٧٦.

(٢) لسان العرب (رجح): ٢/٤٤٦.

(٣) المدخل إلى تقويم اللسان /٩٢-٩٣ وتقويم اللسان/٦٦ وتصحيح التصحيف/٤٧٦.

(٤) المدخل إلى تقويم اللسان /٩٢ ولسان العرب (رزب): ١/٤١٦-٤١٧، وهي تعني: عُصَيَّة من حديد.

(٥) تثقيف اللسان/٨٤ والمدخل إلى تقويم اللسان/١٢٢.

(٦) لسان العرب (طيب): ١/٥٦٦، وتعني: خِيار الشيء وأطيبه.

(٧) تقويم اللسان/٦٦.

(٨) لسان العرب (نفح): ٢/٦٢٤ وهي شيء يخرج من بطنه أصفر يعصر في صوفةٍ مبتلة في اللبن فيغلظ كالجبن.

ولا يمكن تفسير الإبدال بين الميم والهمزة؛ لأن القوانين الصوتيّة لا تقرّ الإبدال بينهما، فهما غير متقاربين لا مخرجاً ولا صفةً، ويفسّر عبدالعزيز مطر هذا الإبدال على أنه من باب القياس الخاطيء فيقول: «والذي أرجحه في نشأة هذا اللحن، بعد أن لحظت أنه وقع كلّه في أوائل الكلمات المرويّة في الكتب التي ندرسها: أنه نوع من القياس الخاطيء على الكلمات المشتقة المبدوءة بالميم... فقاس العامة «أُرْجُوحَة» على اسم المفعول من رجح، فقالوا مَرْجُوحة كَمَرْكُوبة، وقاسوا أطايب، جمع أطيب، على مطايب جمع مَطْيَبة، في قول العرب: هذا شراب مَطْيَبَة للنفس، وتوهموا الإنْفخة مكاناً للنفح، فقالوا مَنْفَحة بفتح الميم. ولما كانت الإرْزَبة أداة يُكْسر بها المدر، فقد نطقوا بها كذلك بصيغة اسم الآلة، فقالوا مِرْزَبة ورويت في الشعر كذلك. ثم تطورت إلى مَرْزَبَّة بفتح الميم وتشديد الباء..»(١).

وبهذا يجعل عبدالعزيز مطر استعمال هذه الكلمات بالميم من اللحن الناشيء عن القياس الخاطيء، والذي وجدناه هو أن هذه الكلمات بالميم ليست من اللحن، لأن المعاجم اللغوية أظهرت فصاحتها كما سبق توضيح ذلك. وأرى أن السبب في هذا التوهم، هو صعوبة الهمزة، مما دفع اللغةَ إلى التخلص منها عن طريق هذا التوهم.

(١) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة/٢٤٢-٢٤٣.

ثانياً- حذف الهمزة:

تعرّضت الهمزة للحذف بسب ما أشير إليه من صعوبة نطقها، فمالت بعض القبائل العربية القديمة إلى التخلص منها، وعلى الأخصّ قبائل الحجاز، ثمّ امتدّ هذا الميل إلى اللهجات العربية الحديثة، فقيل: دان في آدان، وباط في آباط، وسبوع في أسبوع، وسنان في أسنان، ويودّي في يؤدي، ويواسي في يؤاسي(١)، وغير ذلك.

وبرزت هذه الظاهرة في كتب لحن العامة أيضاً، وجاءت في نمطين:

أـ حذفها مع التعويض عنها بـ:

١- مطل الحركة.

٢- انزلا ق شبه الحركة.

٣- التشديد.

ب- حذفها دون تعويض.

---

(١) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه/٤٧-٤٩.

أ- حذفها مع التعويض:

١- حذف الهمزة مع التعويض عنها بمطل الحركة:

قد تخذف الهمزة بسبب صعوبتها، ثم تقوم اللغة بالتعويض عنها عن طريق مطل (إشباع) الحركة التي تسبقها، وقد وردت أمثلة على هذا المظهر في كلام عامة الناس، منها قولهم:

- ثالول بدل ثُؤْلول، لما يخرج في الجسم(١)، ويُفسَّرُ تطوّر هذه الكلمة على النحو الآتي:

ṯu>lūlun	>	ṯa>lūlun	>	ṯa*lūlun	>	ṯālūlun
الأصل المهموز		الفرار من الضم إلى الفتح		حذف الهمزة		التعويض عن الهمزة بإشباع الحركة التي قبلها

حيث أُبدلت ضمّة الثاء فتحة، ثمّ تدخّلَ قانون السهولة والتيسير؛ فسقطت الهمزة، ثم عوّض عنها بإشباع الحركة السابقة لها وهي الفتحة.

- جُونة بدل جُؤْنة(٢)، والذي حدث فيها هو:

ǧu>nah	>	ǧu*nah	>	ǧūnah
الأصل المهموز		حذف الهمزة		التعويض عنها بمطل الحركة التي قبلها

حيث تدخل قانون السهولة والتيسير؛ فسقطت منها الهمزة، ثمّ عوّض عنها بإشباع الحركة السابقة لها، وهي الضمّة.

---

(١) لحن العامة/٢٠٧ وتثقيف اللسان/١٨٦.

(٢) تثقيف اللسان/٨٥ وورد في تصحيح التصحيف/٢١٨ أن العامة جعلتها جَوْنة، وفي استخدام العامة (جَوْنة) فرارٌ من الهمزة إلى الحركة المزدوجة (aw): ǧu>nah > ǧawnah والجُؤْنة: سَلّة مستديرة مُغشّاة أدماً يُجْعَلُ فيها الطيبُ والثياب ، لسان العرب (جأن) ٨٤/١٣.

- «مَسَاوِي» بدل «مَسَاوِئ»(١) ويفسّر تطور هذه الكلمة بالنحو الآتي:

masāwi> > masāwi* > masāwī

الأصل المهموز — حذف الهمزة — التعويض عن طريق مطل الحركة السابقة لها

حيث تدخّل قانون السهولة والتيسير؛ فسقطت الهمزة، ثم عوض عنها بمطل الحركة التي تسبقها، وهي الكسرة. وقد وردَ في اللسان أن العرب تكره اجتماع الواو مع الهمزة؛ لأنهما حرفان مستثقلان؛ لذا وردَ عنهم: الخيل تجري على مَسَاويها، بمعنى عيوبها(٢)، وهذا يعني أنّ هذا النطق لهذه الكلمة وردَ في فصيح اللغة.

- «تتكافا» بدل «تتكافأ»، بمعنى تتساوى(٣)، إذْ تعرّضت الكلمة «تتكافأ» لقانون السهولة والتيسير؛ فسقطت منها الهمزة، ثم عوّض عنها بمطل الحركة التي تسبقها، وهي الفتحة ويمثّل هذا التطور بالنحو الآتي:

tatakāfa> > tatakāfa* > tatakāfā

الأصل المهموز — حذف الهمزة — التعويض عنها بمطل الحركة السابقة لها

- «اللِبَا» بدل «اللِبأ»، لما يُحْلَب من اللبن(٤)، وقد تطورت على النحو الآتي:

(>)alliba> > (>)alliba* > (>)allibā

إذْ سقطت الهمزة بفعل قانون السهولة والتيسير، ثم عوّض عنها بمطل الحركة السابقة لها، وهي الفتحة.

- «مُونَة» بدل «مُؤْنة»(٥)، وإذا كانت بدلاً من مُؤْنة فَيُفَسَّرُ تطورها على النحو

(١) تصحيح التصحيف/٤٨٠.
(٢) لسان العرب (سوأ): ١/٩٥-٩٦.
(٣) تثقيف اللسان/٣١٦.
(٤) السابق/١٨٦، واللِبَأ: أول اللبن في النتاج، لسان العرب (لبأ) ١/١٥٠.
(٥) تقويم اللسان/١٦٥.

الآتي:

mu>nah > mu*nah > mūnah

حيث حذفت الهمزة ثم عوّض عنها بمطل الحركة السابقة لها، وهي الضمة. وأمّا إذا كانت بدلاً من مَؤُنة(١)، فالتطوّر على النحو الآتي:

ma>unah > mu>unah > mu*unah > mūnah

الأصل المهموز — مماثلة بين الحركات — حذف الهمزة دون تعويض

حيث إنها تعرّضت للمماثلة بين الحركات فتأثرت الفتحة بالضمّة، فصارت الكلمة (mu>unah) ثم تعرّضت لقانـــون السهولة والتيسير؛ فسقطت الهمزة دون تعويض لتصبح: mūnah.

- «مُوَطّا» مالك بدل «مُوَطّأ»(٢)، وقد تعرّضت الكلمة كذلك لقانون السهولة والتيسير؛ فسقطت همزتها، ثم عوّض عنها بمطل الحركة التي تسبقها، وهي الفتحة، ويظهر هذا التطور على النحو الآتي:

muwaṭṭa> > muwaṭṭa* > muwaṭṭā

---

(١) تصحيح التصحيف/٥٠٣.

(٢) تثقيف اللسان/٣٠٦.

٢- حذف الهمزة مع التعويض عنها بانزلاق شبه الحركة:

وقد تحذف الهمزة بسبب صعوبتها أيضاً، ثم يعوّض عنها بانزلاق شبه الحركة (w) أو (y) ، وقد وردت أمثلة كثيرة على ذلك في كتب لحن العامة منها:

- «واكَلْتُ» فلاناً، بدل «آكلْتُ»، إذا أكلت معه(١)، ويمثل التطور بالنحو الآتي:

>ākaltu > *ākaltu > wākaltu

حيث تدخّل قانون السهولة والتيسير؛ فسقطت الهمزة، واجتلبت شبه الحركة (w) تعويضاً عما حُذف، ففرَّ بذلك الناطق من الهمزة إلى الحركة المزدوجة الصاعدة (wa)، على الرغم من صعوبة الحركة المزدوجة أيضاً.

وقد جاءَ في لسان العرب: «آكَلَ الرجلَ وواكله: أكل معه، الأخيرة على البدل وهي قليلة. . .، والهمز في آكَلَه أكثر وأجود»(٢)، وهذا يعني أن (واكَلَ) لا تعدّ من لحن العامة، وإنما هي لغة، و (آكَلَ) أجود منها.

وعل وفق ما سبق، يمكن أيضاً تفسير قولهم: واتَيْتُه على الأمر، وَوَاجَرته الدّابة، وواخذتُه بذنبه، وَوَازيْتُهُ بمعنى حاذيتُه وواسيْتُه بنفسي. والأصل فيها: آتَيْتُه، وآجَرْتُه، وآخَذْتُه وآزَيْتُهُ(٣).

- «وَمَّلْتُ فيك» بدل «أَمَّلْتُ»(٤)، وقد تطورت الكلمة على النحو الآتي:

>ammaltu	>	*ammaltu	>	wammaltu
الأصل المهموز		حذف الهمزة		انزلاق شبه حركة مكانها

حيث تعرّضت الكلمة لقانون السهولة والتيسير؛ فسقطت منها الهمزة، فعوّض

---

(١) أدب الكاتب/٢٨٤ وتثقيف اللسان/٨٥.

(٢) لسان العرب (أكل) ١١/٢٠.

(٣) أدب الكاتب/٢٨٤ وتقويم اللسان/٦٢.

(٤) تصحيح التصحيف/٥٤٦.

عنها بانزلاق شبه الحركة (w)؛ لأن سقوط الهمزة يعني أن يبدأ المقطع بحركة، وهي الفتحة (a) وهذا مرفوض في نظام المقاطع العربية؛ لذا انزلقت شبه الحركة للتخلص مما هو غير ممكن (مرفوض)، وبذلك فرّ الناطق من الهمزة إلى الحركة المزدوجة الصاعدة (wa).

- «أبْطَيْتَ عليّ واستبطيتُكَ» بدل «أبطأتَ، واسْتَبْطَأْتُكَ»(١)، ويوضّح المخطط الآتي ما حدث فيها:

>abṭa>ta	>	>abṭa*ta	>	>abṭayta
الأصل المهموز		حذف الهمزة		انزلاق شبه حركة مكانها

إذْ سقطت الهمزة تبعاً لقانون السهولة والتيسير، فانزلقت مكانها شبه الحركة(y)، وقد نجم عن هذا التعويض حركة مزدوجة هابطة وهي(ay)، وهي حركة معرّضة للانكماش، وهذا ما حدث في اللهجات المعاصرة، وربما في القديمة أيضاً.

- «موضِعٌ دَفِيٌّ» بدل «دَفِىءٌ»(٢)، ويفسّر تطوّرها على النحو الآتي:

dafi>un	>	dafi*un	>	dafiyun	>	dafiyyun
الأصل المهموز		حذف الهمزة		انزلاق شبه حركة مكانها		التشديد للتخفيف

حيث تعرّضت الكلمة لقانون السهولة والتيسير؛ فسقطت الهمزة منها، فالتقت حركة مع حركة (iu)، مما دفع إلى انزلاق شبه الحركة (y) بينهما للتخلص من هذا الوضع غير المقبول في العربية، فصارت الكلمة (dafiyun) ولتخفيف هذا النمط عمل الناطق على تشديد الياء، فأغلق بذلك المقطع القصير المفتوح (fi)، فصارت (dafiyyun).

- «ذَوَابة» شَعْر بدل «ذُؤَابة»(٣)، حيث سقطت الهمزة أيضاً فالتقت الحركة (u) مع

---

(١) إصلاح المنطق/١٤٨ وتثقيف اللسان/٨٨.

(٢) تقويم اللسان/١٠٥ وتصحيح التصحيف/٢٦١.

(٣) إصلاح المنطق/١٤٦ وتثقيف اللسان/١٨٥-١٨٦ والمدخل إلى تقويم اللسان /١٩٥ وهي في لسان العرب (ذأب)١/ ٣٧٩ بمعنى منبت الناصية من الرأس.

الحركة (a)، وهذا مما ترفضه العربية؛ لذا انزلقت شبه الحركة (w) لتفصل بينهما، ثم أبدلت ضمّة الذال فتحة على سبيل المماثلة والتأثّر بما بعدها، فصارت الكلمة: (dawābatun)وللتّخفيف تمّ إغلاق المقطع القصير المفتوح (da) بتشديد الواو، فصارت (dawwābatun)، وبذلك فرّ الناطق من الهمزة إلى الحركة المزدوجة الصاعدة (wā)، ويوضّح ذلك المخطط الآتي:

du>ābatun > du*ābatun > duwābatun > dawābatun > dawwābatun

إغلاق المقطع القصير (التخفيف بالتشديد)	مماثلة بين الحركات	انزلاق شبه حركة	حذف الهمزة والتقاء حركتين	الأصل المهموز

- «ريّة» الإنسان بدل «رِئَةُ»(١)، ويُفسَّر تطورها على النحو الآتي:

ri>atun > ri*atun > riyatun > riyyatun

إغلاق المقطع القصير بالتشديد للتخفيف	انزلاق شبه حركة	حذف الهمزة والتقاء حركتين	الأصل المهموز

حيث سقطت الهمزة، فالتقت حركتان؛ فانزلقت شبه الحركة (y) للفصل بينهما؛ للتخلص من هذ الوضع المرفوض في العربية، فصارت (riyatun) وللتخفيف يتم تشديد الياء، فيغلق المقطع القصير (ri) وبذلك فرّ الناطق من الهمزة إلى الحركة المزدوجة الصاعدة (ya).

وقد وردَ في اللسان أن الرِّئَة تُهْمَز ولا تهمز(٢). وهذا يعني أنها ليست من لحن العامة، إذ جاز همزها، وجاز تخفيفها بحذف تلك الهمزة.

- قوم «مياشيم» بدل «مشائيم»(٣)، وهي جمع مَشْؤوم، وقد تعرّضت الكلمة

---

(١) تثقيف اللسان/١٨٦ وتقويم اللسان/١١٠.

(٢) لسان العرب (رأي) ٣٠٢/١٤.

(٣) تقويم اللسان/١٦٨.

لقانون السهولة والتيسير، فسقطت الهمزة؛ فالتقت حركتان (āī) فانزلقت بينهما شبه حركة (y)، ثم تعرّضت للقلب المكاني لغاية التخفيف، وقد حدث بين الياء والشين، ويوضّح ذلك التطوّر المخطط الآتي:

mašā>īm > mašā*īm > mašāyīm > mayāšīm

قلب مكاني بين الشين والياء	انزلاق شبه حركة	حذف الهمزة والتقاء الحركتين	الأصل المهموز

- «شُوَيّ» بدل «شُيَيْء»، وهو مصغّر شيء(١)، ويُفَسَّر تطوّرها على النحو الآتي:

šuyay>un > šuway>un > šuway*un > šuwayyun

انزلاق شبه حركة للتعويض والفصل بين الحركتين	حذف الهمزة	مخالفة في (diph)	الأصل المهموز

حيث تعرّضت الكلمة لمخالفة في الحركة المزدوجة (diphthongs) wa<ya ثم تعرّضت لقانون السهولة والتيسير؛ فسقطت الهمزة، فأدى ذلك إلى التقاء حركتين، وهو ما ترفضه العربية، فانزلقت؛ لتفصل بينهما شبهُ حركة (y).

- طعامٌ «لا يُلاوِمُنِي» بدل «يُلائمُني» بمعنى يوافقني(٢)، وما حدث فيها هو:

yulā>imunī > yulā*imunī > yulāwimunī

انزلاق شبه الحركة	حذف الهمزة	الأصل المهموز

حيث سقطت الهمزة، فالتقت حركتان (āi)، وفصل بينهما بانزلاق شبه الحركة(w).

---

(١) تقويم اللسان/١٢٨ وتصحيح التصحيف/٣٤٣-٣٤٤.

(٢) إصلاح المنطق/١٤٨ وأدب الكاتب/٢٨٥ وتقويم اللسان/١٨٨.

- «ولَمْتُ» الشيء بالشيء، بدل «لأَمْتُ ولاءَمْتُ»(١)، ويُفَسّرُ تطورها على النحو الآتي:

la>amtu > >alamtu > *alamtu > walamtu

الأصل المهموز   قلب مكاني   حذف الهمزة   انزلاق شبه حركة

حيث تعرّضت الكلمة للقلب المكاني بين الهمزة وللام، فصارت (>alamtu)، ثم تعرّضت لقانون السهولة والتيسير؛ فسقطت منها الهمزة، وبقيت حركتها فصارت (alamtu) والعربية ترفض بدء المقطع بحركة؛ لذا انزلقتْ شبه الحركة (w)؛ للتخلص من هذا الوضع فصارت (walamtu).

- «لَبْوَة» بدل «لَبُؤَة»(٢)، وقد حدث فيها ما يأتي:

labu>ah > labu*ah > labuwah > l babwah

الأصل المهموز   حذف الهمزة   انزلاق شبه الحركة (w)   التخفيف بالتسكين وإعادة ترتيب المقاطع

حيث سقطت الهمزة وبقيت حركتها (a)؛ فالتقت مع (u)، ففصل بينهما بانزلاق شبه الحركة (w)، ثم أُعيد ترتيب المقاطع وحذفت الضمّة التي على الباء للتخفيف، وقد وردَ في إصلاح المنطق، وفي اللسان أن «اللَبْوة» ساكنة الباء غير مهموزة لغة فيها، وإن كانت لَبُؤَة أفصح(٣)، وهذا يعني أن عدم همزها لا يعدّ من لحن العامة.

- «ميَّة» بدل «مائة»(٤)، وقد تطوّرت كما في المخطط الآتي:

mi>ah > mi*ah > miyah > miyyah

الأصل المهموز   حذف الهمزة   انزلاق شبه حركة   إغلاق المقطع القصير بالتشديد للتخفيف

---

(١) لحن العامة/٢٣٥.

(٢) إصلاح المنطق/١٤٦ والمدخل إلى تقويم اللسان/٧٢.

(٣) إصلاح المنطق/١٤٦ ولسان العرب (لبأ) ١٥١/١.

(٤) تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة/٥٤ وتقويم اللسان/١٧٤.

حيث سقطت الهمزة بسبب قانون السهولة والتيسير وبقيت حركتها؛ فالتقت مع (i) ، ففصل بينهما بانزلاق شبه الحركة (y) ، ثم أُغلق المقطع القصير (mi) عن طريق تشديد الياء للتخفيف؛ فصارت: (miyyah).

- «هَوْلى» فعلوا ذلك، بدل «هؤلاءِ»(١)، وقد تطوّرت على النحو الآتي:

hā>ulā>i > ha>ulā>i > ha*lā>i > hawlā>i > hawlā

hā>ulā>i	ha>ulā>i	ha*lā>i	hawlā>i	hawlā
الأصل المهموز	تقصير حركة المقطع المفتوح (hā)	حذف الهمزة مع حركتها	انزلاق شبه الحركة	حذف الهمزة مع حركتها

حيث تعرّضت الكلمة لتغييرات صوتية كثيرة إذْ حدث فيها تقصير لحركة المقطع الطويل المفتوح (hā)، ثم تعرّضت لقانون السهولة والتيسير؛ فسقطت الهمزة مع حركتها؛ فعوّض عنها بانزلاق شبه الحركة (w)، فصارت: (hawlā>i)، ثم سقطت الهمزة من الآخر مع حركتها دون أن يعوّض مكانها، فصارت (hawlā).

---

(١) تصحيح التصحيف/٥٣٣.

٣- حذف الهمزة والتعويض عنها بالتشديد:

قد تحذف الهمزة، ثم يعوّض عنها عن طريق تشديد الصوت الذي يسبقها وقد وردت هذه الظاهرة في قول العامّة:

- صَارَ فلان «حَدُّوثة» بدل «أُحْدوثة»(١)، بمعنى أعجوبة(٢)، حيث سقطت الهمزة مع حركتها؛ فصارت الكلمة تبدأ بمقطع يتكون من صامت ساكن فقط، وهذا مرفوض في نظام المقاطع العربية؛ لذا اجتُلبتْ الحركة (a) للتخلّص مما هو مرفوض، ثم أغلق المقطع المتكوّن القصير المفتوح (ḥa) عن طريق تشديد الدال (ḥad)، تعويضاً عما حُذف في الكلمة، فصارت (ḥaddūṯah) ويوضّح ما سبق المخطط الآتي:

>uḥdūṯah	> *ḥdūṯah	> ḥadūṯah	> ḥaddūṯah
الأصل المهموز	حذف الهمزة مع حركتها	اجتلاب الفتحة	التعويض عن المحذوف بإغلاق المقطع القصير المفتوح أي بالتشديد

- علَى فلان «حُلاّس» بدل «أَحْلاس»(٣)، ويُفَسّر تطورها على النحو الآتي:

>aḥlāsun	> * ḥlāsun	> ḥulāsun	> ḥullāsun
الأصل المهموز	حذف الهمزة مع حركتها	اجتلاب الضمّة	التعويض عن المحذوف بإغلاق المقطع القصير المفتوح

وما حدث في هذه الكلمة هو ما حدث فيما قبلها، حيث سقطت الهمزة مع حركتها، فصارت تبدأ بمقطع يتكون من صامت ساكن فقط، وللتخلّص منه اجتُلبت

---

(١) تقويم اللسان/٦٣.

(٢) لسان العرب (حدث) ٢/١٣٣.

(٣) تصحيح التصحيف/٢٢٩، وفي لسان العرب (حلس) ٦/٥٤: أحلاس جمع حِلْس وحَلَس وهو كساء رقيق يكون تحت البرذعة.

الحركة (u)، ثم أغلق المقطع الناتج (ḥu) بتشديد اللام (ḥul) تعويضاً عن الهمزة المحذوفة، فصارت الكلمة (ḥullāsun).

- «رَدٌّ» العسكر بدل «رِدْءٌ»، وهو المُعِين(١)، ويفسّر تطوّرها على النحو الآتي:

rid>u	>	rid*u	>	riddu	>	raddu
الأصل المهموز		حذف الهمزة		التعويض بتشديد الدال		إبدال الكسرة فتحة

حيث سقطت الهمزة وبقيت حركتها، ثمّ عوّض عنها بتشديد الصوت السابق لها وهو الدال؛ فصارت: riddu، ثم أبدلت كَسْرَةُ الراء فتحةً للتخفيف.

- في أمور «هادّة» بدل «هادِئة»(٢)، وقد تطوّرت على النحو الآتي:

hādi>atun	>	hād>atun	>	hād*atun	>	hāddatun
الأصل		سقوط كسرة الدال وإعادة ترتيب المقاطع		حذف الهمزة		التعويض عنها بتشديد الدال التي قبلها

حيث إنّ الكسرة التي على الدال حُذفت، مما دعا إلى إعادة ترتيب المقاطع فصارت: (hād>atun)، ثم تعرّضت لقانون السهولة والتيسير، فسقطت الهمزة منها، فعوّض عنها بتشديد الدال، فصارت (hāddatun)، وبذلك يلاحظ أنّ الناطق حاول تسهيل هذه الكلمة، ولكنه كوّن مقطعاً مكروهاً في العربية، وهو المقطع الرابع (ص ح ط ص)، والذي يجيزه أن المقطع الذي يليه يبدأ بالصامت الذي ينتهي هُوَ بِهِ أي بالدال.

(١) لحن العامة/٢١٣.

(٢) السابق/٢٣٣ وتصحيح التصحيف/٥٢٧.

ب- حذف الهمزة دون التعويض:

١- حذف الهمزة من أول الكلمة دون تعويض:

قد تحذف الهمزة من أول الكلمة دون أن يُعوَّضَ مكانها، وقد وردت هذه الظاهرة في كتب لحن العامة، فجاءت أمثلةٌ كثيرة عليها، أظهرت ميل العامة بعد عصر الاحتجاج إلى إخضاع كلامهم لقانون السهولة والتيسير، ومن هذه الأمثلة قولهم:

- بَهْم بدل إبْهام للإصبع(١)، وقد تطورت على النحو الآتي:

>ibhāmun > *bhāmun > bahāmun > bahamun > bahmun

حذف حركة الهاء للتخفيف	تقصير حركة المقطع الطويل المفتوح	انزلاق الفتحة بين الصامتين	حذف الهمزة وحركتها	الأصل المهموز

حيث تعرّضت الكلمة لقانون السهولة والتيسير؛ فسقطت منها الهمزة مع حركتها، دون أن يعوّض مكانها، مما أدى إلى أن تبدأ الكلمة بصامت ساكن، وهذا ما ترفضه العربية؛ وللتخلص منه انزلقت حركة الفتحة؛ فتكون المقطع (ba)، وهو مقبول في العربية ثم قصِّرَتْ حركة المقطع الطويل المفتوح، فصارت الكلمة (bahamun) وللتخفيف حذفت فتحة الهاء، فصارت (bahmun).

- قد «راحت» الجيفة بدل «أروَحَت»(٢)، وقد تعرّضت أيضاً لقانون السهولة والتيسير، فحذفت الهمزة واجتلبت الفتحة لتفصل بين الراء والواو، ثم سقطت شبه الحركة (W)، فالتقت فتحتان قصيرتان، فصارتا فتحة طويلة، ويوضح ما سبق المخطط الآتي:

>arwaḥat > *rawaḥat > ra*aḥat > rāḥat

الصورة النهائية	حذف شبه الحركة	استعمال الثلاثي	الأصل المهموز

(١) تثقيف اللسان/١٢٧.

(٢) تقويم اللسان/٧٠.

ب- حذف الهمزة دون التعويض:

١- حذف الهمزة من أول الكلمة دون تعويض:

قد تحذف الهمزة من أول الكلمة دون أن يُعوَّضَ مكانها، وقد وردت هذه الظاهرة في كتب لحن العامة، فجاءت أمثلةٌ كثيرة عليها، أظهرت ميل العامة بعد عصر الاحتجاج إلى إخضاع كلامهم لقانون السهولة والتيسير، ومن هذه الأمثلة قولهم:

- بَهْم بدل إبْهام للإصبع(١)، وقد تطورت على النحو الآتي:

bahmun	>	bahamun	>	bahāmun	>	*bhāmun	>	>ibhāmun
حذف حركة الهاء للتخفيف		تقصير حركة المقطع الطويل المفتوح		انزلاق الفتحة بين الصامتين		حذف الهمزة وحركتها		الأصل المهموز

حيث تعرّضت الكلمة لقانون السهولة والتيسير؛ فسقطت منها الهمزة مع حركتها، دون أن يعوّض مكانها، مما أدى إلى أن تبدأ الكلمة بصامت ساكن، وهذا ما ترفضه العربية؛ وللتخلص منه انزلقت حركة الفتحة؛ فتكون المقطع (ba)، وهو مقبول في العربية ثم قصِّرَتْ حركة المقطع الطويل المفتوح، فصارت الكلمة (bahamun) وللتخفيف حذفت فتحة الهاء، فصارت (bahmun).

- قد «راحت» الجيفة بدل «أروَحَت»(٢)، وقد تعرّضت أيضاً لقانون السهولة والتيسير، فحذفت الهمزة واجتلبت الفتحة لتفصل بين الراء والواو، ثم سقطت شبه الحركة (W)، فالتقت فتحتان قصيرتان، فصارتا فتحة طويلة، ويوضح ما سبق المخطط الآتي:

rāḥat	>	ra*aḥat	>	*rawaḥat	>	>arwaḥat
الصورة النهائية		حذف شبه الحركة		استعمال الثلاثي		الأصل المهموز

---

(١) تثقيف اللسان/١٢٧.

(٢) تقويم اللسان/٧٠.

- منذ «سُبُوع» ما رأيتك بدل «أُسبُوع»(١)، وقد تطوّرت على النحو الآتي:

>usbū<un	>	*subū<un	>	subū<un
الأصل المهموز		حذف الهمزة وانزلاق الضمة لتفصل بين السين والباء		عدم التعويض عن المخذوف

حيث حذفت الهمزة وانزلقت الضمة لتفصل بين السين والباء؛ للتخلص من البدء بساكن. وعند البحث في اللسان وجد أن السُّبُوع والأُسْبُوع من الأيام، وأنّ من العرب مَنْ يقول سُبُوع في الأيام والطواف(٢). وهذا يعني أنّ استخدام عامة الناس «سُبُوع» لا يعدُّ من اللحن.

- «سِنان» في جمع سِنّ بدل أسْنان(٣)، وهي أيضاً تعرّضت لقانون السهولة والتيسير؛ فسقطت منها الهمزة دون أن يعوّض مكانها؛ ولتجنّب البدء بساكن اجتلبت الكسرة، فاصبحت بذلك كما يأتي:

>asnānun > *sinānun > sinānun

- «شُنَانٌ» بدل «أُشْنَانٌ» للذي يُغسل به اليد(٤)، وقد تعرّضت لما تعرّضت له الكلمات السابقة، فسقطت الهمزة، ونقلت حركة الضم إلى الشين؛ للتخلص من البدء بساكن، فتطوّرت أُشْنان (>ušnānun) بذلك إلى شُنَان (šunānun).

- «ضُبارة» من كتب، بدل «إضبارة»(٥):

>iḍbāratun > ḍubāratun

---

(١) تقويم اللسان/٦٣.

(٢) لسان العرب (سبع) ١٤٦/٨.

(٣) تثقيف اللسان/٢٢٧.

(٤) المدخل إلى تقويم اللسان/١٢٧، الشُّنان: الماء البارد، أما الأُشْنان فهو من الحمض الذي يُغسَل به الأيدي، لسان العرب (أشن) ١٨/١٣.

(٥) تقويم اللسان/٦٧.

حيث حذفت منها أيضاً الهمزة وحركتها دون أن يعوض مكانها، فصارت الكلمة تبدأ بساكن، وهذا ما يرفضه نظام المقاطع العربية؛ لهذا اجتلبت حركة الضمّة للتخلص من هذا الوضع المرفوض، وقد وردَ في اللسان أن «ضُبَارة» لغة في إضْبارة، وأن غير الليث لا يجيز ضُبَارَة من كُتُب(١).

- «ضَحِيَّة» بدل «أُضْحِيَّة»(٢).

>uḍḥiyyatun > ḍaḥiyyatun

حيث حذفت الهمزة وحركتها، دون أن يعوّض مكانها، فأدّى ذلك إلى البدء بساكن، وهذا مما ترفضه العربية؛ لذا اجتلبت حركة الفتحة للتخلّص من هذا الوضع فصارت (ḍaḥiyyatun)، وقد وردَ في لسان العرب أن الضَّحيّة والأُضْحيّة من فصيح الكلام(٣).

- «لَواح» بدل «ألْواح»، وهي جمع لَوْح(٤):

>alwāḥun > lawāḥun

ويقال فيها ما قيل في الأمثلة السابقة.

-«حِدَ عَشْر» بدل «أَحَدَ عَشَر»(٥)، وقد تطورت على النحو الآتي:

>a/ḥa/da/<a/šar > ḥa/da/<a/šar > ḥi/da/<a/šar < ḥi/da/<ašr

حذف الفتحة	إبدال الفتحة كسرة	حذف الهمزة وحركتها	الأصل المهموز

أي أن الهمزة في (>aḥada) حذفت مع حركتها، دون أن يعوَّض مكانها ، ثمَّ

---

(١) لسان العرب (ضبر) ٤/٤٧٩.

(٢) ما تلحن فيه العامة/١٣٢.

(٣) لسان العرب (ضحا) ١٤/٤٧٦ -٤٧٧.

(٤) تصحيح التصحيف/٤٥٧.

(٥) السابق/٢٢٢.

أبدلت فتحة الحاء كسرة، فصارت (ḥida) ثم تعرّضت كلمة عَشَر للتخفيف، فحذفت فتحة الوسط، فصارت (<ašr)، وبذلك نطقتْها العامة: (ḥida<ašr).

أمّا الخاصّة فنطقتها «حَدَ عْشَر»(١)، وبهذا تطوّرت على النحو الآتي:

>a/ḥa/da/<a/šar > ḥa/da</šar

حيث حذفت أيضاً الهمزة وحركتها، دون أن يُعوَّضَ مكانها، ثم غُيِّر في عدد المقاطِع بحذف فتحة العين.

- «الكُرُنْب» بدل « الأُكْرُنْب»(٢). وفي لسان العرب يُلاحظ عدم وجود «أكْرُنْب»، ويوجدُ «كُرُنْب» بمعنى البقلة، أو ما يقال له السِّلق(٣). وهذا يعني أن الذين قالوا أُكْرُنْب بالهمزة، قد اجتلبوا الهمزة اجتلاباً بعد حدوث تسكين المقطع الأوّل، الذي أدى إلى التقاء ساكنين، و هذا لا يتناسب والنظام المقطعي للعربية، ويظهر ذلك في المخطط الآتي:

kurunbun > krunbun > >ukrunbun

- هذه «وَزَّة» بدل «إوزَّة»(٤)، وقد حذفت منها الهمزة مع حركتها دون أن يُعوَّضَ مكانها، ويظهر ذلك على النحو الآتي:

>iwazzah > *wazzah > wazzah

وقد جاء في المعاجم أن من العرب مَن يحذف الهمزة منها، فيصيِّرُها وَزَّة، وأن الوَزَّ لغة في الإوَزّ(٥)، وهذا يعني أن وَزّة ليست من لحن العامة، إذْ استعملت العامة ما استعملته العرب.

---

(١) تصحيح التصحيف/٢٢٢.

(٢) المَدْخل إلى تقويم اللسان/١٩٧.

(٣) لسان العرب (كرنب) ٧١٦/١.

(٤) أدب الكاتب/٢٨٦.

(٥) لسان العرب (وزز) ٤٢٩/٥.

ومنهـا أيضـاً قـولهم: حِنَةٌ(١) وبَزيم للحـديدة التي تكون في طرف حـزام السرج(٢)، والشّفا للمِخْرَز(٣). ومِلاكُ فلانٍ بمعنى زواجه(٤)، ووَفَاز لمن لم يكن على طمأنينة(٥). . . الخ. والأصل فيها: إحْنَة وإبْزيم والإشْفى وإمْلاك وأوْفَاز.

٢- حذف الهمزة من الوسط دون تعويض:

وقد تحذف الهـمزة من وسط الكلمة دون أن يُعوَّضَ مكانها أيضاً؛ بسبب قانون السهولة والتيسير، وقد وردت أمثلة على هذه الظاهرة في كلام عامة الناس بعد عصر الاحتجاج ومن ذلك قولهم:

- شَمَمتُ «رَاحَة» الشيء بدلَ «رائحته»(٦)، وقد تطوّرت على النحو الآتي:

rā>iḥata > rā*ḥata > rāḥata

عدم التعويض عن المحذوف   حذف الهمزة مع حركتها   الأصل المهموز

حيث حذفت الهمزة مع حركتها، بسبب قانون السهولة والتيسير، ولم يعوَّض مكانها فصارت (rāḥata).

- «مَشُوم» بدل «مَشْؤوم»(٧) .

maš>ūmun > mašūmun

---

(١) أدب الكاتب/٢٨٥ وقد وردَ في لسان العرب، (أحن) ٨/١٣: أن العربَ ربما قالت حِنة بمعنى الحقْد في الصدر ولكن قال الأزهري حِنَة ليس من كلام العرب، وأنكر الأصمعي والفراء حِنَة.

(٢) تصحيح التصحيف/١٥٨.

(٣) تقويم اللسان/٦٧.

(٤) ما تلحن فيه العامة/١٣٤ وأدب الكاتب/٢٨٤ وتقويم اللسان/٧٠.

(٥) تصحيح التصحيف/٥٤٤ وورد في كتاب (أدب الكاتب/٢٨٤) أن العوامّ تقوله: وِفاز وهو خطأ. وورد في لسان العرب (وفز) ٥/٤٣٠، يقال: قعد على أوْفاز من الأرض ووِفازٍ وهذا يعني أنها بالكسر لغة.

(٦) تقويم اللسان/١١١.

(٧) أدب الكاتب/٢٨٥ وتصحيح التصحيف/٤٨٢.

- لقيته «لَقَاةً» واحدةً بدل لِقَاءَةً ولِقْيانَةً، إذا أرادوا به المرة الواحدة(١)، حيث سقطت الهمزة مع حركتها، ولم يعوض مكانها كما يظهر في المخطط الآتي:

liḳā>atan > liḳā*tan > liḳātan

وقد اختلف اللغويون في مدى صحة هذا الاستعمال، فمنهم من أجازه كابن جني والليث تلميذ الخليل بن أحمد، ومنهم من لم يجزْه، إذ هو عندهم مولّد ليس بفصيح عربي كابن السكيت(٢). وهذا يعني أنه لا يمكن القطع بأنه من لحن العامة.

- «مِراةٌ» بدل «مِرآةٌ»(٣) .

mir>ātun > mir*ātun > mirātun

حيث سقطت وبقيت حركتها، ولم يعوّض مكانها فصارت (mirātun).

- «مِيضَةٌ»(٤) و «مِيضَاة»(٥) بدل «مِيْضَأة» لما يُتَوَضّأ منه أو فيه. وقد حدث التطوّر على النحو الآتي:

mīḍa>atun	>	mīḍa*atun	>	mīḍātun
الأصل المهموز		حذف الهمزة وبقاء الحركة		عدم التعويض عنها

حيث تدخّل قانون السهولة والتيسير، فَحُذِفَتْ الهمزة وبقيت حركتها، دون أن يعوّض مكانها، فصارت (mīḍātun).

أما نطقهم إيّاها «مِيضَة»، فيفسّر على النحو الآتي أيضاً:

mīḍa>atun	>	mīḍa*tun	>	mīḍatun
الأصل المهموز		حذف الهمزة مع حركتها		عدم التعويض عن الهمزة

---

(١) تصحيح التصحيف/٤٥٦.

(٢) لسان العرب (لقا) ١٥/٢٥٣-٢٥٤.

(٣) ما تلحن فيه العامة/١٣٢ وإصلاح المنطق/١٤٧ وتثقيف اللسان/١٨٥.

(٤) تقويم اللسان/١٦٦.

(٥) لحن العامة/١٤٦ وتصحيح التصحيف/٥٠٥.

حيث سقطت الهمزة مع حركتها، ولم يعوّض مكانها، فصارت: (mīḍatun).

٣- حذف الهمزة من الآخر دون تعويضٍ (قصر الممدود):

وقد تحذف الهمزة من آخر الكلمة أيضاً؛ بسبب قانون السهولة والتيسير دون أن يعوّض عنها، وتسمى هذه الظاهرة بظاهرة (قصر الممدود)، وقد وردت هذه الظاهرة في كتب لحن العامة ، وظهرت أمثلة كثيرة عليها، ومن ذلك قول العامة:

- «الحِنّا» بدل «الحِنَّاء»(١)، وقد تطورت على النحو الآتي:

(>)alḥinnā>u > (>)alḥinnā* > (>)alḥinnā

عدم التعويض عنها	حذف الهمزة مع حركتها	الأصل المهموز

إذ سقطت منها الهمزة مع حركتها، ولم يعوّض مكانها فصارت ((>)alḥinnā)

- «الضّعْفَا» و «الفقْرا» بدل «الضعَفاء» و «الفُقَراء»(٢)، وقد حدث التطوّر على النحو الآتي:

(>)aḍḍu<afā>u > (>)aḍḍa<afā>u > (>)aḍḍa<fā>u > (>)aḍḍa<fā

حذف الهمزة مع حركتها	حذف فتحة العين (التخفيف بالتسكين)	مماثلة بين الحركات	الأصل المهموز

وما حدث فيها هو ما حدث في الفقْرا، حيث تعرّضتا للمماثلة بين الحركات فتحولت حركة الفاء فيهما إلى الفتحة تأثراً بفتحة عينيهما، ثم خففتا بحذف فتحة عينيهما، ثم تعرّضتا لقانون السهولة والتيسير؛ فسقطت من آخرهما الهمزة مع حركتها دون أن يعوّض مكانها.

وهما عند الخاصّة «الضّعَفا» و «الفقَرا»(٣)، اي ان التطور حدث على النحو الآتي:

---

(١) المدخل إلى تقويم اللسان/١٦٣.

(٢) تصحيح التصحيف/٣٥٦، ٤٠٧.

(٣) السابق/٣٥٦.

(>)aḍḍu<afā>u > (>)aḍḍa<afā>u > (>)aḍḍa<afā

الأصل المهموز مماثلة حذف الهمزة مع حركتها دون تعويض

إذْ تعرّضت الكلمة عندهم لمماثلة بين الحركات،وحذف الهمزة مع حركتها فقط وكذلك الأمر في كلمة الفَقَرا.

– «النَّشا» بدل «النَّشاء»(١)، إذْ سقطت الهمزة من الآخر مع حركتها دون أن يعوّض مكانها، وحدث ذلك كما يأتي:

(>)annašā>u > (>)annašā* > (>)annašā

الأصل المهموز حذف الهمزة مع حركتها عدم التعويض عن المحذوف

– «تَهرَّى اللحمُ» بدل «تَهَرَّأ»(٢)، حيث سقطت أيضاً الهمزة، من الآخر دون أن يعوّض مكانها، مع بقاء حركتها، وذلك كما يأتي:

taharra>a > taharra*a > taharrā

الأصل المهموز حذف الهمزة مع بقاء الحركة عدم التعويض عن المحذوف

– «من تَوَضًّا بماء غير طاهر» بدل «تَوَضَّأ»(٣)، وقد سقطت من الآخر أيضاً الهمزة وبقيت حركتها دون أن يعوَّض مكانها، وذلك كما في المخطط الآتي:

tawaḍḍa>a > tawaḍḍa*a > tawaḍḍā

الأصل المهموز حذف الهمزة فقط عدم التعويض عنها

– «التَّوَضّي» بدل «التَّوَضُّؤ»(٤)، ويفسَّرُ تطورها على النحو الآتي:

---

(١) تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة/٦٠.

(٢) تثقيف اللسان/١٨٦ وتَهرَّأ تعني نَضُجَ حتى سقط من العظم، لسان العرب (هرأ) ١٨٢/١.

(٣) تثقيف اللسان/٣١٩ وتصحيح التصحيف/١٩٦.

(٤) تقويم اللسان/٨٥.

tawaḍḍu>u > tawaḍḍu*u > tawaḍḍū > tawaḍḍī

حيث تعرّضت لقانون السهولة والتيسير؛ فسقطت الهمزة من آخرها، وبقيت حركتها دون أن يعوّض مكانها، فصارت (tawaḍḍū) ، ثم تحولت الواو إلى الياء فصارت (tawaḍḍī).

ومن ذلك أيضاً قولهم:

الخُنْفُسا(١)، والدُّبَّا بمعنى القرع(٢)، والرَّها(٣)، وغِذا(٤) والقِثَّا(٥) وقَرقيسيا(٦) وكَربَلا(٧)، واللوبْيا(٨) والمَلْحَا(٨) و «هَاهَا»(١٠) «والهبا»(١١) «والولا»(١٢) وغير ذلك والأصل: الخُنْفَساء والدُّبَّاء والرَّهَاء وغِذَاء والقِثَّاء وقَرْقيسياء، وكَربَلاء واللوبْيَاء والمَلْحَاء «وهَاءَ هَاءَ» والهَبَاء والوَلاء.

(١) تثقيف اللسان/٣٢٠ وورد في تصحيح التصحيف/٢٤٩ أنهم يقولون: الخُنْفَسَا.

(٢) السابق/٣١٣ وتصحيح التصحيف/٢٥٤.

(٣) تقويم اللسان/١١٠.

(٤) تثقيف اللسان/٣٢٢.

(٥) تقويم اللسان/١٥١، والقِثَّاء : الخيار، لسان العرب (قثا)١/١٢٨.

(٦) تقويم اللسان/١٥٠.

(٧) تصحيح التصحيف/٤٤٠.

(٨) تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة/٦٠.

(٩) تصحيح التصحيف/٤٩٥.

(١٠) تقويم اللسان/١٨٦، وهاء هاء يعني التَّلبية ، لسان العرب (هوا) ١/١٨٨.

(١١) المدخل إلى تقويم اللسان/٢١٣.

(١٢) تثقيف اللسان/٣٢٧.

ثالثاً: الهمزة المقحمة:

الهمزة المقحمة تعني تلك الهمزة التي لا تكون موجودة في البنى العميقة لبعض الأنماط التي وصلت إلينا مهموزة في بعض الاستعمالات اللغوية، على الرغم من خلوّ بناها العميقة (الأصل) من وجود همزة ، وهذا يعني أن البنية السطحية ستكون مهموزة أحياناً، وغير مهموزة أحياناً أخرى فكلمة (جانّ) على سبيل المثال ليست مهموزة في بنيتها العميقة (الأصل) أو البنية السطحيّة القياسيّة (الاستعمال الفعلي)، ومع هذا فقد وجد في هذه الكلمة سياق صوتي قد يكون مدعاة للتغيير، وهو توافر مقطع طويل مغلق (ص ح ط ص)، وهذا المقطع مكروه في بعض السياقات ومرفوض في سياقات أخرى، حيث يرفض إذا لم يكن الصامت الأخير منه مشدداً، أو في حالة الوقف عليه، وإلاّ فهو مقبول. ولكنه مع هذا القبول قد يكون صعباً، مما يشكل سبباً قوياً لسعي اللغة للتخلص منه، حيث تطرأ عليه مجموعة من العمليات الصوتية التي تؤدي في مجملها إلى توليد صيغة جديدة، أو استعمال جديد للكلمة، تكون الهمزة واحدة من مكوناته الصوتية على الرغم من أنها لم تكن مكوّناً من المكونات الصامتية للجذر أو الأصل، أي أن النمط الجديد سيكون: جأنّ(١).

والأسباب التي تدعوا إلى إقحام الهمزة كثيرة في اللغة، سيتم في هذه الدراسة عرض ما ظهر منها في كلام عامة الناس، وتحليل السبب الذي جعلهم يلجأون إلى هذه العملية الصوتية، وهو في الغالب سبب صوتي محض، وقد وردَ في كتب لحن العامة المظاهر الآتية:

١- الهمز الناشيء عن تقصير الحركات الطويلة، والتعويض عن الجزء المحذوف.

٢- الهمز الناشيء عن التخلص من الحركات المزدوجة.

٣- الهمز الناشيء عن التوهم.

---

(١) الهمزة المقحمة ودورها في تشكيل بنية الكلمة العربية (بحث غير منشور).

١- الهمز الناشيء عن تقصير الحركة الطويلة، والتعويض عن الجزء المحذوف.

ويتم التقصير هنا من حركة طويلة إلى حركة قصيرة واحدة، ومن أمثلة ذلك قراءة الحسن البصري: «الربأ»(١) بدل «الربا» في قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا ما بَقِيَ من الرِبا﴾(٢) وتفسَّرُ هذه القراءة على النحو الآتي:

riba̅ > riba* > riba>

التعويض عن طريق الهمز - تقصير الحركة - الأصل غير المهموز

فقد قصّروا الحركة في المرحلة الثانية، مما أدى إلى حدوث فجوة تخلّ بالكلمة، فتخلّصوا من هذه الفجوة عن طريق إغلاق المقطع القصير بالهمزة (ba* > ba>) ومن أمثلته أيضاً قراءة ابن كثير وحده «بالسؤق»(٣) بهمز الواو بدلاً من «بالسوق»، في قوله تعالى: «فَطَفِقَ مسحاً بالسُّوقِ والأَعناقِ»(٤) وقد تفسّرُ صوتياً على النحو الآتي:

sūḳi > su*ḳi > su>ḳi

حيث تم تقصير حركة الواو الطويلة، فصار المقطع الطويل المفتوح مقطعاً قصيراً مفتوحاً (su < sū) ، مما سبب فجوة تخلّ ببناء الكلمة، فعوّض عن المحذوف بالهمزة لملء هذه الفجوة، فتحول المقطع القصير المفتوح إلى مقطع قصير مغلق.

وقد وردت هذه الظاهرة الصوتية في كتب لحن العامة أيضاً، وقد جاءَ ذلك بشكل قليل جداً في قول العامة:

- سُدّ «مأرب» بدل «مارب»(٥)، إذْ قصّروا الفتحة الطويلة؛ فصار المقطع الطويل

---

(١) مختصر في شواذ القرآن/١٧.
(٢) البقرة: ٢٧٨.
(٣) السبعة في القراءات/٥٥٣.
(٤) سورة ص: ٣٣.
(٥) تثقيف اللسان/١٨٦.

المفتوح مقطعاً قصيراً مفتوحاً، مما سبب فجوة تخلّ ببناء الكلمة، فعوّض عما حذف عن طريق إغلاق المقطع القصير بالهمزة، وذلك على النحو الآتي:

mārib > ma*rib > ma>rib

ويصحّ هذا التفسير لو كانت الكلمة من (مارب) ولكنها من (مَأرب)(١) .

- شجرة «مُؤْقَرة» بدل «مُوقَرة»(٢) وتفسّر على النحو الآتي:

mūkaratun	> mu*karatun >	mu>karatun
الأصل غير المهموز	تقصير الحركة	التعويض عن طريق الهمز

حيث قصّروا الضمّة الطويلة أيضاً، فصار المقطع الطويل المفتوح مقطعاً قصيراً مفتوحاً، وهذا سبب فجوة تخلّ ببناء الكلمة، فعوّضَ عن المحذوف بإغلاق المقطع القصير بالهمزة؛ فتحوّل بذلك المقطع القصير المفتوح إلى مقطع قصير مغلق.

وعلى هذا يمكن القول إنَّ الهدف من التقصير هو الحدّ من اندفاع حركة المد الطويلة وانطلاقها، ولكنه تقصير يخلّ ببناء الكلمة، مما يدفع إلى التعويض عن طريق إضفاء مزيد من التوتر والضغط الذي يتولّد عنه الهمزة.

(١) الكتاب: ٣/٢٥٣ ولسان العرب(مرب) ١/٧٤٧، ومَأرب بلاد الأزْد التي أخرجهم منها سيل العَرِم، وهي مدينة باليمن، كانت بها بلقيس.

(٢) تصحيح التصحيف/٥٠٢، وهي الشجرة التي تحمل حملاً ثقيلاً، لسان العرب(وقر) ٥/٢٨٩

٢- الهمز الناشيء عن التخلّص من الحركات المزدوجة:

تنقسم الحركات المزدوجة بصورة عامة إلى حركات مزدوجة صاعدة وحركات مزدوجة هابطة، والحركات المزدوجة بنوعيها الهابطة والصاعدة من الأوضاع الصوتية التي لا يمكن أن تكون محببة في اللغة العربية، ولهذا تتخلص من بعض السياقات التي تحتوي على حركات مزدوجة بطرق شتى(١)، ومن هذه الطرق أنّ اللغة قد لجأت إلى همز غير المهموز فراراً من المقاطع التي تحتوي في بناها السطحيّة على حركات مزدوجة. وستتم دراسة هذه الظاهرة على وفق نوعي الحركات المزدوجة: الصاعدة والهابطة.

أ- الحركات المزدوجة الصاعدة:

ومن أمثلة هذه الظاهرة في اللغة (وِرْث wirṯ)(٢) التي تتحول إلى (إرث >irṯ)(٣)، مما سبب وجود مادّة معجميّة جديدة، وكذلك إشاح التي تولّدت من وشاح(٤)، ومن أمثلتها أيضاً قراءة أُبي بن كعب «أُجُوهُهُم» بدل «وُجُوهُهُم»(٥) في قوله تعالى: «وُجُوهُهُم مُسْوَدَّة»(٦)، وما تمّ فيها يفسّره المخطط الآتي:

wuǧūhuhum > *uǧūhuhum > >uǧūhuhum

الأصل غير المهموز　　حذف شبه الحركة　　التعويض بالهمز

ووردت هذه الظاهرة أيضاً في كتب لحن العامة، وجاء ذلك في قول العامة:

---

(١) لمزيد من المعرفة حول طرق التخلص من الحركات المزدوجة وطرق التعويض عنها في الأفعال والأسماء ينظرُ في كتاب «أثر الحركة المزدوجة في بنية الكلمة العربية» لعبدالله الكناعنة.

(٢) لسان العرب(ورث) ٢/٢٠٠.

(٣) السابق(أرث) ٢/١١١.

(٤) إصلاح المنطق/١٦٠ وفقه اللغات السامية/٧٧.

(٥) مختصر في شواذ القرآن/١٣١.

(٦) الزمر:٦٠.

- رجلٌ «دُنيائي» بدل «دُنياوي»(١)، وقد حدث الأمر على النحو الآتي:

dunyāwī > dunyā*ī > dunyā>ī

التعويض بالهمز | حذف شبه الحركة (w) | الأصل غير المهموز.

حيث تحتوي الكلمة على الحركة المزدوجة الصاعدة (wi)؛ لذا عملت العامة على اطّراح شبه الحركة (w)، ثم عوّضت عنها عن طريق الهمز.

- على وجهه «كَبْأةٌ» بدل «كَبْوَة»(٢)، ويفسّر ما حدث فيها على النحو الآتي:

kabwatun > kab*atun > kab>atun

التعويض بالهمز | حذف شبه الحركة | الأصل غير المهموز

فالكلمة (kabwatun) تحتوي على الحركة المزدوجة الصاعدة (wa)؛ لذا عمل الناطق على اطّراح شبه الحركة (w) للتخلّص من هذه الحركة المزدوجة، وعوّض عنها بإقحام الهمزة، وفرّ بذلك من الحركة المزدوجة إلى الهمز.

- «أراق» لِضَرْب من الحَلْي يُتَّخَذْ في المعاصم بدل «يَارَق» و «يَارَقَان»، وهي فارسيّة(٣). وقد تطوّرت على النحو الآتي:

yāraḳun > yaraḳun > yarāḳun > *arāḳun > >arāḳun

التعويض بالهمز | حذف شبه الحركة | تطويل فتحة الراء | تقصيرنواة المقطع (yā) إلى (ya) | الأصل المهموز

حيث تعرّضت الكلمة لتقصير حركة المقطع (yā) فصار: (ya)، ثم تعرّضت لإطالة حركة المقطع (ra) فصار (rā)، ثم حذفت شبه الحركة (y)، فعوّض عنها بإقحام الهمزة،

---

(١) تقويم اللسان/١٠٦.

(٢) المدّخل إلى تقويم اللسان/١٧٤ وتصحيح التصحيف/٤٣٦، وهي الغَبَرَة. وتدلّ على تغير لون الوجه. لسان العرب(كبا) ١٥/٢١٥.

(٣) المدخل إلى تقويم اللسان /٢٠١.

فصارت (>arāḳun).

- «القتالُ غداً والذي إليه» بدل «يَليه»(١)، حيث تحتوي الكلمة على الحركة المزدوجة (ya)، وللتخفيف مال الناطق إلى التخلّص منها بحذف شبه الحركة (y)، فعوّض عنها بإقحام الهمزة ، فصارت (أليه)، ثم تأثرت فتحة الهمزة بالكسرة الطويلة التي بعدها، فأبدلت كسرة، ويظهر ذلك على النحو الآتي:

yalīhi	>	*alīhi	>	>alīhi	>	>ilīhi
الأصل غير المهموز		حذف شبه الحركة		التعويض بالهمز		مماثلة حركات

ب- الحركات المزدوجة الهابطة:

ومن أمثلة هذه الظاهرة في القراءات القرآنية قراءة أبي حَيْوَةَ النميري: يُؤْقِنُون(٢)، بالهمز بدل يوقنون في قوله تعالى ﴿وبالآخِرَة هم يُوقِنُون﴾(٣) حيث إن الأصل فيها يُوْقِنون (yuwḳinūna) ، وفيها الحركة المزدوجة الهابطة (uw)، وهي صعبة جداً، لذا تقوم اللغة في الغالب في التخلّص منها عن طريق حذفها، ولكنها سارت في مسارين في التعويض عنها، فالمسار القياسي أنْ تُعَوّضَ عنها عن طريق إشباع نواتها الصائتة، وهي الضمّة كما يأتي:

yuwḳinūna > yu*ḳinūna > yūḳinūna

والمسار الثاني أن تغلق المقطع بالهمزة كما يأتي:

yuwḳinūna > yu*ḳinūna > yu>ḳinūna

ووردت الظاهرة أيضاً في كتب لحن العامة، وجاء ذلك في قول العامة:

---

(١) تصحيح التصحيف/١٢٥.

(٢) مختصر في شواذ القرآن/٢.

(٣) البقرة: ٤.

-«جَبْرَؤُت» بدل «جَبَرُوْت»(١)، ويفسّر تطورها على النحو الآتي:

ǧabarūt > ǧabrawūt > ǧabra*ūt > ǧabra>ūt

- مائة و«أنِيف» بدل« نَيِّف»(٢)، ويظهر الأمر على النحو الآتي:

nayyif	> na*yif	> na>yif	> >anyif
الأصل غير المهموز	حذف شبه الحركة(y)	التعويض بالهمز	القلب المكاني

حيث إن في الكلمة حركة مزدوجة هابطة(ay)، خُفّفت بحذف شبه الحركة (y)، والتعويض عنها بإقحام الهمزة، ثم تعرّضت الكلمة للقلب المكاني فصارت (>anyif)·

وبذلك فرّ الناطق في مثل هذه الكلمات من الحركات المزدوجة إلى الهمزة مع أنّ كليهما فيه صعوبة ·

(١)تثقيف اللسان/١٨، والنَّيِّف مِن واحدة إلى ثلاث، لسان العرب(نَوَف) ٣٤٢/٩.

(٢) تصحيح التصحيف/١٣٢.

٣- الهمز الناتج عن التوهم :

مصطلح التوهم عند العلماء القدامى يعني ما عنى به المعاصرون: القياس الخاطىء، وربما أُطْلِقَ عندهم على الغلط، يقول سيبويه: «فأمّا قولهم: مصائب، فإنه غلط منهم ذلك أنهم توهموا أن (مصيبة): فعلية، وإنما هي مُفْعِلة»(١).

وأمّا معنى هذا المصطلح فهو الميل العارض الذي يمكن التنبؤ بحدوثه من كلمة أو صيغة إلى الخروج عن مدارها الطبيعي في التطوّر، والدخول في طبيعة كلمة أو صيغة أخرى؛ لوجود مشابهة حقيقية أو متوهمة بينهما(٢). فإذا كانت المشابهة حقيقية فإن القياس يكون صحيحاً، وإذا كانت متوهمة فإن القياس يكون خاطئاً أو متوهماً.

وأما التوهم الذي يؤدي إلى همز غير المهموز، فهو أن اللغة قد تتوهم أن مكاناً ما كان مهموزاً في الأصل، وأن الهمزة قد حذفت من كلمة ما في لهجة ما، كلهجات الحجازيين مثلاً، فتقوم اللغة بإعادة الهمزة إليه، قياساً على بعض الصيغ التي تشبهها من حيث الشكل الصوتي، وكانت هذه الصيغ المقيس عليها مهموزة في الأصل. ومثال ذلك كلمة سويّ غير المهموزة في بنيتها العميقة(الأصل)، إذ ورد أنها نطقت في العامية مهموزة أي سويء، ويفسّر ذلك على أنه من باب التوهم، والقياس الخاطىء على ما هو نحو جريء مثلاً، التي استخدمت في العامية جريّ،فقاسوا بذلك سويّ الفصيحة على جريّ العاميّة، وعندما أرادوا إعادة جريّ إلى أصلها الفصيح همزوها فصارت(جريء)، قاسوا أيضاً عليها سويّ التي تشبهها صوتياً وظنّوا أنها مهموزة الأصل فجعلوها (سويء) وقد جاء مثل هذا في قراءة يحيى بن يَعْمر«السويء»(٣) بدل «السَّوِيّ» في قوله تعالى: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصحابُ الصِراطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى﴾(٤)

---

(١) الكتاب: ٣٥٦/٤.

(٢) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه/١٠٠ وانظر: أسس علم اللغة/١٤١.

(٣) مختصر في شواذ القرآن/٩١.

(٤) طه: ١٣٥.

وهذه عملية تلقائية تؤدي إلى نشوء أنماط جديدة مهموزة خلافاً لأصلها غير المهموز.

وقد وردت هذه الظاهرة الصوتية في كتب لحن العامة في مجموعة من الكلمات ويمكن تقسيمها إلى قسمين:

أ- كلمات أقحمت الهمزة في أوّلها توهّماً .

ب- كلمات أقحمت الهمزة في آخرها توهّماً .

أ- الكلمات التي أقحمت الهمزة في أوّلها توهماً:

وردَ في كتب لحن العامة كلمات أقحمت الهمزة في أوّلها توهماً، مع أن بنيتها العميقة ليست مهموزة، إذ قاسوها على الألفاظ المهموزة الأول في بنيتها العميقة، والتي نطقتها العامة دون همز، فقاسوا بذلك كلماتٍ فصيحةً، غيرَ مهموزة الأول على كلمات عاميّة سقطت من أوّلها الهمزة بسبب قانون السهولة والتيسير .

ومن أمثلة ذلك قول العامة:

- قِدْرٌ «أبرام» بدل «بِرام»(١)

birām > >abrām

- «أنْصَاب» السكين والقدوم، بدل «نِصَاب»(٢)

niṡabu > >anṡābu

- تكلّم من « أنياط قلبه» بدل « نِياط»، وهو معلّقُ القلبِ من الوتين(٣).

niyāṭ > >anyāṭ

---

(١) تثقيف اللسان/١٢١، وهو قِدْرٌ من حجارة، لسان العرب(برم) ١٢/٤٥.

(٢) تصحيح التصحيف/١٣١، ونصاب السكين: مَقْبِضُه، لسان العرب (نصب) ١/٧٦١.

(٣) تثقيف اللسان/١٢٢، وهو عِرْقٌ عُلِّقَ به القلبُ من الوتين، فإذا قطع مات صاحبه، لسان العرب(نوط)٧/٤١٨ .

حيث قاسوا هذه الأمثلة، وما شابهها على ما هو نحو سِنان التي أصلها أسنان، فَبرام ونِصاب ونِياط غير مهموزات، وتشبه صوتياً سِنان العاميّة، وبذلك توهموا أن (بِرام، ونِصاب ونِياط) كَسِنان، تعرّضت لما تعرّضت سِنان له، وعندما أرادوا إعادة سِنان إلى أصلها الفصيح همزوها فصارت: أَسْنان، قاسوا أيضاً عليها (بِرام، ونِصَاب ونِياط) فجعلوها (أبْرام وأنْصاب وأنْياط) ٠

- « أُكْرَة» بدل «كُرَة»(١).

kuratun > >ukratun

حيث قاسوها على ما هو نحو «حِنَةٌ» العاميّة(٢)، والتي أصلها الفصيح«إِحْنَة» حيث إن كُرَة مثل حِنَة، وعندما أرادوا إعادة الهمزة إلى «حِنَة»، توهموا أن كُرَة مما حذفت همزته أيضاً، فهمزوها فصارت أُكْرَة٠

ومن أمثلة ذلك أيضاً قولهم: أَنَطٌّ(٣) وأَجْعَدُ وأَسْبَط(٤)، والأَرْياح(٥)، وأعْزَب(٦)، وإفْرَند لضرب من ثياب الحرير، والأُكْشُوث للنبات الأصفر، المجتث الذي يتعلق بأطراف الشوك(٧)٠ وأصلها: ثَطّ وجَعْدٌ وسَبْط والرياح، وعَزَبٌ وفِرِنْد والكُشُوث٠

---

(١) أدب الكاتب/٢٨٦ وتصحيح التصحيف/١٢٢.

(٢) تصحيح التصحيف/٢٣٤.

(٣) تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة/٤٤، وقد جاءَأن الثّطّ والأثّطّ تعني الكَوْسَج، وهو الذي عُرْيَ وجهه من الشعر إلاّ طاقات في أسفل حنكه، ويرى ابن دريد أنه لا يقال في الخفيف شعر اللحية أثَطُّ، وإن كانت العامة قد أوْلَعَتْ به، وإنما يقال ثَطّ، لسان العرب(ثَطَطَ) ٧/٢٦٧-٢٦٨.

(٤) تثقيف اللسان/١٢٣، والسَّبْط من الشّعر: المُنْبَسِطُ المُسْتَرْسِل ، لسان العرب(سبط) ٧/٣٠٩.

(٥) تقويم اللسان/١١١، وهي من ريح، التي جمعها رياح وأرواح، وأما جمعها على أرياح فهو شاذ، مُنْكَرٌ عند بعض اللغويين، انظر:لسان العرب (روح) ٢/٤٥٥.

(٦) أدب الكاتب/٢٨٦، وقد جاءَ أن بعَضهم أجاز«أعزب»، لسان العرب (عزب) ١/٥٩٦.

(٧) تصحيح التصحيف/١١٨، ١٢٢-١٢٣، ووردَ أن الكَشُوث والأُكْشُوث والكَشُوثَى تطلق على كل نباتٍ مُجتثّ مقطوع الأصل ، لسان العرب(كشث) ٢/١٨١، وهذا يعني أن (الأُكْشُوث) ليست من لحن العامة.

ب- الكلمات التي أقحمت الهمزة في آخرها توهماً:

وردَ في كتب لحن العامة أيضاً، ما يشير إلى أن الهمزة قد تُقْحمَ في آخر الكلمة توهماً، وتسمى هذه الظاهرة بظاهرة(مدّ المقصور) وهي ضدّ ظاهرة(قصر الممدود) ومن أمثلة ذلك قول العامة:

- «رِضَاءُ» الله، بالهمز بدل «رِضَا» الله(١) .

riḍā > riḍā>u

- « القفاء» بدل «القفا»(٢)

(>)alkafā > (>)alkafā>u

حيث قاس عامة الناس , توهماً، المثالين السابقين على ما هو نحو: إيليا والرها، واللوبيا، التي أصلها الفصيح: إيلياء والرهاء واللوبياء بالهمزة، وعندما أعادوا الهمزة إليها أقحموا الهمزة إلى (الرّضا والقفا) قياساً على إيلياء والرهاء واللوبياء .

---

(١) تقويم اللسان/ ١١٠، وقد جاء أن الاسم الرِّضاء، ممدود عن الأخفش، لسان العرب(رضي) ١٤/ ٣٢٣.

(٢) تقويم اللسان/١٥١، والقَفَا هو مؤخر العُنق، وقد حكى ابن جني المد في القفا وليست بالفاشية، وقال ابن بري: قال ابن جني المدُّ في القفا لغة ولهذا جمع على أقفية، لسان العرب(قفا) ١٥/١٩٢-١٩٣.

الفصل الرابع

قانون السهولة والتيسير

ويشمل الحديث فيه القضايا الصوتية الآتية:

أولاً- تطوّر الأصوات بين الأسنانية.

ثانياً - تطور الأصوات المفخمة.

ثالثاً - تطوّر بعض الأصوات الحلقيّة.

رابعاً- تطوّر الصوت المركب.

أولاً - تطوّر الأصوات بين الأسنانية:

تضم مجموعة الأصوات بين الأسنانية: الثاء والذال والظاء، وقد حدّدها سيبويه بأنها «مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا»(١)، وهوبذلك يتفق إلى حدّ كبير مع ما توصّل إليه المحدثون، إذ يرون أن هذه الأصوات تتطلب وضع مقدمة اللسان بين الأسنان عند النطق بها؛ لهذا عُدَّتْ أصواتاً بين أسنانية(٢).

وهي على وفق هذا الوصف صعبة النطق، بسبب الجهد العضلي المبذول عند وضع مقدمة اللسان بين الأسنان(٣)، ويرى بعض الباحثين أنه مما يثبت صعوبتها قلّة شيوعها في الاستعمال، مقارنةً ببقية الأصوات في اللغة العربية، حيث إن العلاقة بين الشيوع والسهولة علاقة طردية، ولقلّة الشيوع الناجمة عن الصعوبة زاد احتمال تطورها وتغيرها فكلما «زادت سهولة نطق الفونيم، قلّ تقلبه، نظراً لانعدام الحاجة إلى تعديل الفونيم، حيث إن العامل الرئيسي وراء تقلّب الفونيم، هو البحث عن البديل الأسهل، وهكذا فالفونيم السهل فونيم ثابت في العادة، والفونيم الصعب فونيم متقلب في العادة»(٤).

في حين يرى إبراهيم أنيس أن «الأصوات التي يشيع تداولها في الاستعمال تكون أكثر تعرّضاً للتطور اللغوي من غيرها»(٥)، ويرى محمد الأنطاكي أن أكثر الأصوات العربية شيوعاً -كاللام والميم مثلاً- باقيةٌ على حالها منذ أربعة عشر قرناً أو يزيد(٦). وهذا صحيح بالنسبة للام والميم من حيث محافظة اللغة عليهما، ولكنهما تعرّضا لكثير من مظاهر الإبدال المقيد، وقد ظهر ذلك أثناء الحديث عن الإبدال التاريخي.

وعند التدقيق في مبدأ السهولة والتيسير، يُلاحظ أنه يقصد به التحوّل من الصعب

---

(١) الكتاب: ٤/٤٣٣.

(٢) التطوّر النحوي/١٢ والأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس/٤٨.

(٣) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس/١٨٣.

(٤) الأصوات اللغوية، محمد الخولي/١٠٩، ٢١١، وانظر: الوجيز في فقه اللغة/٢٨١-٢٨٢.

(٥) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس/١٤٨.

(٦) الوجيز في فقه اللغة/٢٨١.

إلى السهل في الغالب؛ وبهذا من الطبيعي أن يتخلص الإنسان من الأصوات الصعبة، لينطق بدلاً منها ما هو أسهل، بغض النظر عن مدى شيوع هذه الأصوات، فالأصوات بين الأسنانية مثلاً أصوات صعبة النطق قليلة الشيوع(١)، ضاعت من الاستعمال العربي في كثير من اللهجات؛ ليحلَّ محلها ما هو أسهل منها، وفي المقابل يوجد أصوات سهلة النطق، بقيت كما هي دون تغيير، مع قلّة شيوعها كالزاي(٢) مثلاً.

ظهر نزوع الأصوات بين الأسنانية إلى التحول منذ القدم(٣)، بنقل المخرج إلى ما وراء الأسنان(٤). ومما لا خلاف فيه أن هذه الأصوات احتكاكية(٥) (رخوة)(Africatives Sounds)، وعند تسهيل نطقها بإرجاع اللسان إلى الخلف -كما ذكر سابقا- قد تفقد هذه الصفة فتتحول إلى نظائرها الانفجارية (الشديدة) وهي: التاء والدال والضاد، وقد تحتفظ بها فتتحول إلى نظائرها الصفيريّة: السين والزاي والزاي المفخمة(٦).

ويرى بعض المحدثين أن الصوت الانفجاري (الشديد) أسهل نطقاً من الصوت الاحتكاكي (الرخو)(٧)؛ لأنه قد يسهل على اللسان «الاصطدام بالحنك، والالتقاء به التقاء محكماً، ينحبس معه النفس، وهو ما يكون مع الأصوات الشديدة، من أن تقف حركتهُ عند مسافة قصيرة من الحنك؛ ليكون بينهما مجرى يتسرب منه الهواء كما يحدث في الأصوات الرخوة»(٨)، كما «أنّ الجهاز الصوتي البشري ربما يفضل الوقف على

---

(١) الأصوات اللغوية، الخو لي/١٠٩.

(٢) السابق/١٠٩.

(٣) دروس في علم أصوات العربية/٦٥.

(٤) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه/٥٢.

(٥) الكتاب: ٤/٤٣٤-٤٣٥ والأصوات اللغوية ، إبراهيم أنيس/٢٦.

(٦) الأصوات اللغوية ، إبراهيم أنيس/١٧٦، ولحن العامة والتطور اللغوي/٤٦.

(٧) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس/١٧٦ والأصوات اللغوية، محمد الخولي/١٢٣-١٢٤، ولحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة/٢٢٧.

(٨) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس/١٧٦، ويذكر رمضان عبدالتواب في كتابه «لحن العامة والتطور اللغوي/٤٦»: أن هذا التعليل وهمٌ وقع فيه إبراهيم أنيس.

الاحتكاك في كيفية النطق، ربما لأن الوقف يستغرق وقتاً أقل، بالتالي يتطلب جهداً أقل، في حين أن الاحتكاك يستغرق وقتاً أطول، وبالتالي يتطلب جهداً أكبر، ومن المعروف أن الصوت الوقفي ليس صوتاً استمرارياً، في حين أن الاحتكاكي صوت استمراري، من الممكن أن يمتدّ نطقه بقدر ما يسمح تيار النفس»(١).

والميل إلى التخلص من الأصوات بين الأسنانية له جذور سامية قديمة(٢)، وتفترض نظرية السهولة والتيسير، واختصار الجهد العضلي، أصالة هذه الأصوات الثلاثة، في السامية الأم المفترضة حتى الآن؛ «لأن تعليل تطورها إلى غيرها، أسهل من تعليل تطورها من غيرها»(٣)، أي أن تعليل انتقال الصوت الصعب إلى صوت سهل أكثر موافقة للناحية الوصفية والنظرة العلمية من العكس.

ومع أن العربية قد احتفظت بها(٤)، إلاّ أنّه يلاحظ أنه امتدّ إليها هذا التطوّر، وظهر في لهجاتها القديمة بعد عصر الاحتجاج، التي مثلتها كتب لحن العامة. كما تُظْهِرُ هذه الكتب ما يدلّ على أن التطور الصوتي قد يسير في اتجاه معاكس للاقتصاد اللغوي، وذلك نحو إبدالها إلى ما هو أصعب منها، كإبدال الذال ظاءً، مثلاً أو إلى ما يماثلها في الصعوبة كإبدال الذال ثاء مثلاً.

ويرى كثير من علماء الغرب أن العربية في اللهجات الحديثة امتداد للعربية القديمة؛ لهذا امتد تطوّر الأصوات بين الأسنانية في اللهجات المعاصرة وخصوصاً الحضريّة منها؛ ليصبح ظاهرة بارزة(٥).

وسيتم في الصفحات القادمة بحث الأصوات بين الأسنانية، في كتب لحن العامة بعد تحديد مخرجها وصفتها، وتطوّرها في اللغات السامية.

---

(١) الأصوات اللغوية، الخو لي/١٢٣-١٢٤.

(٢) فقه اللغات السامية/١٧، ٢٢، ٣٢، والتطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه/٥٤.

(٣) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه/٥٤.

(٤) السابق/٥٤ ودراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن/٢٣٨، ٢٤٠.

(٥) دروس في علم أصوات العربية/٦٧-٦٩.

أ- الذال d̲

يصـــدر صــيــوت ا لذال من بين طرف اللســـان وأطـــراف الثنايا(١) (Interdentale)، ويتمّ حدوثه «بأن يندفع معه الهواء ماراً بالحنجرة، فيحرك الوترين الصوتيين، ثم يتخذ الهواء مجراه في الحلق والفم، حتى يصل إلى مخرج الصوت... وهناك يضيق هذا المجرى فتسمع نوعاً قوياً من الحفيف»(٢).

فـالذال إذنْ، صــوت بين أســناني مــجــهــور (Voicing)، احتكاكي(٣) (Africatives Sound) ليس في نطقه تفخيم كما في نظيره الظاء(٤)، وهو على وفق هذا الوصف صعب النطق؛ لهذا ظهر ميل إلى إرجاعه إلى الخلف؛ ليتحول إلى دال أو زاي اقتصاداً في المجهود العضلي المبذول عند النطق به(٥).

ولهذا الميل جذور سامية قديمة، فتحوّل في الآرامية المتأخرة والسريانية إلى دال وذلك نحو (d̲hb) بمعنى ذهب في الآرامية القديمة، التي تحولت إلى (dhb) في الآرامية المتأخرة. وتحول إلى زاي في الأكادية نــحو (>ah̲az) بمعنى (أخذ). وفــي العبريّة نحو (>āḥaz)، وفي الحبشية مثل (>ah̲aza) وكذلك تحول إلى زاي في الآرمية القديمة التي حوّلته فيما بعد إلى دال -كما ذكر سابقا- في المتأخرة. ولم يحتفظ به من مجموع اللغات السامية إلاّ العربية والأوغاريتية(٦)، وعلى الرغم من احتفاظ العربية به تعرّض فيها لبعض التغييرات التاريخية المقيدة بعدد من الكلمات، فتحوّل إلى ما يأتي:

١- الدال. ٢- الزاي. ٣- أشكال أخرى.

---

(١) الكتاب: ٤٣٣/٤ وانظر:

O'connor, J. D, "Better English Pronunciation", (1984), P. 29.

(٢) الأصوات اللغوية ، إبراهيم أنيس /٤٨.

(٣) الكتاب :٣٣٤/٤ ، ٣٣٥ والأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس /٢٢ ، ٢٥-٢٦.

(٤) مناهج البحث في اللغة /١٢٧.

(٥) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه/٥٢-٥٣.

(٦) فـقـه اللغـات السـامـيـة /٢٢، ٥٠ والتطور النحـوي/٣٧ والتطور اللغـوي مظاهره وعلله وقوانينه/٥٤، والمدخل إلى علم الأصوات /١١٩-١٢٠ والنظام اللغوي للهجة الصفاوية/٢١٦.

التحولات التي تطرأ عليه:

يطرأ على صوت الذال؛ بسبب ما ذكرناه من صعوبته، التحولات الآتية:

١- إبداله دالاً:

تطورت الذال إلى الدال؛ لأنَّ الدال أسهل من الذال من حيث المخرج، إذْ تتكون بالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا(١)، فلا تحتاج إذن،لوضع مقدمة اللسان بين الأنسان، وقد امتد إلى العربية الميل إلى تسهيل نطقها بإبدالها دالاً، وظهر ذلك في بعض اللهجات العامية القديمة، التي دوّنتها كتب لحن العامة، ومن الأمثلة على ذلك:

- «الأزاد» بدل «الأزاذ»، وهو اسم أعجمي لضرب من التمر(٢).

(>)al>azāḏu > (>)al>azādu

وأشير هنا إلى أن العربية تتيح مساحة لمثل هذا الإبدال إذا كان منقولاً عن اللغات الأعجمية.

- «جُدام» بدل «جُذام»(٣).

ǧuḏāmun > ǧudāmun

- «جُرَد وجِرْدان» بدل «جُرَذ وجِرْذان».

ǧuraḏun > ǧuradun

وقد وردَ في أشعار بعض المحدثين بالدال، قال ابن العلاف:

يا هرُّ فارقْتَنا ولم تَعُدِ ... وكُنْتَ مِنّا بمنزلِ الوَلَدِ

تَدْفَعُ عنّا الأذَى وتنصرُنا ... بالغيبِ من خُنْفسٍ ومن جُرَدِ(٥)

---

(1) O'connor, J. D, "Better English Pronunciation", (1984), P. 42.

وانظر: مناهج البحث في اللغة/١٢١.

(٢) تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة/٥٨-٥٩ وتقويم اللسان/٦٩.

(٣) تثقيف اللسان/٦٩، وجُذام قبيلة من اليمن، لسان العرب (جذم) ١٢/٨٩.

(٤) تثقيف اللسان/٦٧-٦٨، وتقويم اللسان/٩٢، والجُرَذ هو الفأر.

(٥) تثقيف اللسان/٦٧-٦٨.

- «جَرَد» بدل «جرَذ»، لداءٍ يحدث في قوائم الدواب(١).

ğaradun > ğaradun

«وهو مذهب أهل اللغة، إلاّ ابن دريد، إذْ شَكَّ فيه فقال في الجمهرة: لا أدري أبالدال هو أم بالذال»(٢).

- «تَدَعْدَعَ» البناء بدل «تَذَعْذَعَ»، إذا تفرَّق(٣).

tada<da<a > tada<da<a

و«أمّا الدّعدعة، بالدال غير معجمة، فتحريك المكيال ليسع ما تجعله فيه. وقال ابن دريد: دَعْدَعْتُ الإناء دعدعة إذا ملأته». وأنشد(٤) للبيد:

المُطعِمونَ الجفنةَ المُدَعْدَعةَ(٥).

إذنْ، فقد استخدمت كلمة (دَعْدَع) بمعنى (ملأ) في المستوى الفصيح، ولم تستخدم بمعنى (فرّق) إلاّ في العاميّة؛ بسبب إبدال العامة الذال دالاً. ونزيد هنا أن المعنى بينهما على المستوى الفصيح متقارب مما يمكن أن يعطينا ذريعة للحكم على الأصل الواحد لهما.

- «دِقْن» الإنسان بدل «ذَقَن»(٦).

dakanun > diknun

ويذكر ابن سيدة: «الذَّقَنُ والذّقْنُ مجتمع اللَّحْيَيْن من أسفلهما»(٧). وبهذا فإنه ليس في الكلمة لحن، إلاّ إبدال الذال دالاً، ولكنّ القوانين الصوتية -كما أشير سابقاً-

---

(١) أدب الكاتب/٢٩٨ ولحن العامة/٩٦.

(٢) تثقيف اللسان/٦٨ وتصحيح التصحيف/٢١٢.

(٣) المدخل إلى تقويم اللسان /١١٧.

(٤) تثقيف اللسان/٦٤-٦٥.

(٥) شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري/٣٤٢.

(٦) تثقيف اللسان/١٣٩ وتكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة/٥٨.

(٧) لسان العرب (ذقن) ١٣/١٧٢.

سوّغت هذا الإبدال.

- «زُمُرُّد» بدل «زُمُرُّذ وزُمُرَّذ»(١).

zumurrud̲ > zumurrud

- «شِرْدِمة» بدل «شِرْذِمة»، للقطعة من الشيء(٢).

šird̲imah > širdimah

فأبدلت الذال دالاً. وقد جاءَ في اللسان: «قال ابن بري: حكى الوزير عن أبي عُمَر شِرْذِمة وشِرْدِمة، بالدال والذال»(٣)، وهذا يعني أنها بالدال لا تعدّ من لحن العامة، بل هي لغة قديمة من لغات العرب.

- «اقْتدى» الطائر بدل «اقتذَى»، إذا ذَرَقَ(٤).

(>)iḳtad̲a > (>)iḳtada

«قُنْفُد» بدل «قُنْفُذ وقُنْفَذ وقُنْفُظ وقُنْفَظ»(٥)، وربما حدث التطوّر كما في المخطط الآتي:

١	kunfud	>	ḳunfud̲
	السهولة والتيسير		الأصل
٢	ḳunfuz	>	ḳunfud̲
	السهولة والتيسر		الأصل
٣	ḳunfuẓ	>	ḳunfuz
	التوهم		السهولة والتيسير

(١) أدب الكاتب/ ٢٩٨ وتثقيف اللسان/٦٨ وخير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام/٣٢.

(٢) تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة/٥٩ وتقويم اللسان/١٢٥.

(٣) لسان العرب (شرذم) ١٢/٣٢٢.

(٤) تصحيح التصحيف/١٢٠.

(٥) تثقيف اللسان/٦٧ وتصحيح التصحيف/٤٣٠.

حيث تعرّضت (kunfuḏ) لقانون السهولة والتيسير؛ فأبدلت الذال دالاً، وبعضهم أبدلها زاياً، ثم توهم آخرون بأن أصل الزاي هو الظاء، فأعادوها إلى الأصل المتوهم، فصارت تنطق بالظاء.

ومن الأمثلة على هذا الإبدال أيضاً، قولهم: بَدْلَة(١) وجَبَدَ الحبل(٢)، والجَديدة للسَّويق وما أشبهه، والجِدْر، ومَدْحِج لقبيلة اليمن(٣)، ودُخْر ودَخيرة(٤)، والدَّلفاء(٥)، ورُودِس(٦)، والغدا لما به نماء الجسم وقوامه(٧) وناجِد ونواجِد(٨)، وغير ذلك. بدلاً من: بِذْلَة وجَبَذَ والجَذيذة، والجِذْر والجِذْل، ومَذْحِج وذُخْر وذَخيرة، والذَّلفاء وروذِس، والغِذاء، وناجذ ونواجِذ.

- إبدال الدال ذالاً:

وكما أنّ الكلمات السابقة تُظْهر ميل العامة إلى تسهيل نطق الذال بإرجاع اللسان إلى الوراء؛ لتصبح دالاً، وجِدَ أيضاً، في كتب لحن العامة كلمات تسير باتجاه معاكس لذلك، فالدال تصبح ذالاً صعبة النطق مقارنة بها، وهو مظهر من مظاهر البراجماتية؛ لأنّ اللغة في النهاية هي التي تختار الشكل الصوتي لها.

ويمكن تفسير هذه الظاهرة بأحد الأمرين الآتيين(٩):

١- الحذلقة أو التفصّح أو المبالغة في التصويب (Over Correctness)(١٠) من

(١) لحن العامة/٢٠٥.

(٢) تصحيح التصحيف/٢٠٧ وهي من تقاليب جَذَب.

(٣) تثقيف اللسان/٦٥-٦٦، ٧١.

(٤) المدخل إلى تقويم اللسان/١٢٢، وتصحيح التصحيف/٢٥٧.

(٥) تثقيف اللسان/٧١ والذَّلَف: صِغَر الأنف واستواء الأرنبة.

(٦) سهم الألحاظ في وهم الألفاظ/٣٥، وهي جزيرة للروم تجاه الإسكندرية على ليلة منها، غزاها معاوية.

(٧) خير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام/٤٢.

(٨) تثقيف اللسان/٦٥ وتصحيح التصحيف /٥٠٨، وهي أقصى الأضراس.

(٩) انظر: لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة/٢٢٨.

(١٠) لمزيد من التوضيح عن هذا المفهوم انظر في: التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه/٧٩-٨٤.

بعض الخاصة ظناً منهم أن هذه الكلمات مما أُبدل فيها صوت الذال دالاً من قبل العامة، فأرادوا أن يعيدوها -لعدم حذقهم بالأصل الفصيح لها- إلى ما كانت عليه قبل الإبدال، فأبدلوا الدال ذالاً، كما سيظهر ذلك في الأمثلة الآتية.

٢- التصحيف الذي وقع في بعض الكتب.

ومن الكلمات التي أبدلت فيها الدال ذالاً، والتي وردت في كتب لحن العامة ما يأتي:

- «انتُذِب» فلان [إلى] كذا، بدل «انتُدِب»، بمعنى دُعي(١).

(>)intudiba > (>)intuḏiba

- «بليذ» بدل «بليد»(٢)

balīdun > balīḏun

- «جَذْب» بدل «جَدْب»، وهو عدم المطر وقلّة المرعى(٣).

ǧadbun > ǧaḏbun

-«جَذَعتُ» أنفَهُ بدل «جَدَعْتُ»(٤).

ǧada<tu > ǧaḏa<tu

- «ذافَ بها مرارة الموت» بدل «داف»، وشراب «مُذَاف» بدل «مَدوف»(٥).

dāfa > ḏāfa

---

(١) تصحيح التصحيف/١٢٣.

(٢) تثقيف اللسان/٨٢.

(٣) السابق/٦٢.

(٤) المدخل إلى تقويم اللسان/٢١٨.

(٥) تثقيف اللسان/٧٠ وتصحيح التصحيف/٢٦٩-٢٧٠، ٤٧٢، وداف الشيء يعني خلطه، لسان العرب (دوف) ٩/١٠٨.

- «ذُعّار» للصوص، بدل «دُعّار»(١).

du<<ārun > ḏu<<ārun

ويرى أبو منصور الجواليقي أنه «إنْ ذُهِبَ إلى معنى الفزع، جاز أنْ يُقال بالذال»(٢)، والعامة تقول للخبيث: ذاعِر، والذّاعِر هو المُفْزِع من الذُّعْر فأمّا الخبيث فهو الدّاعِر من الدّعَارة، وهي الخُبْث(٣).

- «ذميم» بدل «دميم» للقبيح، والصواب -كما يرى أبو منصور الجواليقي- أن تطلق كلمة (ذميم) على الصفة الخُلُقيّة (حقير)، وكلمة (دميم) على الصفة الخَلْقيّة (قبيح)(٤)، ويمثل التطور بالنحو الآتي:

damīmun > ḏamīmun

- «شَمَرْذل» بدل «شَمَرْدَل»، وهو الجمل الطويل(٥).

šamardalun > šamarḏalun

- مُعَرْبِذ وعَرْبَذة بدل مُعَرْبِد وعَرْبَدة(٦).

mu<arbidun > mu<arbiḏun

- «هَوْذِج» بدل «هَوْدَج»(٧).

hawdağun > hawḏağun

ولو أنّ الكلمات السابقة الذكر جميعها، جاء فيها صوت الدال بعد حركة، لأمكن

---

(١) تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة/٥٩.

(٢) السابق/٥٩.

(٣) تثقيف اللسان/٦٤ وتصحيح التصحيف/٢٦٨.

(٤) تقويم اللسان/١٠٦ وانظر: لحن العامة/٢١٣.

(٥) تصحيح التصحيف/٣٤١.

(٦) تثقيف اللسان/٦٤.

(٧) السابق/٦٤.

تفسير هذه الظاهرة على أنها ميل عارضٌ أو من باب التأثّر بالعبريّة والآرامية، إذْ تتحول فيهما الأصوات الشـديدة (k, g, t, d, p, b)، إذا جاءت بعد حركة، إلى نظائرها الرخوة: (ḫ, ġ, ṯ, ḏ, f, b)(١)، ونظير صوت الدال الرخو هو الذال.

لم يقتصر الميل إلى إبدال الذال دالاً في العربية على اللهجات القديمة، التي سجلتها كتب لحن العامة، إنما امتدّ إلى بعض اللهجات المعاصرة في مختلف الأصقاع، وخصوصاً لهجات الحضر كما في الشام ومصر، فقالوا (دَهَب) مكان (ذَهَب)، في حين حافظت عليه بعض اللهجات كلهجات البدو، ولهجة الرياض(٢)، وغيرها.

---

(١) فقه اللغات السامية/٦٩ و ظاهرة "بجد كفت" بين العربية واللغات السامية/٢٩-٥٢.

(٢) دروس في علم أصوات العربية/٦٧ والتطوّر اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه/٥٢-٥٣، والمدخل إلى علم الأصوات/٦٦.

٢- إبداله زاياً:

قد ينتقل مخرج الذال قليلاً إلى الوراء، مع احتفاظ الصوت برخاوته، وعند ذلك يتحول إلى الزاي(١)، وهي لا تختلف عن الدال إلاّ في انحباس النفس مع الدال عند المخرج وانطلاقه معها(٢). فصوت الزاي إذن، صوت احتكاكي(٣)، يتكون عند حافة الأسنان(٤). وهو أسهل من الذال لأنه لا يتطلب وضع طرف اللسان بين الأسنان.

ومع احتفاظ العربية بصوت الذال منذ القدم، فإنها مالت إلى إبداله اقتصاداً في المجهود المبذول عند نطقه، كغيرها من الساميات(٥). وقد رُوي عن العرب القدماء، بدايات لهذا التطوّر، ومن ذلك قولهم: ذَرَقَ الطائرُ، وزَرَق، والوَذْوَذَة والوَزْوَزَة بمعنى الخفّة والسُّرْعة،وذَلَجَ الماء في حلقه وزَلَجَهُ بمعنى جَرَعَه، وحاز الراعي إبِلَه وحاذها بمعنى جمعها وساقها، وذعق وزعق إذا صاح(٦)، وغير ذلك، ومثل هذه الأمثلة يُعَدّ من فصيح الكلام، ولهجات العرب القديمة.

وظهرت أمثلة على هذا الإبدال في كتب لحن العامة، ومن ذلك:

- بَزْر وبُزور، لما يُزرع ويؤكل، بدلاً من: بَذْر وبُذور(٧).

badrun > bazrun

وعند البحث في كتب اللغة وُجِد أن هذه الكلمة (bazrun) ليست من لحن العامة

---

(1) O'connor, J. D, "Better English Pronunciation", (1984), P. 33.

(٢) الأصوات اللغوية ، إبراهيم أنيس/٢٦، ١٥٠.

(3) O'connor, J. D, "Better English Pronunciation", (1984), P. 57.

(٤) في صوتيات اللغة العربية/١٤٦-١٤٧.

(٥) فقه اللغات السامية/٢٢، ٥٠، والتطور النحوي/٣٧ والتطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه/٥٤ والمدخل إلى علم الأصوات/١١٩-١٢٠.

(٦) الإبدال: ٢/٦-٩ وزرق الطائر وذَرَق إذا حَذَفَ به حَذْفاً، لسان العرب (زرق) ١٠/١٤٠.

(٧) تقويم اللسان/٧٩ وانظر: تصحيح التصحيف/١٥٩، وقد وردَ في المصدر الأخير: بزْر وبزُور.

بل هي لغة(١). كما أنها في العبريّة: (Pāzar)(٢)؛ لأن الذال صارت فيها زاياً كما ذُكر سابقاً.

- زَفِرٌ، «للشيء الحديد الريح. . . سواء أكانت تلك الريح طيبة أو خبيثة»، بدلاً من : «ذَفِرٌ»(٣)، «وما أَزْفَرَهُ» بدل «أَذْفَرَه» للشيء إذا كرهوا ريحَهُ(٤). وينفي إبراهيم السامرائي أن تكون كلمة (زَفِرَ zafar) سريانية انتقلت إلى العربية، وهي تعني زنخة ورائحة نتنة؛ لأن هذه «الكلمة العاميّة الموصليّة. وهي نفسها في سائر العاميات، لم تكن بعيدة عن الأصل الفصيح»(٥) الذَّفِر. وهو رأي لا يقرّهُ الواقع العلمي تماماً، إذْ إنّ الكلمة (zpar) ومشتقاتها موجودة في اللغة السريانية(٦). ومسألة الاشتراك بين الساميّات مسألة لا تخفى على أحد.

ومن خلال البحث في كتب لحن العامة، يلاحظ أنّ إبدال الذال زاياً مما يندر، مقارنة بإبدالها دالاً. وهذا يدلّ على أن اللهجات العامية القديمة مالت إلى إبدال صوت الذال دالاً على الأغلب، أما إبداله زاياً، فهو «استثناء ناشِئٌ عن أن الكلمات التي يتردد نطقها الفصيح على الألسنة كثيراً لسبب ما، كتكررها في قراءة القرآن، أوفي المواعظ أو المحاكم، أو لكونها تستعمل في الطبقة المتعلمة، لا يتشوه نطقها كثيراً ويبقى لفظها قريباً من اللفظ الفصيح»(٧). وربما كان السبب في ذلك أيضاً سهولة نطق الدال مقارنة بالزاي، فالدالُ وقفية، والزاي احتكاكية، والصوت الوقفي -كما ذُكر سابقا- أسهل من الاحتكاكي.

---

(١) الإبدال: ٢/٧.

(٢) التطور النحوي/٣٧.

(٣) تقويم اللسان/١٠٨-١٠٩.

(٤) تصحيح التصحيف/٩٩-١٠٠.

(٥) دراسات في اللغتين السريانية والعربية /٧١.

(6) Costaz. L. Syriac English Dictionary, Beyrouth, P. 91.

(٧) فقه اللغة وخصائص العربية/٦٣، وانظر: الوجيز في فقه اللغة/١٨٤.

وامتد نطق الذال زاياً إلى بعض اللهجات العربية المعاصرة وخصوصاً في المدن، فقالوا «زِكْر» بدلاً من :«ذِكْر»، و «زُلّ» بدلاً من: «ذُلّ»(١).

وخلاصة ما سبق أن تطوّر الذال إلى الدال أو الزاي ميلٌ عام في اللغات الساميّة، واللغة العربية إحدى هذه اللغات. كما أن الناطق على الأغلب يسعى في إبداله هذا للسهولة والتيسير، وربما يسعى للتمدّن بهذا النطق الجديد، أو محاكاة فئة معينة طلباً للتواصل الاجتماعي، حيث يخضع الناطق لغته لقوانين أو مقاييس لغة (لهجة) من يتعامل معه، حتى يسهل هذا التعامل والتواصل.

كما أنّ ظاهرة إبدال صوت الذال زاياً ، معاصرة أكثر من كونها قديمة، أما ظاهرة إبداله دالاً، فظاهرة قديمة استمرّت في العصر الحالي أيضاً.

---

(١) التطوّر اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه/٥٢-٥٣، وانظر : المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر/١٥٠.

٣- أشكال أخرى لنطق الذال:

أ- إبدال الذال ثاءً:

أُبدلت الذال صوتاً بين أسناني، احتكاكياً آخر، وهو الثاء. والذال والثاء لهما مخرج واحد، وما يميِّزها هو أن الذال هي النظيرِ المجهور للثاء(١)؛ لهذا كان أمر إبدال الذال ثاءً مما تقرُّه القوانين الصوتية.

وقد جاءَ في كتب اللغة أمثلة تظهر هذين الصوتين، ومنها: جَذَوتَ وجَثَوتَ، بمعنى قمت على أطراف أصابعك، وتَلَعْثَمَ وتَلَعْذَم في القراءة، وحَذْحاذ وحَثْحاث للسريع، وغير ذلك(٢). وورِدَ عليه أمثلة في كتب لحن العامة منها:

- «شَحّاث» بدل «شحّاذ»(٣)، من «شحذت السيف، إذا بالغت في إحداده فكأن الشحّاذ مبالغٌ في طلب الصدقة»(٤)، ويمثّل التطوّر بالنحو الآتي:

šaḥḥādun > šaḥḥātun

وقد وردَ أنّ الليث قال: «بلغنا أنَّ شَحيثا كلمة سرْيانية، وأنه تَنْفَتِح بها الأغاليق بلا مفاتيح». وجاءَ في الحديث: هَلُمّي المُدْية فاشْحَثيها. بَحَجَر أي حُدّيها وسُنّيها، ويقال بالذال(٥).

وربما فُهِمَ من هذا الكلام أن الذال عادت إلى أصلها (الثاء) في كلمة (شحاذ).

- «العِثْق» بدل «العِذْق»(٦)، ويمثل التطور بالنحو الآتي:

(>)al<idku > (>)al<itku

---

(١) الكتاب: ٤/٤٣٢، ٤٣٤-٤٣٥، والأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس/٤٨.

(٢) سر صناعة الإعراب: ١/١٨٩-١٩٠ وانظر: المزهر ١/٤٦٤-٤٦٥.

(٣) المدخل إلى تقويم اللسان/١٩٢.

(٤) تصحيح التصحيف/٣٣٢،

(٥) لسان العرب (شحث) ٢/١٥٩ والكلمة (šaḥḥāyōṯa) في السريانية بمعنى (سفاهة) انظر:
Costaz, L. Ibid, P. 363.

(٦) لحن العامة /٣٦ وتصحيح التصحيف /٣٧٤ والعِذْق: القِنْو من النخل والعُنْقود من العنب والعِذْق أيضاً: موضع، لسان العرب (عذق) ١٠/٢٣٩.

ولا يمكن جعل هذا الإبدال من باب السهولة والتيسير؛ لأن الثاء ليست أسهل من الذال، ولا الذال أسهل من الثاء؛ لتقارب درجة شيوعهما(١)، ولأن كليهما صعب النطق، يحتاج مجهوداً عضلياً لوضع اللسان بين الأسنان(٢)، إلاّ إذا كانت صفة الجهر تضفي نوعاً من الصعوبة لما تتطلبه من اهتزاز الوترين الصوتيين. و "يبدو أن عامل الوضوح السَّمْعي قد تغلب هنا على عامل السهولة"(٣)، فكان نتيجة تقليل الوضوح السمْعي أثناء النطق، أي نتيجة تقليل إجهار الذال؛ فتوهّم السامع أنها ثاء، فنقلها كما توهّم. ولعلّ حصر هذا الإبدال في عدد ضيئل جداً من الكلمات مما يدعم هذا التفسير.

ب- إبدال الذال ظاء:

أُبدلت الذال صوتاً بين أسناني، احتكاكياً آخر، وهو الظاء، والذال والظاء مخرجهما واحد، والفرق الوحيد بينهما، هو التفخيم في الظاء(٤)؛ لهذا كان أمر إبدال الذال ظاء ممكناً.

وقد وردَ في كتب اللغة أمثلة تظهر تناوب هذين الصوتين، من ذلك قولهم: المرأة تُخَنْظِي وتُخَنْذي؛ إذا رفعت صوتها بالوقيعة، وامرأة خِنْذيانٌ وخِنْظيانٌ: تسخر من الناس، وتُوَسِّدُ بينهم، وتقع فيهم(٥)، وتركته وَقِيذاً ووقيظاً. والظاء في (وَقيظاً)مبدلة من الذال لقوله عز وجل ﴿والمَوْقُوذَةُ﴾(٦) بالذال(٧).

---

(١) الأصوات اللغوية، محمد الخولي/ ١٣٠.

(٢) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه/٥٢

(٣) الأصوات اللغوية، الخولي/ ١٤٦، وانظر: دراسة الصوت اللغوي/ ٣٤٢.

(٤) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس/ ٤٨.

(٥) الإبدال: ٢/ ٢٠- ٢١.

(٦) المائدة: ٣.

(٧) سر صناعة الإعراب: ٢٢٨/١.

وظهر إبدال الظاء ذالاً في كتب لحن العامة، ولكن في عدد ضئيل جداً من الكلمات:

- «شظّ» بدل «شذّ»(١).

šadda > šaẓẓa

- «أظفر» بدل «أذفر»، عند بعض العامّة، و «الذّفر حدّة رائحة الشيء الطيب والشيء الخبيث أيضاً»(٢). وقد سُمِعَتْ هذه الكلمة ومشتقاتها بأشكال صوتية عدّة، وهي بالمعنى السابق، إذا نطقت بالذال أو الزاي أو الظاء(٣). وإذا نُطقت بالدال المهملة، فهي للنَّتْنِ خاصّة(٤). وقد يُفَسَّرُ نطق هذه الكلمة بالظاء، كما في المخطط الآتي:

>adfar	>	>azfar	>	>aẓfar
الأصل		السهولة والتيسير		التوهم

فأبدلوا الذال زايا على وفق قانون السهولة والتيسير، ثم توهموا أنّ هذه الزاي منقلبة عن الظاء، فأعادوها توهماً إلى الظاء، ولعلّ سماع هذه الكلمة بالزاي(٥) -كما ذُكر سابقاً- مما يدعم هذا التفسير.

وكذلك الأمر بالنسبة لكلمة «شظّ»:

šadda > šazza > šaẓẓa

ولأنّ الظاء كالذال، صعبة النطق من حيث المخرج، لم يفسّر الإبدال إليها على أنّه من باب الاقتصاد اللغوي، فالظاء تفوق الذال صعوبةً؛ لما فيها من تفخيم(٦). ولعلّ

---

(١) لحن العامة/ ٢١٩.

(٢) تثقيف اللسان/ ٩٥.

(٣) السابق/ ٩٥ وتقويم اللسان/ ١٠٨.

(٤) تثقيف اللسان/ ٩٦، وانظر: لسان العرب (ذفر) ٤/ ٣٠٧.

(٥) تقويم اللسان/ ١٠٨- ١٠٩.

(٦) الأصوات اللغوية، محمد الخولي/ ١٤٥.

هذا الإبدال ناجمٌ عن التوهم أو عن تقليل الوضوح السَّمْعي أثناء النطق؛ أي عن زيادة القيمة التفخيمية للذال.

ج- إبدال الذال ضاداً:

ذُكِرَ أنّ صوت الذال صوت صعب النطق، والمتوقع عند محاولة تسهيل نطقه الا يغير إلى صوت آخر صعب أيضاً، كالضاد، صحيح أن الضاد لا تتطلب وضع اللسان بين الأسنان، إلا أن الصعوبة تكمن في كيفيّة نطقها، وفي تفخيمها(١).

وقد وردَ في كتب اللغة أمثلة تظهر تناوب هذين الصوتين، منها: الحُضَضُ، الحُضَذُ للصَّمْغ من المرّ والصَّبِر وما أشبههما، ونَبَضَ العِرْق ونَبَذَ: إذا ضَرَبَ، وغَذَذْتُ من مالِكَ وغَضَضْتُ: أي نَقَصْتُ(٢)، وغير ذلك.

ووجدَ أيضاً في كتب لحن العامة أمثلة على هذا الإبدال، منها:

- «مُتَبَضِّخٌ» بدل «مُتَبَذِّخ» في النعمة(٣).

mutabaḏḏiḫun > mutabaḍḍiḫun

- صوفٌ «مُوَضَّح» بدل «مُوَذَّح»(٤).

muwaḏḏaḥun > muwaḍḍaḥun

ربّما نطقت الذال دالاً اقتصاداً في المجهود العضلي المبذول عند نطقها، ثمّ توهّم السامع أن هذه الدال منقلبة عن الضاد، فأعادها إلى الأصل المتوهّم؛ لتصبح ضاداً، أي كما في المخطط الآتي:

---

(١) الكتاب:٤/ ٤٣٦، والأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس/ ٤٩-٥٠.

(٢) الإبدال: ٢/١٦.

(٣) تثقيف اللسان/٩٥، والكلمة من البَذْخ، وهو الكبر، لسان العرب (بذخ) ٣/ ٧.

(٤) لحن العامة/ ١٣٥، وهي من الوَذَح: ما علق بأصواف الغنم من أبعارها وأبوالها، لسان العرب (وذح) ٢/ ٦٣٢.

mutabaḏḏiẖun > mutabaddiẖun > mutabaḍḍiẖun

الأصل السهولة والتيسير التوهم

أو ربما نُطِقَتْ الذال فيها زاياً اقتصاداً في المجهود العضلي المبذول عند نطقها أيضاً، ثم توهم السامع أيضاً أن هذه الزاي منقلبة عن الضاد، فأعادها إلى الأصل المتوهم؛ لتصبح الذال ضاداً، أي كما في المخطط الآتي:

mutabaḏḏiẖun > mutabazziẖun > mutabaḍḍiẖun

ولعلّ قلّة عدد الكلمات المتعرّضة لهذا الإبدال، مما يؤيّد احتمال صحة التفسرين السابقين.

د- إبدال الذال طاءً:

وردَ في كتب اللغة أمثلة تظهر تناوب هذين الصوتين، منها: ذَعَجَهُ وطَعَجَهُ: إذا دَفَعَهُ دفعاً شديداً، ومرّ يُخَذْرِف في مشيته ويُخَطْرِف: إذا مرَّ يَخْطِرُ، وضَرَبَهُ حتّى وَقَذَهُ وَوَقَطَهُ، أي: غُشيَ عليه، وتركته وقِيذاً ووَقِيطاً(١).

ومن أمثلة هذا الإبدال في كتب لحن العامّة، ما يأتي:

- «البَطْرَقَة» بدل «البَذْرقة»(٢)

(>)albaḏrakatu > (>)albaṭrakatu

- «قُنْفَط» بدل «قُنْفَذ» و «قُنْفُذ»، والقُنْفُذ: الدويبة المُلَبَّسة الظهر بالشوك(٣).

وربما نطقت الذال -في مثل ما سبق- دالاً، على وفق ميل اللغة إلى الاقتصاد

---

(١) الإبدال: ٢/ ١٨- ١٩.

(٢) تثقيف اللسان/ ٩٦، والبَذْرقة: الخُفارة والعِصْمةُ التي يُعْتَصَم بها، لسان العرب(بذرق) ١٠/١٤.

(٣) لحن العامة/ ٧٦.

اللغوي، ثم بسبب زيادة القيمة التفخيمية، أو بسبب عدم الوضوح السَّمْعي أي عدم وضوح صفة الترقيق للدال، توهم السامع أنها دالاً مفخمة، فنطقها كما توهم (دالاً مفخمة)، أي: طاءً مجهورة، كما في المخطط الآتي:

ḳunfudun > ḳunfudun > ḳunfuṭun

فالطاء القديمة تزيد على الدال في التفخيم فقط(١)، وهذا ما سيوضَّحُ أثناء الحديث عن الأصوات المفخّمة. وترجيح العلماء المعاصرين: أنّ أصل صوت الطاء في السامية الأم دال مفخمة(٢)، يدعم تفسير تحول الذال إلى الطاء في مثل هذين الموضعين.

أو ربما نطقت الذال زاياً، على وفق ميل اللغة إلى الاقتصاد اللغوي أيضاً، ثم توهم السامع أنّ أصل هذه الزاي هو ظاء، أي: أن الزاي ناتجة عن تيسير نطق الظاء، فأعادها -توهماً- ظاء، ثم أخضعها مرة أخرى لقانون الاقتصاد اللغوي، بإرجاع مخرجها إلى الوراء، ومنحها صفة الانفجار (الشدة)؛ لتصبح طاء، أي كما في المخطط الآتي:

ḳunfuḏun >	ḳunfuzun >	ḳunfuẓun >	ḳunfuṭun
الأصل	السهولة والتيسير	التوهم	السهولة والتيسير

وقد يؤيد ما سبق قلّة الكلمات التي تحتوي على هذه الظاهرة، خصوصاً أنه عند محاولة تسهيل نطق الذال، لا يتم إبدالها صوتاً صعباً آخر كالطاء، إذْ تكمن صعوبة هذا الصوت في تفخيمه(٣)، ولكن إذا أُخذ برأي بعض العلماء الذي يربط بين السهولة والشيوع، ويعدّ العلاقة بينهما طرديّة أمكن تفسير هذا الإبدال على أنه من باب الاقتصاد اللغوي، فالطاء أشيع من الذال، وبالتالي أسهل(٤).

---

(١) الكتاب: ٤/ ٤٣٦، ويظهر ذلك من خلال قول سيبويه: «فلولا الإطباق لصارت الطاء دالاً».
(٢) المدخل إلى علم الأصوات/ ١١٣.
(٣) الكتاب ٤/ ٤٣٦ وسر صناعة الإعراب: ١/ ٦١.
(٤) الأصوات اللغوية، محمد الخولي/ ١٠٩.

ب- الظاء ż

يصدر صوت الظاء مما بين «طرف اللسان وأطراف الثنايا»(١)، وهو مخرج الذال والثاء، ويوصف بأنه مما بين الأسنان، مطبق (مفخم)، وهو بذلك النظير المفخم للذال، إذْ ينطق بنفس الكيفية التي ينطق بها صوت الذال، إلاّ أن شكل اللسان أثناء نطق كل منهما مختلف، إذْ ترتفع مؤخرته نحو الطبق مع الظاء ولا ترتفع من الذال(٢)؛ لذلك نجد الإطباق في الظاء، ولا نجده في الذال، وقد أشار إلى ذلك سيبويه في قوله: «ولولا الإطباق في الظاء لكانت ذالاً»(٣).

وقد اتفق علماء العرب القدامى والمعاصرون على أصل هذا الصوت، ووصفوه بالجهر(٤)، أما علماء الغرب فاختلفوا في تفسير أصله وانقسموا في ذلك إلى رأيين: الأول لبروكلمان وبيرجشتراسر وموسكاتي، ويرى بروكلمانوموسكاتي أن أصل الظاء ثاء مُفَخَّمة، مهموسة، ثمّ تحوّلت إلى صوت مجهور، معتمدين في ذلك على وجودها في الأوغاريتية التي تحتفظ بأقدم العناصر في اللغات السامية، من جهة، وعلى تحوّله «إلى صاد مهموسة في الأكادية والعبريّة، والحبشيّة، وإلى طاء مهموسة في الآرامية المتأخرة» من جهة أخرى(٥). ويرى بيرجشتراسر أنها من الأصوات التي يختلف نطقها الحالي عنه في الماضي، فهو صوت مهموس في الأصل، صارَ مجهوراً في اللغة العربية(٦).

أما الرأي الثاني فهو لجان كانتينو، ويرى فيه أن صوت الظاء هو الصوت القديم، وهو مجهور مطبق، احتفظت به العربية، التي تضمّ أقدم العناصر في اللغات السامية،

---

(١) الكتاب: ٤/ ٤٣٣.

(٢) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس/ ٤٨- ٤٩، وعلم اللغة/ ١٧٤.

(٣) الكتاب: ٤/ ٤٣٦.

(٤) السابق: ٤/٤٣٤ والأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس/ ٤٨- ٤٩ ومناهج البحث في اللغة/ ١٢٦ وعلم الصوتيات/ ٢٢٩.

(٥) المدخل إلى علم الأصوات/ ١٢٠- ١٢١ وانظر: فقه اللغات السامية/ ٣٩ والتطور النحوي/ ١٦.

(٦) التطور النحوي/ ١٦.

ودلّل على كلامه هذا بأنّ النحاة العرب لم يشيروا إلى همس هذا الصوت بل أشاروا إلى جهره(١).

وصوت الظاء على وفق ما سبق، صعب النطق، وتكمن صعوبته -كما في الذال- في وضع مقدمة اللسان بين الأسنان، ويزداد صعوبةً على الذال لما فيه من تفخيم، ناجم عن تقعّر وسط اللسان، وهذا بدوره يتطلّب جهداً عضلياً أيضاً من المتكلم؛ لهذا ظهر ميل إلى تسهيل نطقه بإرجاع اللسان إلى الخلف؛ ليتحوّل إلى نظيره الانفجاري (الشديد) الطاء، أو إلى الزاي المفخمة، محتفظاً بما فيه من احتكاك.

وقد ظهر نزوع الظاء إلى التبدل منذ القدم(٢)، «فضاع من حلقة الخطوط السامية»(٣) كالذال، إذ تحوّل إلى صاد في الأكادية مثل: šillu(ظل) وفي العبرية، مثل: šēl، وفي الحبشية، مثل: šelala، وفي الآرامية القديمة مثل: nšr التي تقابل نظر. أما الآرامية المتأخرة، فتحول فيها من الصاد إلى الطاء، مثل: كلمة نظر التي يقابلها (nšar) في الآرامية القديمة، و (nṭar) في الآرامية المتأخرة(٤).

أما الأوغاريتية فاحتفظت به، وذلك نحو (ẓl) بمعنى ظِل، وكذلك الأمر في العربية، ولا يوجد «أية وثائق تثبت أنّ اللغات السامية فيما عدا العربية والأوغاريتية تستعمل هذا الفونيم، ومما يجدر ذكره هنا أن العربية والأوغاريتية تحتويان على أقدم العناصر الصوتية في اللغات الساميّة، ثم تحوّل إلى أصوات أخرى»(٥) بسبب صعوبته المبيّنة سابقاً.

---

(١) دروس في علم أصوات العربية/ ٦٤.

(٢) السابق/ ٦٥.

(٣) دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن/ ٢٣٣.

(٤) فقه اللغات السامية/ ٢٢ والتطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه/ ٥٤ والمدخل إلى علم الأصوات/ ١٢١- ١٢٢.

(٥) النظام اللغوي للهجة الصفاوية/ ١٢١ وانظر: دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن/ ٢٣٨، ٢٤٠.

ومع احتفاظ العربية بهذا الصوت، مالت إلى تسهيل نطقه، وظهر ذلك في اللهجات العربية القديمة، واستمرّ حتى أصبح ظاهرة بارزة في اللهجات المعاصرة فتحوّل صوت الظاء إلى ما يأتي:

١- الطاء قديماً والضاد حديثاً.

٢- الزاي المفخمة.

١- إبداله طاء:

تشترك الطاء مع الظاء في صفة التفخيم(١)؛ لهذا من الممكن أن تنقلب الظاء إليها، وقد حدث هذا في المستوى الفصيح، كما تروي كتب اللغة، ومن الأمثلة على ذلك قولهم: «مَشِطَتْ يَدُهُ، ومَشِظتْ: إذا خَشُنَتْ من العمل، وهي مَشِطَةٌ وَمَشِظةٌ(٢).

وحدث هذا الإبدال أيضاً في المستوى العاميّ، كما تروي كتب لحن العامة المختلفة، ومن أمثلته فيها قولهم:

- فإذا «أَطَلَّهُمْ» الساعي، بدل «أظلّهم» بمعنى غشيهم(٣).

>aẓallahum > >aṭallahum

- عثمان بن «مَطْعون»، بدل «مَظْعون»(٤).

maẓ<ūn > maṭ<ūn

ويمكن تفسير هذا الإبدال بالاعتماد على تطوّر نطق صوت الطاء، فقد وصفه القدماء بأنه انفجاريّ مجهور مطبق(٥)، ولكنْ تطوّر حتى صارَ مهموساً(٦)، «ويرجّح العلماء أنّ أصل هذا الصوت في الساميّة الأم دال مفخمة أي أنه كان مجهوراً في الأصل، ثم تحوّل إلى نظيره المهموس، وهو الطاء، وأصبح النظير المفخم للتاء»(٧)

---

(١) الكتاب: ٤/ ٤٣٦.

(٢) الإبدال: ٢/ ٢٨٤.

(٣) تثقيف اللسان/ ٢٢٣.

(٤) السابق/ ٢١٧ وتصحيح التصحيف/ ٤٨٥.

(٥) الكتاب: ٤/ ٤٣٤ وسر صناعة الإعراب: ١/ ٦٠- ٦١.

(٦) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس/ ١٤٩ والمدخل إلى علم الأصوات/ ١١٣ وفي صوتيات العربية/ ١٣٧.

(٧) المدخل إلى علم الأصوات/ ١١٣.

المهموسة. وهذا يؤيده قول سيبويه: «ولولا الإطباق لصارت الطاء دالاً»(١)؛ ولهذا وصفت الطاء التي ننطق بها الآن بأنها مهموسة(٢)، أما الطاء القديمة فمجهورة. وهذا يعني اشتراك الظاء مع الطاء في صفة الجهر.

ويرى تمام حسّان أنه لغرابة الطاء على السمع «أخطأ النحاة والقراء، فجعلوها مجهورة في دراستهم، وجعلوا الدال مقابلاً مرققا لها أضف إلى ذلك أن النحاة والقراء في القديم قد وضعوا قاعدة قياسية تقول: إنّ كلّ صوت من أصوات القلقلة مجهور شديد، وهذا ما جعلهم يخطّئون الصواب، لا في صفة الطاء فحسب، بل في وصف أصوات مهموسة أخرى بالجهر»(٣).

ومما سبق، يظهر أن الظاء أبدلت طاء؛ لاشتراكهما في صفة الجهر، قديماً، ولسهولة مخرج الطاء مقارنة بالظاء؛ ولأنّ الطاء وقفية، والظاء احتكاكية، والصوت الوقفي -كما سبق ذكر ذلك- أسهل من الصوت الاحتكاكي. وقد ظهر الميل إلى هذا الإبدال أيضاً في «النقوش العربية المبكرة -المختلطة بالآرامية-[أنّ]العربية في هذا الوقت لم تميّز بين الطاء والظاء كتابة، حيث كتبوا (ظلموا) بمعنى (ظالم) بغير نقطة» وربما كان السبب في رسمه على هذه الهيئة الإبدال الصوتي المحتمل بين صوتي الظاء والطاء(٤). أو أن نظام الكتابة العربية لم يكن قد وضع رمزاً للظاء بعد، وقد قاسوه بعد ذلك على رمز الطاء.

- إبدال الدال ظاءً:

وجدَ في كتب لحن العامة ما يشير إلى إبدال الدال ظاءً، وفيه مخالفة لقانون السهولة والتيسير (الاقتصاد اللغوي)، فالدال أيسر مخرجاً وصفةً من الظاء؛ لأنها لا

---

(١) الكتاب: ٤/ ٤٣٦.

(٢) مناهج البحث في اللغة/ ١٢٢ وعلم اللغة/ ١٥٥ ودراسات في علم اللغة/ ١٣٢- ١٣٣.

(٣) مناهج البحث في اللغة/١٢٣.

(٤) النظام السيميائي للخط العربي في ضوء النقوش السامية ولغاتها/ ٦٥.

تتطلّب وضع مقدمة اللسان بين الأسنان، ولأنها مرققة(١). ولعلّ في ذلك مظهراً من مظاهر البراجماتية التي تسيطر على اللغة المنطوقة، فالمتكلم يريد التكلمّ والتواصل الاجتماعي دون التركيز على مبدأ السهل، إذْ قد يلجأ إلى الصعب إذا رأى فيه ما يتناسب والسامعين أكثر من السهل.

ومن الأمثلة على هذا الإبدال قولهم:

- «جَحْظَب» بدل «جُحْدُب»، لدُوَيّبَة تألف المياه(٢).

ǧuḫdubun > ǧaḫżabun

حيث أبدلت الدال ظاءً ورافق هذا الإبدال إبدال في الضمة التي على الدال والضمة التي على الجيم، فصارتا فتحتين؛ لتخففا من ثقل الكلمة، الذي اكتسبته بإبدال دالها ظاء.

- «كَاغَظ» بدل «كَاغَد»(٣)، وقد يفسّر التطور بالنحو الآتي:

kāġad > kāġaḏ > kāġaż

فربما أثرت الغين الاحتكاكية في الدال الوقفية، فأبدلتها -من باب المماثلة الجزئية إلى نظيرها الاحتكاكي، وهو الذال، أو قد يكون ذلك من باب التوهم والمبالغة في التصويب، فأبدلوا الدال ذالاً ظناً منهم أنهم يعيدونها إلى أصلها، ذلك الأصل الذي اعتقدوا أنه تعرّض بدوره لقانون الاقتصاد اللغوي، وفي كلا التفسيرين تصبح الكلمة بالذال (kāġaḏ)، فتؤثر الغين التي فيها شيء من التفخيم في الذال، لتبدلها إلى نظيرها المفخم، وهو الظاء؛ لتصبح «كَاغَظ». وقد ينطبق هذا التفسير على الكلمة الأولى أيضاً.

---

(١) الكتاب: ٤/ ٤٣٣، ٤٣٦ وسر صناعة الإعراب: ١/ ٤٧، ٦١.

(٢) المدّخل إلى تقويم اللسان/ ٢٠٠ وتصحيح التصحيف/ ٢٠٩، وقد ورد في كتاب لحن العامة/ ٧٥: أنها تطورت إلى (جُحْطَب) فابدلت الدال طاءً، وهذا مما تقره القوانين الصوتية.

(٣) لحن العامة/ ١٣٣ وتثقيف اللسان/ ٩٥.

أمّا في اللهجات العربية المعاصرة فقد وجدَ أن الظاء تُبْدَل ضاداً، فيقال في (ظِلّ): ضِلّ(١)، ولكن كيف يمكن التوفيق بين تطوّر الظاء إلى الطاء في اللهجات العربية القديمة، وإلى الضاد في اللهجات المعاصرة؟.

يمكن تفسير ذلك، والتوفيق بينهما، من خلال النظر في وصف القدماء والمعاصرين لصوت الطاء، فالطاء القديمة مفخمة مجهورة، نظيرها المرقق المجهور هو الدل، وقد أثبت علم الأصوات التاريخي، أن أصل الطاء في السامية الأم -كما أشير سابقاً- هو الدال المفخمة، وعند تطبيق نظرية السهولة والتيسير أثناء نطق الظاء، يلاحظ أن اللسان يرجع إلى الوراء(٢)، مع الاحتفاظ بالجهر والتفخيم، والتخلص من صفة الاحتكاكية، أي أصبح صوت الظاء دالاً مجهورةً وقفية مفخمة؛ لهذا أصبحت الظاء عند القدماء دالاً مفخمة أي طاء(٣)؛ لأنّ الطاء المجهورة، في رأيهم، هي النظير المفخم للدال المجهورة.

أما في العصر الحالي، فقد أصبحت الظاء ضاداً؛ لأن الضاد الحالية هي النظير المفخم للدال المجهورة. أي أنّ الظاء أصبحت دالاً مفخمة، وسببُ ذلك أن الطاء -كما أشير سابقاً- عند القدماء مجهورة، ثم تطورت لتصبح الآن مهموسة، وبالتالي يكون النظير المرقق لها هو التاء المهموسة.

ولا يعني ما سبق أنه لم يظهر في بعض اللهجات العربية المعاصرة الميل إلى نطق الظاء طاءً، فلهجات الحضر بشمال أفريقيا تمتاز في أنها تقلب الظاء طاء مطبقة، وليس دالاً مطبقة، وذلك نحو: «طَهْرُو» (ṭahro) أي ظهره، و «طْلِيلَى» (ṭlēla) أي ظلاله، وهو الظل... الخ(٤).

ولكن هذه الظاهرة تكاد لا تطبق في معظمها أبداً؛ لأنّ تطبيقَها يصطدم بنزعة

(١) دروس في علم أصوات العربية/ ٦٧- ٦٩ والأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس/ ١٥٠ ومناهج البحث في اللغة/ ١٢٦ والتطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه/ ٥٣.

(٢) لحن العامة والتطور اللغوي/ ٤٥- ٤٦.

(٣) الكتاب: ٤/ ٤٣٤، ٤٣٦ وانظر: النظام السيميائي للخط العربي/ ٦٥.

(٤) دروس في علم أصوات العربية/ ٧٠.

الرجوع إلى الأصوات الأصلية «سواء بتأثير العربية الفصحى، أو بتأثير لهجات البدو المجاورين». ويرى جان كانتينو أنه من العسير تعيين سبب حقيقي لهذه الظاهرة: «أهو نطق الظاء مهموسة أي شبيهة بنطق بعض العرب من العربية الفصحى كما يذكره النحاة... أم هو نطق مهموس متولّد عن الإطباق؟ أم هو ظاهرة تابعة للغة البربريّة»(١).

(١) دروس في علم أصوات العربية/ ٧٠.

٢- إبدال الظاء زاياً:

قد ينتقل مخرج الظاء قليلاً إلى الوراء، مع احتفاظ الصوت برخاوته وتفخيمه، وعند ذلك يتحول إلى الزاي المفخمة، فكما أن الثاء تتحول إلى السين، برجوع اللسان إلى الوراء -كما سيأتي- كذلك تتحول الظاء إلى مجهور السين (الزاي) مع المحافظة على صفة التفخيم، ولعل السبب في هذا التطوّر هو الميل إلى التخلص من الجهد المبذول عند وضع اللسان بين الأسنان(١)، فالزاي أسهل نطقاً من الظاء؛ لأنها « مما بين طرف اللسان وفويق الثنايا»(٢)، أي أنها أسنانية لثوية(٣)، ولا تحتاج إلى ذلك الجهد المبذول عند نطق الظاء.

ومن خلال البحث في كتب لحن العامة، لم يلحظ وجود هذا الإبدال في اللهجات العاميّة القديمة، وربما كان موجوداً، ولكنهم لم يتمكنوا من التعبير عنه صوتياً، وقد يدعم هذا الكلام بعض القراءات القرآنية التي نطقت الظاء زاياً مفخمة.

وقد امتدت ظاهرة نطق الظاء زاياً مفخمة إلى اللهجات الحديثة وخصوصاً اللهجات المدنيّة كلهجة القاهرة، إذ قالوا في «ظُلم» زُلْم،و« فظاعه» فزاعه، و «ظافر» زافر، و «ظهر» زهر(٤)، وغير ذلك.

وإذا أُخذ بمذهب بعض المحدثين في نظرية الشيوع(٥)، يلاحظ أن الزاي تقارب الظاء في درجة الشيوع(٦)، وربما كان ذلك هو السبب في عدم ظهور هذا الإبدال في اللهجات القديمة -في حدود البحث- وفي عدم بروزه في اللهجات المعاصرة، فالسهولة التي في هذا الإبدال ناجمة عن سهولة مخرج الزاي المفخمة مقارنة بمخرج الظاء فقط.

---

(١)التطوّر اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه/٥٢-٥٣.

(٢) الكتاب: ٤/ ٤٣٣.

(٣) مناهج البحث في اللغة/ ١٢٧- ١٢٨ وفي صوتيات العربية/ ١٤٦- ١٤٧.

(٤) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه/ ٥٣ ومناهج البحث في اللغة/ ١٢٨.

(٥) الأصوات اللغوية، محمد الخولي/ ٦٨، ١٠٨-١٠٩.

(٦) السابق/ ١٠٩.

ج- الثاء t̠

يصدر صوت الثاء من بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا(١)، كالذال والظاء، ويوصف بأنه مهموس (Avoiceless)، احتكاكيّ (Africatives sound) وليس في نطقه تفخيم(٢). وهو بذلك صعب النطق، إذْ تكمن الصعوبة - كما في الذال والظاء- في وضع مقدمة اللسان بين الأسنان؛ لهذا ظهر ميلٌ إلى إرجاع اللسان إلى ما وراء الأسنان قليلاً، ليتحوّل إلى نظيره الوقفي (الشديد) التاء، أو يحتفظ برخاوته؛ فيتحول إلى السين، وقد يتقدم مخرج الثاء إلى الشفتين، فيصبح صوتاً شفوياً وهو صوت الفاء(٣).

ضاع هذا الصوت من حلقة الخطوط السامية كفونيم أصلي(٤)، فتحوّل إلى شين في الأكادية والعبريّة، والآرامية القديمة، ويرجع هذا التحول في الأكادية زيادةً على صعوبة نطقه «إلى أنّ الخطّ المسماريّ لم يكن يحتوي على رمز للثاء». فأصبحت كلمة ثور مثلاً فيها: šuru، وهي في العبرية šōr(٥).

ويبدو أن السبب في تحول الثاء إلى شين في أقدم نقوش اللغة الآرامية، التي عثر عليها في تل زنجيرلي، ونيراب، هو السبب نفسه الذي ذكر في تحوّل الذال والظاء(٦).

وتحوّلت الثاء إلى التاء في الآرامية أو السريانية المتأخرة، فَثَوْر في العربية يقابلها: (تَوْرا) tawrā في الآرامية المتأخرة. ووثب في العربية يقابلها: yšb في الآرامية القديمة،

---

(١) الكتاب: ٤/٤٣٣، وانظر:

O'connor, J. D, "Better English Pronunciation", (1984), P. 29.

Roach, P, English Phonetics and Phonology, (1987), P. 39.

(٢) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث/ ٤٤ وفي صوتيات العربية/ ٦٧.

(٣) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه/ ٥٢ ولحن العامة والتطور اللغوي/ ٤٥- ٤٦.

(٤) النظام السيميائي للخط العربي/ ٣٥.

(٥) المَدْخل إلى علم الأصوات/ ١١٥- ١١٦ وانظر: فقه اللغات السامية/ ٢٢ والتطور النحوي/ ٣٧ وفصول في فقه العربية/ ٤٧- ٤٨.

(٦) المدخل إلى علم الأصوات/ ١١٦.

ثم تحولت إلى ytb في الآرامية المتأخرة(١).

وتحولت الثاء إلى السين في الأثيوبية الجعزية (الحبشيّة)، فكلمة (sor) فيها تقابل ثَوْر في العربية. ولم يحتفظ به من الساميات إلا العربية والأوغاريتية، في حدود ما وصل العلماء إليه(٢).

ويلاحظ أن صوت الثاء احتفظ بصفة الهمس على الرغم من تحول مخرجه. فتحوّل إلى شين أو سين أو تاء في الساميات. وجميعها أصوات مهموسة. كما يجدر الإشارة إلى أنّ العبرية والآرامية والسريانية لم تخل من صوت الثاء، ولكن ليس باعتباره صوتاً مستقلاً، وإنما باعتباره تلويناً صوتياً للتاء، وهو ما يسمّى بظاهرة (بجد كفت)، التي يتحول فيها كل صوت من هذه الأصوات، إذا سُبق بحركة إلى نظيره الرخو، والنظير الرخو للتاء صوت الثاء(٣).

ومع أن العربية احتفظت بصوت الثاء فونيماً أصلياً، فقد مالت إلى تسهيل نطقه بقلبه تاء أو سيناً في اللهجات القديمة، واستمرّ هذا الميل حتى أصبح ظاهرة بارزة في اللهجات العربية المعاصرة.

وسيتمّ في الصفحات القادمة تناول التحولات المطلقة لصوت الثاء في العربية.

---

(١) فقه اللغات السامية/ ٢٢ والتطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه/ ٥٤ وفصول في فقه العربية/ ٤٧، ٤٩ والمدخل إلى علم الأصوات/ ١١٦.

(٢) المدخل إلى علم الأصوات/ ١١٦، ١١٨ والنظام اللغوي للهجة الصفاوية/ ٦١- ٦٢.

(٣) ظاهرة «بجد كفت»/ ٣٢.

١- تحوله إلى التاء:

توصف التاء بسهولة نطقها مقارنةً بالثاء، فالثاء احتكاكية بين أسنانية تتطلّب وضع اللسان بين الأسنان، والتاء وقفيّة (شديدة)(١) أسنانية، لا تتطلب ذلك، إذْ تتكوّن بالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا(٢).

لهذا مالت بعض اللغات السامية إلى التخلص من الثاء بقلبها تاء -كما ذكر ذلك سابقاً- وامتدّ هذا الميل إلى العربية، فشاع إبدال الثاء تاء في لهجات المناطق المتاخمة للجهات الآرامية، من ذلك ما وُجِدَ في المرقومات اليونانية في حوران وفي بلاد الأنباط من تصوير الثاء العربية بواسطة التاء اليونانية (T) لا الثاء اليونانية (Θ) نحو «حسارتة» و «مغيت» و «غَوت» بدلاً من «حارثة» و «مغيث» و «غَوْث»(٣).

وشاع ذلك أيضاً عند اليهود المقيمين في الجزيرة العربية، فروي أنّ السموْأل -وهو من يهود خيبر- كان يقلب الثاء تاءً(٤)، وظهرت بعض مظاهر هذا الإبدال في ديوانه، من ذلك قوله(٥):

ينفعُ الطيّبُ القليلُ من الرزْ　　قِ ولا ينفعُ الكثيرُ الخبيتُ

أي الخبيث. وقوله أيضاً:

وأتاني اليقينُ أنّي إذا متُّ　　وإنْ رَمَّ أعظُمى مَبْعوت(٦)

إي مبعوث.

ويروي أبو الطيب اللغوي أنّ بعض العرب إستخدموا الحتالة بدلاً من الحثالة(٧).

---

(١) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس/ ٤٩،٥١ وعلم اللغة/ ١٥٤- ١٥٥.

(٢) مناهج البحث في اللغة/ ١٢٢ وعلم اللغة/ ١٥٤- ١٥٥ وفي صوتيات العربية/ ١٤٠- ١٤١.

(٣) دروس في علم أصوات العربية/ ٦٥.

(٤) المدخل إلى علم الأصوات/ ١١٦- ١١٧.

(٥) ديوان السموأل/ ٢٦.

(٦) السابق/ ٢٦.

(٧) الإبدال: ١/ ١٧٤.

ووردَ في كتب لحن العامة أمثلة، ظهر فيها هذا الإبدال منها:

- «يحيى بن أكْتَمَ» و «أكتم بن صَيْفيّ»، بدل «أكْثَم»(١).

>akṯam > >aktam

وقد جاءَ في اللسان: «والأكْثَمُ: العظيم البطن، والأكْثم: الشبعان، بالثاء المثلثة، ويقال ذلك فيهما بالتاء المثناة أيضاً(٢). وهذا يعني أنها بالتاء، لا تعدّ من لحن العامة، وإنما هي لغة.

- «التَّار» بدل «الثَّأْر»(٣).

(>)aṯṯa>ru > (>)attāru

فأبدلت الثاء تاءً، وسقطت الهمزة وعوّضَ عنها بإطالة الفتحة.

- «التجير» لعصارة الثمر، بدل «الثجير»(٤)

(>)aṯṯağīru > (>)attağīru

- «تِفْنة» الدّابة، بدل «ثَفِنة»، لرأس فخذ الفرسَ(٥).

ṯafinah > tifnah

حيث نتجت الكلمة العامية (tifnah) بسبب ما حدث من إبدال للفتحة وحذف للكسرة التي على الفاء، وإبدال الثاء تاء.

- «التَّيْتَل» للوَعِلِ المُسنّ، بدل «الثَّيْتَل»(٦).

---

(١) تثقيف اللسان/ ٥٧.

(٢) لسان العرب (كثم) ١٢/ ٥٠٨.

(٣) تثقيف اللسان/ ٥٣.

(٤) أدب الكاتب/ ٢٩٨ وتقويم اللسان/ ٨٩.

(٥) تثقيف اللسان/ ٥٦.

(٦) تقويم اللسان/ ٨٩.

(>)attaytalu > (>)attaytalu

- «عَتْنُون» بدل «عُثْنُون»(١)

<utnūnun > <atnūnun

حيث أبدلت ضَمَّة العين فتحة، والثاء تاءً.

- «مستتيب» بدل «مُسْتَثِيب»(٢) في قول البحتري:

أعيدي فيَّ نظرةَ «مُسْتَثِيبٍ» تَوَخّى الأجرَ أو كَرِه الأثاما(٣)

ويمثّل التطوّر بالنحو الآتي:

mustaṯībun > mustatībun

- إبدال التاء ثاء:

والعربية وإن كانت بدأت بظاهرة إبدال الثاء تاءً، على وفق قانون السهولة والتيسير، فإنها لم تعمم أثرها في الكلام(٤). فقد وجد في كتب لحن العامة كلمات تسير باتجاه معاكس لذلك، فالتاء تتحوّل إلى الثاء على الرغم من صعوبة الأخيرة، وعدد هذه الكلمات في كتب لحن العامة مقارب لعدد الكلمات التي قيلت فيها الثاء تاء، وهذا يعني أن هذه الظاهرة ربما سارت جنباً إلى جنب مع قانون السهولة والتيسير، ومن هذه الكلمات ما يأتي:

- «الثَّيْثَل» للوَعِل المُسِنّ، بدل «التَّيْتَل»(٥).

---

(١) تصحيح التصحيف/ ٣٧٣، العُثنون: شُعيزات طوال تحت حنك البعير، لسان العرب(عثن) ١٣/ ٢٧٦.

(٢) تثقيف اللسان/ ٣٤٦ وتصحيح التصحيف/ ٧٤٩.

(٣) ديوان البحتري/ ٣٨٩.

(٤) النظام اللغوي للهجة الصفاوية/ ٦١.

(٥) تثقيف اللسان/ ٥٤.

(>)aṯṯaytalu > (>)aṯṯayṯalu

فأبدلت التاء ثاءً، وقد ذُكر سابقاً، أنها سمعت أيضاً من العامة (التَّيْتل)(١) بتسهيل نطق الثاء.

- «ثَفَلَ» بمعنى بَصَقَ، بدل تَفَلَ(٢).

tafala > ṯafala

- «الحِلْتيث» بدل الحلتيت(٣).

(>)alḥiltītu > (>)alḥiltīṯu

فأبدلت التاء الثانية ثاءً.

- «الرُّثَيْلى» بدل «الرُّتَيْلى»(٤).

(>)arrutaylā > (>)arruṯaylā

- «الرَّثَم» لضرب من النبت، بدل «الرتَم»(٥).

(>)arratamu > (>)arraṯamu

- «رَثَّة» بدل «رُتَّة»(٦).

ruttah > ruṯṯah > raṯṯah

حيث أُبْدِلت التاء ثاءً، وأبدلت الضمّة فتحة تأثّراً بفتحة التاء.

---

(١) تقويم اللسان/٨٩.

(٢) المدخل إلى تقويم اللسان/ ١١٩.

(٣) أدب الكاتب/ ٢٩٨، والحِلْتيت: عقّير معروف، وهو نبات لا ينبت في بلاد العرب، لسان العرب(حلت) ٢/ ٢٥.

(٤) تصحيح التصحيف /٢٧٩-٢٨٠، والرُّتَيْلى بالقصر والمد: جنس من الهوام، لسان العرب (رتل) ٢٦٥/١١.

(٥) السابق/٢٧٩.

(٦) لحن العامة/١٢٤، وهي حُبْسَة في اللسان.

- «لَثَّ» السَّويق وغيره، بدل «لَتَّ»(١).

latta > laṯṯa

ويمكن تفسير ما حدث في الأمثلة السابقة، بأحد الأمرين(٢):

الأوّل -وهو الأرجح- الحذلقة والتفصّح، أو المبالغة في التصويب، فأبدلت التاء في هذه الكلمات ثاء من قبل المتحذلقين؛ ظناً منهم أنها غير فصيحة، فأرادوا إعادتها إلى الأصل المتوهَّم، لعدم حذقهم بالأصل الفصيح.

أما الثاني فهو التصحيف، إذْ ربما قُرئت هذه الكلمات مصحّفة، فشاع تداولها بين عامة الناس كما قُرِئت.

وربما قيل في هذه الكلمات ما قيل في الكلمات التي أبدل فيها صوت الدال ذالاً، فلو أنّ صوت التاء أيضاً فيها جميعها مسبوق بحركة لأمكن تفسيرها على أنها من باب التأثّر بظاهرة (بجد كفت)(٣).

لم يقتصر الميل إلى إبدال الثاء تاءً على اللهجات العربية القديمة، إنما امتد إلى المعاصرة أيضاً، في كثير من البقاع، حتى صار ظاهرة بارزة، وخصوصاً في اللهجات الحضرية، كما في بلاد الشام ومصر مثلاً، إذْ تطوّر نطق «الثاء في لغة الكلام المصرية «إلى تاء» في معظم الأحيان، وإلى السين في قليل من المواضع»؛ فقالوا مثلاً «توب» و «تعلب» بدلاً من: «ثوب» و «ثعلب»(٤).

---

(١) تثقيف اللسان/٥٥، ولَثَّ السويق: جدحه أو بسَّه بالماء ونحوه، لسان العرب (لتّ) ٢/٨٢.

(٢) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة/٢٢٧.

(٣) انظر: ظاهرة «بجد كفت» بين العربية واللغات السامية/٢٩-٥٢.

(٤) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس/١٥٠ وانظر: فقه اللغات السامية/٥٠ والتطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه/٥٣ والمصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر/١٥٠.

٢- تحوّله إلى السين:

يوصف صوت السين بأنه أسهل نطقاً من صوت الثاء؛ لأنه لا يتطلب وضع حافة اللسان بين الأسنان، وبالتالي لا يتطلب مجهوداً عضلياً عند نطقه(١)؛ لهذا مالت العربية إلى إبدال الثاء سيناً، وربما حدث هذا الإبدال بسبب التأثر بالحبشية -التي تنطق الثاءَ سيناً(٢)- التي نقلها بعض الأحباش إلى الجزيرة العربية.

ولهذا التطوّر جذور عربية فصيحة أيضاً، فثمّة بعض الأمثلة انقلبت فيها الثاء سيناً، يقول كانتينو: «دلّت المقارنة مع سائر اللغات الساميّة أن كلمة «ليس» تمثل كلمة قديمة كانت «لَيْث»، وأن «سَادِسْ» و «سُدْس» متولدتان عن «شادِث» و «شُدْث»، ومما يمكن إضافته في هذا الباب قولهم «مَرَث» و «مَرَس» (أي امتص اصبعه)»(٣).

ويذكر أبو الطيب اللغوي أنه قيل في «الحثالة» «الحُسالة»(٤).

ووردَ في كتب لحن العامة ما يظهر إبدال السين ثاءً أو شيناً، ومن ذلك سلجم، إذْ نطقها بعض العامة بالشين «شَلْجم»، ونطقها بعضهم الآخر بالثاء فقالوا: «ثَلْجم»(٥). ربما كان ذلك مبالغة في التصويب، إذْ ظنوا أنْ هذه السين منقلبة عن الثاء أو الشين، وربما كان ذلك أيضاً دليلاً على أن الأصل هو الثاء (ثلجم)، ثم نطقت بالشين تارة وبالسين تارةً أخرى تأثراً بالساميات الأخرى(٦). ويذكر أبو حنيفة: السلجم معرّب وأصله بالشين(٧).

ومع أنّ إبدال الثاء سيناً أمر واردٌ في اللهجات العربية القديمة، فإنّه لا يعدّ ظاهرة

---

(١) مناهج البحث في اللغة/١٢٨ وعلم اللغة/١٧٥ والتطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه/٥٢-٥٣.

(٢) المدخل إلى علم الأصوات/١٨.

(٣) دروس في علم أصوات العربية/٦٥.

(٤) الإبدال: ١/١٧٤، ٢٥٧، ٦/٢.

(٥) تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة/٥٧.

(٦) المدخل إلى علم الأصوات/١٦، ١٨.

(٧) لسان العرب/ (سلجم) ١٢/٣٠٢.

بارزة كظاهرة إبدال الثاء تاءً، فهو استثناء، وما قيل في إبدال الذال زاياً يقال أيضاً في هذه الظاهرة.

ثم برزت ظاهرة إبدال الثاء سيناً في العصر الحديث ، وخصوصاً عند أهل المدن، فقالوا في «ثابت» «سابت»، وفي «مثل» «مسل»... الخ(١).

ومع انتشار هذه الظاهرة الآن، فإنها لم تشع شيوع ظاهرة إبدال الثاء تاء؛ لهذا قد تعدّ ظاهرة إبدال الثاء تاء ظاهرة قديمة، استمرت حتى هذا العصر، وظاهرة إبدال الثاء سيناً كثيرة الشيوع حديثاً ولها جذور قديمة.

(١) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه/٥٣.

٣- تحوّله إلى الفاء:

أبدل صوت الثاء صوتاً شفوياً أسنانياً احتكاكياً آخر، وهو صوت الفاء(١)، وقد سوّغ هذا الإبدال بينهما، أنهما متقاربان في المخرج والصفة، والفاء أسهل من الثاء؛ لأنها لا تتطلب وضع مقدمة اللسان بين الأسنان.

وفي العربية أمثلة تظهر تعاقب هذين الصوتين، منها: الأثافيّ، ولغة بني تميم الأثاثيّ، والثُّوم والفوم للحنطة، والحُثَالة والحُفَالة للرديء من كلّ شيء، والدُّثَيْنة والدُّفَيْنة لمنزلٍ لبني سُلَيم، واللثام واللفام، وغير ذلك(٢).

وظهر هذا الإبدالُ أيضاً في كتبِ لحنِ العامة، ومن ذلك قولُهم «أفْرم» لمن سقطت ثنيته أو ثناياه، بدل «أثرم»(٣).

ويرى إبراهيم أنيس أنّ «مثل هذا التطوّرِ الصوتي ليس إلا نتيجة انتقالٍ قليل في المخرج لتصادفَ الأصوات المسماةُ باللثوية أشباهها في مخرج آخر، مع احتفاظها بصفات الجهر والهمس أو الشدة والرخاوة»(٤).

في حين يرى رمضان عبدالتواب أن هذا الإبدال ناشئٌ «من الأخطاء السمْعيّة لشدة تقاربِ هذه الأصوات، وعدم وضوح الفرق بينهما في السمع تماماً»(٥)، وهو بذلك لا يجعله من قبيل الاقتصاد اللغوي.

أما محمد الأنطاكي، فيعدّ هذا النوع من الإبدال إبدالاً سماعياً «تبنته الفصحى ولم تقس عليه»، ويعتقد أنه «كان في أصله لهجياً تاريخياً، بمعنى أنّ صوت الثاء تطور تاريخياً في لهجةٍ من اللهجات حتى انقلب إلى فاء، تحول إلى الفصحى من هذه اللهجة

---

(1) Roach, P, English Phonetics and Phonology, (1987), P. 39.

وانظر: مناهج البحث في اللغة/١٢٥.

(٢) المزهر: ١/٤٦٥.

(٣) تثقيف اللسان/٩٢ وتصحيح التصحيف/١١٩.

(٤) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس/١٥٩-١٦٠.

(٥) لحن العامة والتطوّر اللغوي/٣٧.

بعض الكلمات التي أصابها هذا النوع من التطوّر فحُفِظَتْ، ولم يُقسْ عليها...»(١).

ولم يقتصر إبدال الثاء فاء على بعض اللهجات العربية القديمة، وإنما هو أيضاً في بعض اللهجات العربية المعاصرة كلهجة القطيف في شرقي الجزيرة العربية، ففيها يقول الناس مثلاً: «يوم الفلافة» في يوم الثلاثاء، و «عنب الفَعْلَب» في عنب الثعلب(٢)، وكلهجات "سكان التل البدو في مقاطعة مستغانم، نحو قولهم في «ثاني» «فاني»"(٣).

وربما يحدث العكس، أي أنّ الفاء قد تبدل ثاء، نحو قولهم في كثير من اللهجات الشرقية. «ثُم» بدلاً من: فَم(٤).

وتبرز هذه الظاهرة عند الأطفال؛ لأنهم يميلون إلى أيسر السبل أثناء النطق ومع ميلهم هذا، قد يعكسون فيبدلون الفاء ثاءً؛ لحرصهم على المبالغة في الوضوح السمْعي، فيقولون في «فوق» ثوق، وفي «فول» ثول(٥).

---

(١) المحيط في أصوات العربية/١١٦.

(٢) فصول في فقة العربية/٤٧.

(٣) دروس في علم أصوات العربية/ ٧٠ .

(٤) السابق/ ٧٠-٧١

(٥) الأصوات اللغوية ، إبراهيم أنيس/ ١٥٩- ١٦٠.

ثانياً- تطوّر الأصوات المفخمة:

تضمّ مجموعة الأصوات المفخمة في العربية الصاد والضاد والطاء، والظاء، وهي أصوات متقاربة المخارج، يصاحبها إطباق لرفع مؤخرة اللسان نحو الطبق (الحنك اللين)؛ لهذا تدعى الأصوات المُطْبَقة. ويصاحبها أيضاً، ضيق في الحلق؛ لتراجع مؤخر اللسان قليلاً ليقترب من الجدار الخلفي للحلق لهذا تُدعى أيضاً الأصوات المُحَلَّقة(١).

وإذن، يكون الإطباق السبب الأوّل في تفخيم هذه الأصوات، والتحليق هو السبب الآخر(٢).

وعلى وفق ما سبق توصف هذه الأصوات بأنها ليست سهلة النطق؛ لما فيها من تفخيم يحتاج لمجهود عضلي واضح؛ لهذا تطوّر نطق معظمها في واقع الاستعمال اللغوي، الذي أظهرته كتب لحن العامة وربما كان نحو الأيسر والأسهل. ومما يثبت صعوبة هذه الأصوات قلّة شيوعها -كما يرى بعض الباحثين- ويقال عنها في هذا الموضوع ما قيل عن الأصوات بين الأسنانية(٣).

وظهر الميل إلى التخلص من معظم هذه الأصوات منذ القدم في الساميات المختلفة(٤)، أما العربية منها، فقد احتفظت بها، ولكن ظهر ميل إلى هذا الإبدال في لهجاتها القديمة بعد عصر الاحتجاج، وقد سجلت كتب لحن العامة أمثلة ذلك، وتسجّل في المقابل أيضاً، أمثلةً تظهر الميل إلى تفخيم بعض الأصوات.

ثم امتدت ظاهرة التخلص من التفخيم إلى اللهجات المعاصرة، فظهر ميل الكثير

---

(١) انظر: الكتاب: ٤/ ٤٣٦ والأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس/ ٤٧ ودراسة الصوت اللغوي/ ١٠٤ والأصوات اللغوية، محمد الخولي/ ٤٦- ٤٧، ٢١٤.

(٢) مناهج البحث في اللغة/ ١١٥- ١١٦.

(٣) الأصوات اللغوية، محمد الخولي/ ١١٩ وانظر الحديث عن «تطور الأصوات بين الأسنانية» في هذه الدراسة.

(٤) فقه اللغات السامية/ ٥٠.

من المثقفين ثقافة غربية إلى ترقيق أصوات التفخيم هذه(١).

وسيتمّ في الصفحات القادمة دراسة الصاد والضاد والطاء فقط، من خلال كتب لحن العامة، أما الظاء فقد جعلتها جزءاً من الحديث عن تطور الأصوات بين الأسنانية.

(١) دراسات في علم اللغة/ ١٢٦.

أ- الصاد:

يصدر صوت الصاد من «بين طرف اللسان وفويق الثنايا»(١)، وهو أحد أصوات كانت في السامية، صارت رخوة ذات صفير في العربية القديمة، بعد أن كانت شديدة(٢). وهو صوت صفير رخو مهموس مفخم يختلف عن السين في صفة التفخيم فقط، وعن الزاي في صفة التفخيم والجهر(٣).

ويلاحظ أن صعوبة هذا الصوت لا تكمن في مخرجه، وإنما في تفخيمه فقط، ومع هذا احتفظت به الساميات، ولم تعرّضه لتغيير مطلق(٤). ولكنه في المقابل تعرض لتغيير مقيد في العربية ويظهر ذلك في:

١- إبداله سيناً:

قد ترقق الصاد وتنطق سيناً، وربما كان هذا النطق هو ما أشار إليه سيبويه: «الصاد التي كالسين»، وقد وصفه سيبويه بأنه من الأصوات غير المستحسنة(٥).

وقد وردت أمثلة كثيرة في كتب اللغة، تظهر تعاقب هذين الصوتين منها: السُّلَّج والصُّلَّج للخالص من كل شيء، ورجلٌ مُسْمَهِلٌ ومُصْمَهِلٌ إذا كان طويلاً تاماً، وأخذْتُ الشيءَ بِسِنايَتِه وبِصِنايَتِه، أي: بحذافيره وبأجْمَعِه. ويَشُوسُ فاهُ بالسِّواك ويَشُوصُ: أي يَسْتاكُ.والعُسْلُبُ والعُصْلُبُ للشديد(٦)، ولَسِب بالشيء ولَصِب به: أي لزق(٧) وغير ذلك.

وتسجل كتب لحن العامة أمثلة كثيرة، أُبْدِلَ فيها صوت الصاد سيناً، ومن هذه

---

(١) الكتاب: ٤/ ٤٣٣.

(٢) دروس في علم أصوات العربية/ ٧٢.

(٣) الكتاب: ٤/ ٤٣٤- ٤٣٥ والأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس/ ٢٦، ٢٢، ٦٤ وعلم اللغة/ ١٣٧، ١٧٦.

(٤) دروس في علم أصوات العربية/ ٧٢.

(٥) الكتاب: ٤/ ٤٣٢.

(٦) الإبدال: ٢/ ١٩٦، ١٩٤، ١٧٩، ١٩٢.

(٧) المزهر/ ٤٧١.

الأمثلة ما يأتي:

- «بَخَسْتُ» مُقْلَتَهُ، بدل «بَخَصْتُ»، إذا قلعتُها أو فقأتُها(١).

baẖaṡtu > baẖastu

حيث رققَتْ الصاد، فصارت سيناً، ويجيز بعض اللغويين العرب استعمال السين في «بخصت»، ويعدّون ذلك لغة، مع أنّ الصادَ أعلى، ويمنع آخرون استعمالها بالسين في المستوى الفصيح(٢).

- أبو «الحُسَيْن» في كُنية الثعلب، بدل «الحُصَيْن»(٣).

(>)alḥuṡaynu > (>)alḥusaynu

- «تَخَرَّس» على السلطان، بدل «تَخَرَّص»، إذا قال عليه ما لم يقل(٤).

taẖarraṡa > taẖarrasa

- «خَسَاسَة» للحاجة، بدل «خَصَاصَة»(٥).

ẖaṡāṡatun > ẖasāsatun

- «رَمَسَتْ» عينُهُ، إذا اجتمع في موقها وسَخ وجَمُد، بدل «رَمَصَتْ»(٦)

ramaṡat > ramasat

- «سَابُور» المركب لما ثُقّلَ به، بدل «صَابور»(٧).

ṡābūru > sābūru

---

(١) ما تلحن فيه العامة/ ١٠٥- ١٠٦ وإصلاح المنطق/ ١٨٤ وتصحيح التصحيف/ ١٥١.

(٢) ذكر أبو الطيب اللغوي في كتاب الإبدال: ٢/ ١٧٦: أن اللحياني أجازها والأصمعي منَعَها. وانظر: لسان العرب (بخص) ٧/ ٤، و(بخس) ٦/٢٥، والمزهر: ١/ ٤٧٠.

(٣) تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة / ٤٠.

(٤) تثقيف اللسان/ ٩٨.

(٥) تقويم اللسان/ ١٠٢.

(٦) تصحيح التصحيف/ ٢٩٠.

(٧) السابق/ ٣٠٤.

ويرى الزبيدي أن صَابُور من صُبِرَ فيه بمعنى حُبِسَ(١)، ويرى يوهان فك أن أصل «سابور» من الكلمة اللاتينية saburra، ومعناها الرمل(٢).

أمّا عبدالعزيز مطر فيرى أن «الأنسب لهذه الكلمة أن تكون من الصَّبرة والصَّبَّار والصُّبَّارة، وهي الحجارة»، ويرى أنّ قول الزُّبَيْدي فيها بعيد(٣).

- «سراح» بدل «صُراح»(٤)

ṡurāḥun > surāḥun

- «سَعْتَر» بدل «صَعْتَر»(٥)

ṡa<tarun > sa<tarun

والصَّعْتَرُ من البقول.«وترجمة الجوهري عليه سعتر، بالسين، قال: وبعضهم يكتبه بالصاد في كتب الطب لئلا يلتبس بالشعير...»(٦)، وتكون بذلك، العامة قد نطقت الأصل الفصيح «سَعْتَر»، إذا أُخذ بترجمة الجوهري السابقة الذكر.

- «السَّقِيعُ» للساقط من السماء بالليل كأنَّهُ ثلج، بدل «صَقِيع»(٧).

ṡaḳī<un > saḳī<un

ويذكر الخليل بن أحمد الفراهيدي أنّ «كلّ صاد تجيء قبل القاف، وكل سين تجيء قبل القاف، فللعرب فيه لغتان: منهم من يجعلها سيناً، ومنهم من يجعلها صاداً... إلا أن الصاد في بعض أحسن والسين في بعض أحسن»(٨)، وعلى وفق كلام الخليل

---

(١) لحن العامة/ ١٥٧.

(٢) العربية الفصحى/ ٢٣٣.

(٣) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة/ ٢٣٢.

(٤) تثقيف اللسان/ ٩٨، والصراح هو « المحض الخالص من كل شيء » ،لسان العرب(صرح) ٢/ ٥٠٩.

(٥) المدخل إلى تقويم اللسان/ ١٢٤.

(٦) لسان العرب (صعتر) ٤/ ٤٥٧- ٤٥٨.

(٧) سهم الألحاظ في وهم الألفاظ/ ٣٨.

(٨) الكتاب: ٤/ ٤٧٩- ٤٨١ ولسان العرب(سقع) ٨/ ١٥٩.

تكون «سقيع» لغة في صقيع، لا لحناً.

- «السّماخ» بدل «الصّماخ»(١)

(>)aṡṡimāḫu > (>)assimāḫu

ولكن جاءَ في لسان العرب: «والصّماخ من الأذن: الخرقُ الباطن الذي يُفضي إلى الرأس، تميميّة، والسماخ لغة فيه»(٢). وهذا يعني أنّها لا تعدّ من لحن العامة، وإنما هي لغة(٣).

- «سَنْجَة» الميزان، بدل «صَنْجَته»(٤)

ṡanǧah > sanǧah

وجاءَ في لسان العرب: «سَنْجَة الميزان لغة في صَنْجَتِه، والسين أفصح»(٥)، وبهذا تكون العامة قد نطقت الأفصح، مع أنّ ابن السكيت يقول: لا تقلْ سَنْجَة(٦).

- «فُرْسَة»، بدل «فُرْصَة»(٧).

furṡah > fursah

وجاءَ في اللسان أيضاً، أنّ السين لغة، وأنّ الصاد فيها أعرف(٨).

- «فقَسَ» البيض بدل «فقَصَ»(٩).

faḳaṡa > faḳasa

---

(١) إصلاح المنطق/ ١٨٥ وأدب الكاتب/ ٣٠٠ وتقويم اللسان/ ١٢٩.

(٢) لسان العرب (صمخ) ٣/ ٣٤.

(٣) انظر: المزهر : ١/ ٤٧٠.

(٤) أدب الكاتب/ ٣٠٠، وورد في كتاب تثقيف اللسان/ ٩٩: أن العامة تقوله بكسر السين.وورد في كتاب سهم الألحاظ في وهم الألفاظ/ ٣٢- ٣٣:أنهم يقولونها بضم السين.

(٥) لسان العرب (سنج) ٣٠٢/٢، وورد في كتاب المزهر: ١/ ٤٧٠ أنهما لغتان.

(٦) إصلاح المنطق/ ١٨٥.

(٧) السابق/ ١٨٤ وتثقيف اللسان/٩٨.

(٨) لسان العرب (فرص) ٦٤/٧ و(فرس) ١٦٢/٦.

(٩) تصحيح التصحيف/٤٠٧ .

وقد وردَ في كتب اللغة أنها تقال بالسين والصاد(١).

- «قانِسَة» الطير بدل «قانِصَة» بمعنى الحَوْصَلَة(٢).

ḳānis̊ah > ḳānisah

وجاءَ في كتب اللغة أنها تقال بالسين، والصاد أحسَنُ(٣).

ولا غرابة في إبدال الصاد سيناً في هذه الكلمات، وما هو نحوها؛ لتوحّد مخرجي الصوتين، ولميل عامة الناس إلى التخلّص من التفخيم بالترقيق لتسهيل النطق، ولكن بسبب ورود مجموعة كبيرة من هذه الألفاظ في لسان العرب وكتب اللغة، يمكن القول أن هذه الألفاظ واردة في المستوى الفصيح أيضاً، فهي صوتياً خاضعة لما نحن بصدده، ولكنها ليست من لحن العامة.

- **إبدال السين صاداً:**

ويلاحظ أنَّ الناطق مالَ في بعض الكلمات إلى عكس الظاهرة السابقة، ففخّم السين المرققة، ونطقها صاداً مفخمة، وقد ظهر ذلك فيما يأتي:

أ- كلمات فيها الرّاء أو صوت من أصوات الاستعلاء، وذلك نحو:

- «صُفْرَة» بدل «سُفْرة»، لما يوضع عليه المائدة(٤).

sufrah > s̊ufrah

- «صِفْر» بدل «سِفْر» للدفتر(٥).

---

(١) لسان العرب (فقص)٦٧/٧.

(٢) تقويم اللسان /١٤٩.

(٣) لسان العرب (قنص)٨٣/٧.

(٤) خير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام /٣٧.

(٥) المدخل إلى تقويم اللسان /١٦٣.

sifrun > ṣifrun

- «صُمَيْراء» بدل «سُمَيْراء» لمنزل معروف بطريق مكة(١).

sumayrā>u > ṣumayrā>u

- «قُبْرُص» بدل «قُبْرُس»(٢).

ḳubrusu > ḳubruṣu

ويلاحظ في الأمثلة السابقة أنّ السين أبْدلت صاداً على الرّغم من صعوبة المبدل إليه، وربما فسّر هذا الإبدال فيها، وفي ما هو نحوها على أنه من باب المماثلة الصوتية -كما أشير في فصول سابقة- إذْ أثّر صوت الاستعلاء (القاف) في المثال الأخير، أو أثّرت الراء- التي فيها بعض القيم التفخيمية- في هذا المثال، وفي الأمثلة الثلاثة الأولى على السين؛ فجعلتها صاداً مفخمة. مع أنّ اللغويين- لهذا الإبدال- يشترطون أن يتقدّم صوت السين صوتَ الاستعلاء؛ ليتخلّص اللسان من الصعوبة الناجمة عن انتقاله من وضع تسفّل إلى وضع استعلاء، وهو هنا متأخر عنه؛ لهذا ليس من الصعب على اللسان أن ينتقل من وضع الاستعلاء إلى وضع التسفّل(٣).

ب- كلمات ليس فيها صوت مستعلٍ أو صوت الراء ومنها:

- «الصعانين» بدل «السّعانين» لعيد الزيتون عند النصارى(٤)

(>)assa<ānīnu > (>)aṣṣa<ānīnu

ونحن نسمعها اليوم بالشين «الشّعانين: (>)aššaānīnu<».

---

(١) تقويم اللسان /١٢١.

(٢) سهم الألحاظ في وهم الألفاظ /٣٦.

(٣) المزهر :١/٤٦٩ وسهم الألحاظ في وهم الألفاظ/٤٦ ودروس في علم أصوات العربية /٧٣.

(٤) تثقيف اللسان/١٠٢.

- «شَموص» للدّابة، بدل «شموس»(1).

šamūsun > šamūṡun

- «حَمَّصْتُ» الحبَّ على النار، بدل «حَمَّسْتُ»(2).

ḥammastu > ḥammaṡtu

ويظهر ترقيق الصاد وتفخيم السين أيضاً، في اللهجات العربية المعاصرة،ومثال الأوّل قولهم: سْدِر بدل صَدْر، ومثال الثاني قولهم: راص بدل رَأس(3).

---

(1) أدب الكاتب/299 وتقويم اللسان/128.

(2) تثقيف اللسان/102.

(3) دروس في علم أصوات العربية /74.

٢- إبدال الصاد زاياً:

قد يبدل صوت الصاد زاياً؛ بسبب توحّد مخرجيهما، إذْ لا فرق بينهما إلا الهمس في الأوّل والجهر في الثاني(١)، وقد جعل سيبويه الصاد التي كالزاي من الحروف الفروع، وهي في لغة أهل الحجاز(٢) وقد قُرِىءَ بها في القرآن الكريم.

أما في المستوى العاميّ فقد ظهر في الألسنة العربية الدارجة العصرية. كما في لهجة القاهرة مثلاً، وذلك إذا تلاه صوت مجهور مثل (قَصْدَك) ويفسَّرُ التطوّر في هذه الحالة على أنّهُ من باب المماثلة الصوتية المدبرة الجزئية المتصلة، ويظهر أيضاً في جنوب الجزيرة العربية. وفي أكثر اللهجات السوريّة، نحو قولهم: «زْغِيرْ» في «صغير»(٣).

وفي المقابل نجد الناطق يبدل الزاي صاداً على الرغم من صعوبة الصاد -في كلمة «زِئْنيّ»؛ لتصبح «صِينيّ» وهي تعني الكلب القصير(٤)، ويمثّل التطور بالنحو الآتي:

zi>niyyun	>	zīniyyun	<	ṣīniyyun
الأصل		حذف الهمزة والتعويض عنها بمطل الحركة		إبدال الزاي صاداً

حيث سقطت الهمزة وعوّض عنها بإطالة الحركة التي تسبقها، ثم أبدلت الزاي صاداً، فتكوّنت البنية العاميّة (ṣīniyyun) .

٣- إبدال الصاد شيناً.

أبدلت العامة الصاد شيناً في كملة «صَاقُور» فنطقتها «شَقُور»،وهي الفأس العظيمة

(١) الأصوات اللغوية، إبراهيم انيس/٦٤

(٢) الكتاب:٤/٤٣٢.

(٣) دروس في علم أصوات العربية/٧٤ وانظر:مناهج البحث في اللغة/١٢٨.

(٤) تثقيف اللسان/٢٢٢ .

التي يقطع بها الخشب(١)، ويمثل تطورها بالنحو الآتي:

ṡākūrun > šākūrun > šakūrun

الأصل — إبدال الصاد شيناً — تقصير الفتحة الطويلة

ومع ما سبق يمكن القول إنّ فونيم الصاد «فونيم ثابت لا يتغير من لهجة إلى أخرى ضمن لهجات اللغة العربية»(٢).

(١) تصحيح التصحيف /٣٣٩.

(٢) الأصوات اللغوية، محمد الخولي/ ٩٢.

ب- الضاد

اختلف القدماء والمحدثون في نطق الضاذ، ويدلّ على ذلك اختلاف وصف الطرفين لها، فهي تخرج عند القدماء «من بين أوّل حافة اللسان وما يليها من الأضراس» إلاّ أنّك إنْ شئت تكلّفتها من الجانب الأيمن وإنْ شئت تكلفتها من الجانب الأيسر، وهي عندهم صوت مجهور رخو مطبق، ليس له نظير غير مطبق في الغربية، يصاحبه استطالة في مخرجه(١).

ويظهر مما سبق أنّ صوت الضاد القديم صعب النطق؛ لذا كان عرضةً للتغيير منذ القدم(٢)، وربما بدأ الميل لهذا التغيير منذ عهد سيبويه، وذلك بظهور الضاد الضعيفة التي جعلها سيبويه من الأصوات غير المستحسنة(٣).

ويبدو أنّ الضاد القديمة التي امتازت بها لهجة قريش «كانت عصيّة النطق على أهالي الأقطار التي فتحها العرب، أو حتى على بعض القبائل العربية في شبه الجزيرة»؛ لهذا أصابها تطوّر(٤)، فنطقها البدو بتغيير مخرجها من حافة اللسان إلى طرفه، ثم تطورت مرة أخرى، فنطقها أهل المدن بوضع طرف اللسان على الفك الأعلى بدل تقريبه منه فقط، فصار الصوت بذلك شديداً بعد أن كان رخواً(٥)؛ ولذلك وصف المعاصرون صوت الضاد الذي يُنطق الآن بأنه أسنانيّ لثويّ مجهور مطبق انفجاري(٦). وبذلك اختلفت الضاد القديمة عن الضاد التي تُنطق الآن.

والضاد المنطوقة الآن هي النظير المفخّم للدال، وهي النظير المجهور للطاء

---

(١) الكتاب: ٤/٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤- ٤٣٦ وانظر: سر صناعة الإعراب: ١/٤٧ وشرح المفصل: ١٠/١٢٥.

(٢) دروس في علم أصوات العربية/٨٦.

(٣) الكتاب: ٤/٤٣٢.

(٤) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس/٥٠.

(٥) التطور النحوي/١٩.

(٦) السابق/١٨ والأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس/٤٩ ومناهج البحث في اللغة/١٢٠ وعلم اللغة/١٥٥ والوجيز في فقه اللغة/١٨٥.

الحالية(١)، أي أنّ الضاد الحالية هي الطاء القديمة المجهورة التي ذكرها سيبويه(٢).

أمّا وجود الضاد في الساميات المختلفة، فيرى بعض العلماء أن صوت الضاد كان موجوداً في السامية الأم، ولا يُعْرَف كيف كان يُنْطَق، ولكن يبدو أنه كان غريباً صعب النطق؛لضياعه من معظم اللغات السامية، ولم يحتفظ به منها إلاّ العربية التي ظلت تحافظ على صورته الأصلية إلى ما بعد الاسلام بقليل ثم ضاع منها(٣).

وإذن، صوت الضاد ليس سهل النطق، تحوّل إلى صاد: في الأكادية مثل: (>erṣ̂tu) بمعنى أرض، وفي الأوغاريتية مثل (ṣ̂rr) بمعنى ضرّ، وفي العبرية، مثل: (>ēreṣ̂) بمعنى أرض. أمّا الآرامية القديمة (السريانية الأولى) فضاع منها أيضاً، وحلّ محلّه صوت القاف مثل أرقا بمعنى أرض، ثمّ تحوّل إلى عين في الآرامية المتأخرة (السريانية المتأخرة)، مثل: (>ar<ā) بمعنى أرض(٤).

واحتفظت الحبشية بالضاد الوقفية مثل «أرد» بمعنى أرض، ولكنها كثيراً ما تختلط بالصاد، وقد اتفقت أخيراً مع صوت الصاد في الحبشية الحديثة(٥). وتطوّر الضاد في اللغات السامية السابقة الذكر تطوّر مطلق، وهو في اللغة العربية تطوّر مقيد(٦)، ويمكن إجمالُ التغييرات الحادثة له بما يأتي:

١- تغيير في الضاد نفسها، حيث فقدت جميع الصفات التي وُصِفَتْ بها قديماً، ما عدا

---

(١) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس/٤٩ وعلم اللغة/١٥٥ والمدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي/٤٦.

(٢) النظام اللغوي للهجة الصفاوية/١١٤ وعلم اللغة العام/١٠٠-١٠٤.

(٣) فقه اللغات السامية/٢٩ والمدخل إلى علم الأصوات /٩٨-٩٩ وكلام العرب/٢٩ والنظام اللغوي للهجة الصفاوية/١١٤-١١٥.

(٤) المدخل إلى علم الأصوات/١٠٠ ودراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن/٢٣٣-٢٣٤.

(٥) فقه اللغات السامية/٣٣ والمدخل إلى علم الأصوات /١٠١ ومعالم جديدة للمنهج المقارن بين اللغات السامية/٦٩.

(٦) النظام اللغوي للهجة الصفاوية /١١٥.

التفخيم.

٢- تحوّلها إلى صوت اللام، وهو تحوّل تقره القوانين الصوتية لقرب الصوتين بعضهما من بعض، فالفرق بينهما هو أن صوت الضاد رخو مطبق، بينما صوت اللام مائع مرقق(١)، ويظهر ذلك التحوّل في بعض الشواهد التي عاقبت العرب فيها بين الضاد واللام، ،ومن ذلك قول الشاعر:

مالَ إلى أرْطاةِ حِقْفٍ فَالْطَجَعَ

أي فاضطجع(٢). وتَقَيَّضَ فلانٌ أباه وتَقَيَّلَهُ: إذا نزعَ إليه في الشبه(٣).

٣- تحوّلها إلى الصاد، كغيرها من اللغات السامية، ومن الأمثلة التي تظهر ذلك: الامتضاض والامتصاص، والقاضب والقاصب.

٤- تطوّرات مختلفة، سجلت كتب لحن العامّة أمثلة عليها أيضاً، وهي تطوّرات إلى الأصوات الآتية:

١- الطاء.

٢- الدال.

٣- الظاء.

٤- الذال.

وسيتم في الصفحات القادمة دراسة هذه التطوّرات التي سجلتها كتب لحن العامة.

---

(١) الكتاب: ٤/٤٣٥، ٤٣٦، ويذهب كانتينو إلى أن الضاد الأصلية التي في السامية الأم كانت ذات زائدة انحرافية لامية، انظر: دروس في علم أصوات العربية/٨٤-٨٥.

(٢) الخصائص: ١/٢٦٤، ٣/١٦٥-١٦٦، وانظر: التطور النحوي/١٩.

(٣) الإبدال: ٢/٢٧٧.

١- إبدال الضاد طاء:

تعرّض صوت الضاد القديم إلى تطوّر، فانتقل مخرجه إلى طرف اللسان وأصول الثنايا العليا(١)، وتغيرت صفته من الرخاوة إلى الشدة، لينطق طاءً مجهورة وهذا ممكن لتقارب مخرجيهما، كما أن الطاء أسهل من الضاد مخرجاً وصفةً، والإنسان يحاول في نطقه الميل إلى الأيسر والأسهل.

وقد وردَ في كتب اللغة أمثلة تظهر تعاقب هذين الصوتين منها قولهم: قَوسٌ ضَرُوحٌ وطَرُوحٌ: إذا كانت سريعة السهم(٢)، والنِّنْضِل والنِّنْطِل للداهية(٣).

وظهر مثل هذا عند عامة صقلية، فقالوا «رَبَطَ» لما حول المدينة، بدل «رَبَضَ»(٤)، ويمثّل تطور هذه الكلمة بالنحو الآتي:

rabaḍa > rabaṭa

وبما أنَّ الطاء القديمة توصف بالشدة والإطباق والجهر(٥)، والضاد الحديثة توصف بالشدة والإطباق والجهر أيضاً، فلربما كانت الطاء القديمة تُنْطَق كالضاد الحديثة؛ فتغيُّر صوت الضاد القديمة قد عرّض الطاء إلى تغيّر، حيث إنّ الضاد الحاليّة هي الطاء التي وصفها سيبويه، فقد حلّت مكان الضاد القديمة؛ فيما حلّ مكان هذه الطاء القديمة المجهورة طاء مهموسة، وهذا هو سرّ التبادل بينهما في اللغة الفصيحة والعامية.

وامتد مثل هذا النطق إلى العصر الحالي فنجده عند بعض العرب كالمغاربة(٦)، إذْ امتازت لهجات الحضر في شمال أفريقيا بأنها تحوّل الضاد إلى الظاء ثم إلى الطاء،

---

(١) الكتاب: ٤٣٣/٤.

(٢) الإبدال: ٢٦٥/٢ ولسان العرب (طرح): ٥٢٩/٢.

(٣) الإبدال: ٢٦٦/٢ وفي لسان العرب ٦٣٩/١١-٦٤٠: النِّنْدِل والنِّنْطِل بالدال والطاء.

(٤) تثقيف اللسان/١٠٤.

(٥) الكتاب: ٤٣٤/٤، ٤٣٦ والأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس/٥١.

(٦) "ما رأي المجامع والمختصين في مزج الضاد بالظاء؟!"/٢٠٤ ودروس في علم أصوات العربية/٨٧.

فتقول في مريض «مرِيط» (mrēṭ)، وفي أبيض «بْيَط» (byaṭ)، ولكنَّ هذه الظاهرة قليلة الانتشار(١).

٢- إبدال الضاد دالاً:

تطورت الضاد القديمة إلى صوت مجهور شديد آخر، وهو الدال. وهو تطوّر ممكن لتقارب مخرجيهما(٢). ومن الأمثلة على تناوبهما في اللغة «النُّهوض» و «النُّهود» إلا أن «النهود» في الحرب خاصّة، والنُّهوض في كل شيء(٣).

وظهر ذلك التطوّر أيضاً عند عامة صقلية، فقالوا: «غُرْدوف» بدلاً من: «غُرْضوف» أو «غُضْروف»(٤). ويمكن تفسير هذا التطوّر بالنحو الآتي:

ǧurḍūfun	>	ǧurṭūfun	>	ǧurdūfun
الضاد القديمة		الطاء المجهورة (غُرْضوف بالضاد الوقفية=الضاد الحديثة)		النظير المرقق للطاء القديمة وللضاد الحديثة

فالدّال هي النظير المرقق للطاء القديمة (المجهورة)، وقد ذُكِرَتْ،سابقاً،العلاقة بين الضاد والطاء؛ لهذا كان أمرُ إبدال الضاد دالاً وارداً، وهو إبدال أراد الناطق منه تيسير نطقه لصوت الضاد.

وفي الوقت الحالي تنطق الضاد العسيرة دالاً مفخمة، وهي الضاد الحديثة. ويظهر هذا النطق في كثير من المدن العربية كالقاهرة، والإسكندرية وبيروت ودمشق وبعض اللهجات المغربية(٥)، وغير ذلك.

---

(١) دروس في علم أصوات العربية/٧٠.

(٢) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس/٤٧، ٤٩.

(٣) لسان العرب (نهد): ٣/٤٢٩-٤٣٠.

(٤) تثقيف اللسان/٩٥.

(٥) دروس في علم أصوات العربية/٨٧ وفي صوتيات العربية/١٢٢، وانظر: ما رأي المجامع والمختصين في مزج الضاد بالظاء؟!/٢٠٤.

وقد وجدَ في المقابل عند العامّة، ما يدل على إبدال الدال ضاداً على الرغم من صعوبة الضاد، وظهر ذلك في قولهم «مُعَرْبِض» بدل «مُعَرْبِد» للرجل الذي يَنْفُخ، ولا يؤذي كالحيّة العِرْبَدّ(١). ولكن قد يفسّر هذا التطوّر على النحو الآتي:

mu<arbid	>	mu<arbiṭ	>	mu<arbiḍ
مُعَرْبِد		مُعَرْبِط		مُعَرْبِض

فلعلّه تطوّر ناجم عن التـوهم بأن الدال متطوّرة عن الطاء المجهورة المتطوّرة هي بدورها توهماً عن الضاد الرخوة، فأراد الناطق إعادة الدال إلى الأصل المتوهم، وهو الضاد. أو قد يفسر على النحو الآتي:

mu<arbid	>	mu<arbiḏ	>	mu<arbiz	>	mu<arbiẓ	<	mu<arbiḍ
مُعَرْبِد		مُعَرْبِذ		مُعَرْبِز		مُعَرْبِظ		مُعَرْبِض
الأصل		مبالغة في التصويب		سهولة وتيسير		التوهم (المبالغة في التصويب)		تطوّر الظاء إلى الضاد

ناجم عن التوهم

ويدعم التفسير الأخير، وجود (مُعَرْبِذ) في المستوى العاميّ(٢)، وقد ذُكر ذلك سابقاً، مع أننا قد نرى في هذا التفسير الأخير نوعاً من التأويل البعيد.

٣- إبدال الضاد ظاء:

يبدو أن الضاد القديمة كانت مثل الظاء في الجهر والرخاوة والإطباق، واختلفت عنها في صفة الانحراف، التي تشبه فيها (الضاد) اللام(٣)؛ ولتقارب مخرجيهما كان من السهل انتقال أحدهما إلى مخرج الآخر؛ وغالباً ما يحدث هذا الانتقال من الصعب إلى السهل؛ لأنّ الطبيعة البشرية تميل في نطقها نحو الأيسر، ولعلّ الظاء أسهل من الضاد.

---

(١) المدخل إلى تقويم اللسان/١١٨.

(٢) تثقيف اللسان/٦٤.

(٣) الوجيز في فقه اللغة/١٨٥.

وقدوردَ في اللغة أمثلة تظهر تناوب هذين الصوتين منها: الحُضَض والحُضُضُ، والحُظَظ والحُظُظ لنوع من الدواء. والحَضَل والحَظَلُ لفساد يلحقُ أصول سعف النخل، والعِضْلان والعِظْلان لضرب من الفأر أو الجرذان(١).

وظهر أيضاً تحول الضاد إلى الظاء في بعض القراءات القرآنية، ومن ذلك قراءة (بظنين) بدل (بضنين)(٢).

وقد أبدلت الضاد ظاءً في طائفة من الكلمات التي نطقتها العامة(٣)، وقد ظهر الخلط بينهما جلياً عند عامة صقلية، في القرن الخامس الهجري، إذ يقول ابن مكي: «هذا رسم قد طَمَس، وأثرٌ قد دَرَس، من ألفاظ جميع الناس، خاصّتهم وعامّتهم» ويقول أيضاً: «فأمّا العامة، وأكثر الخاصّة، فلا يفرقون بينهما في كتاب ولا قرآن، وهو بابٌ واسع، وأمر شاسع، إنْ تقصيته أخرجت الكتاب عن حَدّه»(٤).

وامتدّ هذا النطق إلى بعض اللهجات العامية المعاصرة خصوصاً في أرياف بلاد الشام وفي العر اق، وفي شبه جزيرة العرب، إذْ حوّلته لهجة الرياض إلى نظيره الرخو (الظاء)، فيقال (ظَاعَ) بدل (ضاع)، كما أنَّ لهجة عدن تجعل الضاد والظاء صوتاً واحداً(٥).

ويظهر في بعض اللهجات المعاصرة نطق الضاد زاياً مفخمة، كما في عاميّة ليبيا والقاهرة، فيقال في «ضابط» «زابط» بزاي مفخمة(٦) (ḍābiṭ > ẑābiṭ).

---

(١) الإبدال: ٢/٢٦٩-٢٧١.

(٢) التكوير: ٢٤، وانظر تفسير القرآن العظيم: ٨/٧٩٢.

(٣) الوجيز في فقه اللغة/١٨٥.

(٤) تثقيف اللسان/١٠٥.

(٥) دروس في علم أصوات العربية/٨٧ والمدْخل إلى علم الأصوات/٦٦ وكلام العرب/٢٦ ومناهج البحث في اللغة/١٢٦.

(٦) علم اللغة/١٧٦ وكلام العرب/٢٦.

٤- إبدال الضاد ذالاً:

وردَ في كتب لحن العامة ما يشير إلى أن الضاد قد تبدل ذالاً، وظهر ذلك في قولهم:

- فلان«قَذيف» الجسم، بدل «قضيف» للنحيف خِلْقة لا هُزال(١). وقد يفسّر هذا التطور بالنحو الآتي:

قضيف قظيف قزيف قذيف

ḳaḍīfun > ḳaẓīfun > ḳazīfun > ḳadīfun

أي أن الضاد نطقت ظاء تيسيراً، ثم نطقت الظاء زاياً تيسيراً أيضا، ثم أرادوا إعادة الزاي إلى أصلها، فتوهموا أنه الذال فنطقوها بالذال.

- ما «حُذّر» لفلان في كذا، بدل «حُضّر»(٢).

حُضّر حُظّر حُزّر حُذّر

ḥuḍḍira > ḥuẓẓira > ḥuzzira > ḥuddira

ويقال فيها ما قيل في «قذيف».

وقدوردَ في المقابل في كتب لحن العامة ما يشير إلى إبدال الذال ضاداً، وقد فُسِّرَ مثل هذا الإبدال أثناء الحديث عن الأصوات بين الأنسانية.

وأخيراً يمكن القول أن وجود الضاد بهذه الأشكال ما هو إلاّ محاولة لتسهيل نطقها العسير.

(١) تثقيف اللسان/٩٥.

(٢) السابق/٩٥ وتصحيح التصحيف/٢٤٠.

ج- الطاء:

يرجّح بعض العلماء أن صوت الطاء كان يشبه في نطقه الضاد الحديثة، التي ننطقها الآن (المهجورة)، ثم تطوّر نطقه حتى صار مهموساً(١)، ويرى كانتينو أنه «ربما كان السبب في انتقال الطاء من الجهر إلى الهمس كونها مفخمة وحدوث ذلك التوتر العام في الأعضاء عند النطق بها»(٢). ويرجح العلماءُ أيضاً «أن أصلَ هذا الصوتِ في السامية الأم دال مفخمة، أي أنه كان مجهوراً في الأصل، ثم تحول إلى نظيره المهموس، وهو الطاء، وأصبح النظير المفخم للتاء»(٣) المهموسة، وهذا يؤيده قول سيبويه: «ولولا الإطباق لصارت الطاء دالاً»(٤).

ولهذا وصفت الطاء القديمة بأنها مجهورة، بينما وصفت الطاء التي ننطق بها الآن بأنها مهموسة، نظيرها المرقق هو التاء(٥).

وقد تحوّل صوت الطاء المجهور في سائر اللغات السامية إلى نظيره المهموس فقط، بينما احتفظت به العربية الشمالية مجهوراً في مرحلة قديمة، ثم حوّلته إلى نظيره المهموس في مرحلة متأخرة من مراحلها(٦). وربما كانت بدايات هذا التطور في نطقها في العربية منذ عهد سيبويه، فلعلّه قصد بـ: «الطاء التي كالتاء» الطاء المهموسة، وقد وصفها بأنها من الأصوات غير المستحسنة في لغة من ترتضى عربيّته(٧).

وصوت الطاء على وفق ما سبق صعب النطق، ويزداد صعوبة لما فيه من تفخيم؛ لهذا ظهر ميل إلى التخلّص من هذه الصفة فيه، فأبدل دالاً وتاءً،وظهر ذلك في المستوى

---

(١) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنس/٤٩، ٥١، وعلم اللغة/١٦٠ وفي صوتيات العربية/١٣٧.

(٢) دروس في علم أصوات العربية/٥١.

(٣) المدخل إلى علم الأصوات/١١٣.

(٤) الكتاب: ٤/٤٣٦.

(٥) التطور النحوي/١٦ والمدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي/٤٦-٤٧.

(٦) المدخل إلى علم الأصوات/١١٣-١١٤.

(٧) الكتاب: ٤/٤٣٢.

العامي أيضاً، إلا أنّ التغييرات الطارئة على الحرف الشديد الأسناني (الطاء) لم تكن كثيرة في القدم(١). ومن هذه التغييرات أيضاً إبداله ظاءً، وقد دُرس هذا التطوّر أثناء الحديث عن صوت الظاء.

ويلاحظ أنّه على الرغم من صعوبة صوت الطاء فقد تطورت إليه بعض الأصوات كالذال والضاد والظاء، وقد دُرست أيضاً هذه التطورات أثناء الحديث عن صوت الضاد وعن الأصوات بين الأسنانية؛ وبهذا سيتمُّ الحديثُ هنا عن تطوّر الطاء إلى الدال والتاء فقط.

(١) دروس في علم أصوات العربية/٥١.

١- إبداله دالاً:

تطورت الطاء القديمة (المجهورة) إلى نظيرها المرقق الدال، فكلاهما صوت أسناني شديد مجهور(١). وقد وردَ في اللغة أمثلة، ظهر فيها تعاقب هذين الصوتين، منها: الإبْعاط والإبعاد(٢)، والوَهْطة لغة في الوَهْدَة(٣) لما اطمأنّ من الأرض(٤)، ومَطَّ ومدَّ(٥) وغير ذلك.

وظهر هذا التطوّر أيضاً في كتب لحن العامة، ومن الأمثلة عليه:

- «مُلِدٌّ» بدل «مُلِطّ» للذي يستر الحق ولا يعطيه من نفسه(٦)؛ ويمثّلُ التطوّر بالنحو الآتي:

mulittun > muliddun

-«قُبّيد» بدل «قُبّيط»(٧) للناطف(٨).

kubbayt > kubbayd

فأبدلت الطاء المفخمة المجهورة دالاً مرققة مجهورة.

٢- إبداله تاء:

تطورت الطاء المجهورة أيضاً إلى التاء، والطاء والتاء من نفس المخرج، ويفترقان في أنّ الأوّل مجهور مفخم والثاني مهموس مرقق(٩)، ولتوحّد المخرج كان احتمال

---

(١) الكتاب: ٤/٤٣٤ والأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس/٤٧، ٤٩.

(٢) لسان العرب (بعط) ٧/٢٦٢، وهو أن يتكلّف الإنسان ما ليس في قوته.

(٣) المزهر: ١/٤٧٢.

(٤) لسان العرب (وهط) ٧/٤٣٤.

(٥) السابق (مطط) ٧/٤٠٣.

(٦) تثقيف اللسان/٩٤.

(٧) لحن العامة/١١٢.

(٨) لسان العرب (قبط) ٧/٣٧٣، وهو نوع من الحلوى.

(٩) الكتاب: ٤/٤٣٤، ٤٣٦ والأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس/٤٧.

تطوّر أحدهما إلى الآخر ممكناً. وقد جاءَ في اللغة أمثلة ظهر فيها تناوب هذين الصوتين منها: الأقطار والأقتار بمعنى النواحي، ورجل طَبِن وتَبِن(١)، وغير ذلك.

ووردَ أيضاً في كتب لحن العامة أمثلة على هذا التطور منها:

-«البُـوتَقَـةُ» بدل «البُوطَة»، عند الخليل، وبدل «البُـوطَقَـة» عند ابن بري، وهي الشيء الذي يُذيب فيه الصائغ المعادن(٢).

būṭah > būṭakah > būtakah

وهي كلمة معرَّبة، وربما عرِّبت «بُوطَة» إلى «بُوطَقَة» ثم أُبدلت الطاء تاءً.

- «تَبَشِر» بدل«طباشير»(٣)، ولعلَّ هذه الكلمة تطوّرت بالنحو الآتي:

ṭabāšīr > ṭabašir > tabašir

حيث قُصّرت الفتحة الطويلة في المقطع الثاني وقصّرت الياء في المقطع الثالث، فتكوّنت البنية (ṭabašir)، ثم أبدلت الطاء تاءً، فتكوّنت البنية (tabašir).

- «مَسْتَكى» بدل «مَصْطَكا» لضرب من الأصماغ(٤).

maṣṭakā > mastakā

فتعرّضت الكلمة لإبدال صوتين فيها، هما الطاء والصاد.

- «مَنْتَقَة» بدل «مِنْطَقَة»(٥)، ويمثل التطور بالنحو الآتي:

مِنْطَقَة   مَنْطَقَة   مَنْتَقَة

minṭakah > manṭakah > mantakah

---

(١) المزهر : ٤٦٤/١، وطَبِنٌ وتَبِنٌ تعني فَطِنٌ حاذِق ، لسان العرب (طبن) ٢٦٣/١٣.

(٢) تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة/٣٥.

(٣) خير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام/٢٦.

(٤) تثقيف اللسان/١١٤ ووردت في كتاب (تصحيح التصحيف/٤٨٠) بكسر الميم.

(٥) لحن العامة/٢٣٢.

فماثلت كسرة الميم فتحة الطاء، مماثلةً مدبرةً كليةً، ثم أبدلت الطاء تاءً، فتكوّنت البنية (mantaḳah).

وبهذا مال الناطق إلى تسهيل نطق مثل هذه الكلمات بإبدال الطاء فيها تاءً، وقد ذكر سابقاً أن بدايات نطق الطاء تاء كانت منذ عهد سيبويه، وهو نطق مُستَهْجَن، ويبدو أن ذلك كان سائداً عند سكان شرقي العراق، الذين كانت لغتهم الأصلية هي الفارسية، التي لا تعرف ظاهرة التفخيم للأصوات؛ لهذا رققوا ما هو مفخم كالصاد والطاء(١).

وقد وجد في المقابل ما يُظهرُ ميلَ العامة إلى تفخيم هذه التاء، ومن ذلك:

- «طَخْت» بدلاً من: «تَخْت»، وهو الذي يُجْعَل فيه الثياب(٢).

taḫtun > ṭaḫtun

- سكران «مُلْطَخّ» بدلاً من: «مُلْتَخّ»، أي مختلط(٣).

multaḫḫun > mulṭaḫḫun

وربما فسّر التطوّر على أنه من باب المماثلة، حيث أثرت الخاء، التي تحوي بعض القيم التفخيمية في التاء المتقدمة عليها تأثيراً مدبراً جزئياً منفصلاً، فأكسبتها صفة التفخيم، فصارت طاءً.

- «الكَلْتَبان» بدلاً من «القَلْطَبان» عند العامة الأولى، والقَرْطَبان عند العامة السفلى، للذي لا غيرةَ له على أهله(٤). وقد فسّر تطوّر هذه الكلمة في فصلٍ متقدم، ورافقَ هذا التطوّر أيضاً إبدال القاف والطاء كافاً وتاءً على التوالي، فصارت الكلمة أيسر نطقاً.

---

(١) دروس في علم أصوات العربية/٥١.

(٢) لحن العامة/٢٢٠ وتصحيح التصحيف/٣٦٣.

(٣) أدب الكاتب/٣١٩.

(٤) تقويم اللسان/١٥٦.

وقد امتدَّ نطق الطاء تاء إلى اللهجات العربية المُعاصرة كلهجات فئاتٍ من أهل بلاد الشام ومصر(٥).

وأخيراً يمكن القول في الأصوات المفخَّمة أنَّ الناطق ينطقها كيفما تتحقق له السهولة، التي يسعى إليها، أو الصواب الذي يظنّه ويريد الوصولَ إليه، فيرقق أصواتاً، ويفخّم أخرى، محققاً في ذلك التواصل الذي يريد، وهذا يثبت وجود البراجماتية في اللغة العربية.

(٥) في صوتيات العربية/١٣٨.

ثالثاً- تطوّر بعض أصوات الحلق:

يتفق معظم علماء العربية القدامى على أن أصوات الحلق هي (الهمزة والهاء والعين، والحاء، والغين، والخاء)، ويجعلون الهمزة والهاء من أقصاه، والعين والحاء من أوسطه، والغين والخاء من أدناه(١).

وأثبتت معظم الدراسات الصوتية الحديثة أنّ الحاء والعين تخرجان من الحلق(٢)، والخاء والغين من أقصى الحنك اللين(٣)، وأنّ الهمزة والهاء تخرجان من الحنجرة(٤).

وقد امتازت معظم هذه الأصوات بصعوبة نطقها، وعمق مخارجها؛ لهذا ظهر ميل إلى التخلّص منها في أغلب اللغات السامية.

أمّا العربية فقد احتفظت بها جميعها، ومع ذلك مالت إلى إبدالها فجاء هذا الإبدال مقيّداً ببعض الأمثلة، ثم امتدّ إلى اللهجات العامية، وقد سجلت ذلك كتب لحن العامة.

وسيتمّ في الصفحات القادمة عرض تطوّر بعض هذه الأصوات من خلال هذه الكتب، واستثني الهمزةَ من الحديث في هذا المقام، فقد خصصت لها جزءاً خاصاً بها، بعنوان «الهمزة وقضاياها».

---

(١) الكتاب: ٤٣٣/٤ وسرّ صناعة الإعراب: ٤٦/١-٤٧.

(٢) دروس في علم أصوات العربية/١١٦، والمدْخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي/٥٥.

(٣) المدخل إلى علم الأصوات/١٣٦، وانظر:

Al-Ani, Arabic Phonology, P. 34.

(٤) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي/٥٦-٥٨ والمدخل إلى علم الأصوات/١٥٣.

أ- العين(<):

وصف سيبويه صوت العين بأنه يخرج من وسط الحلق، وبأنه مجهور، وبين الأصوات الرخوة والشديدة(١).

وقد أثبتت التجارب المعمليّة الصوتية في العصر الحديث أن صوت العين رخو(٢)، وهذا يخالف ما ذهب إليه سيبويه، ومن تابعه من القدماء والمحدثين من أنه صوت متوسط، فيرى بيرجشتراسر أن العين من الأصوات التي «يصعب تكييفُها، فهي أحياناً متمادة، وأحياناً آنية، والدويّ الممازج لها أحياناً قويّ، وأحياناً ضعيف»(٣). «وربما كان ذلك لعدم وضوح الاحتكاك في نطقها وضوحاً سمعياً. ولكن الأصوات المتوسطة تشترك جميعها في خصائص، ليست موجودة في نطق العين، وأوضح هذه الخصائص، حرية مرور الهواء في المجرى الأنفي، أو في المجرى الفموي، دون سدّ طريقه، أو عرقلة سيره، بالتضييق عند نقطة ما، وقد اتضح بصورة الأشعة، أن في نطق العين تضييقاً كبيراً للحلق»(٤).

ويرى إبراهيم أنيس أن السبب في جعل القدماء هذا الصوت متوسطاً هو «ضعف ما يسمع لها من حفيف، إذا قورنت بالغين، وضعف حفيفها يقرّبها من الميم والنون واللام، ويجعلها من هذه الأصوات التي هي أقرب إلى طبيعة أصوات اللين». ويرى وأن ضيق مجرى الصوت عند مخرجه أقلّ من ضيقه مع الغين، مما يجعله أقلّ رخاوة من الغين. و«لقلّة التجارب الحديثة التي أجريت على أصوات الحلق لا نستطيع أن نرجّح صحة هذه الصفة «للعين» بل نتركها لتجارب المستقبل لتبرهن عليها»(٥).

---

(١) الكتاب: ٤/٤٣٣-٤٣٥.

(٢) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي/٨١.

(٣) التطور النحوي/١٥.

(٤) مناهج البحث في اللغة/١٣٠.

(٥) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس/٧١، ٢٦.

ويرى سلمان العاني أنه صوت وقف، إلاّ إذا وقع بين صوتي علّة فيكون عند ذلك متوسطاً بين صوتي العلة، والصوت الصامت، أي أنه استمرار لصوتي العلّة المحيطين به(١).

وإذنْ، صوت العين وقفيّ، وقد يكون احتكاكياً أحياناً، وصوت العين موجود في اللغات السامية كلها ما عدا الأكادية، إذْ نابت عنه الهمزة، فعقرب في العربية يقابلها (<akrāḇ) في العبريّة و (<ekḳarbā) في الآرامية، و (<akrāb) في الحبشيّة و (>akrabu) في الأكادية(٢)، وهذا لا يعني أنه لم يتعرضْ لتغييرات تاريخية في بعضها(٣).

ومع احتفاظ العربية من الساميات بصوت العين، فقد تعرّض فيها لنوع من التطوّر المقيّد(٤)، وقد امتدّ ذلك التطور إلى الكلام المنطوق، فسجلت كتب لحن العامة أمثلة عليه، فظهر فيها:

١- تعاقبه مع الغين.

٢- سقوطه والتعويض عنه بإطالة الحركة التي قبله.

٣- إبداله همزة.

وسيتمّ في الصفحات القادمة تناول «تعاقبه مع الغين» وسقوطه والتعويض عنه بإطالة الحركة التي قبله، أمّا إبداله همزة فقد تم الحديثُ فيه من خلال الحديث عن تبدّلات صوت الهمزة في الفصل السابق.

---

(1) AL-Ani, S. Arabic Phonology, (1970), P. 62-63.

(٢) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي/٢٢٥.

(٣) المدخل إلى علم الأصوات/١٤٩-١٥١.

(٤) السابق/١٥١.

١- تعاقبه مع الغين:

يقترب مـخرج العين من مـخرج الغين، ولا تختلف العين عن الغين إلا في قلّة الرخاوة مع الأولى مقارنة بها مع الثانية(١)؛ لهذا كان أمر إبدال أحدهما إلى الآخر ممكناً. مع أنّ الراجح أنّ الغين هي التي تنقلب إلى العين لا العكس؛ لأنّ صوت الغين أكثر صعوبة من صوت العين.

وقد وردَ في اللغة أمثلة تظهر تعاقب هذين الصوتين منها: لَعنّ ولَغَنّ بمعنى لَعَلّ، ووَعَاهم ووَغَاهم بمعنى صوتهم وصخبهم، والوَعْل والوَغل للملْجأ(٢) وغير ذلك.

ووردَ في كتب لحن العامّة أمثلة على هذا التعاقب، يمكن تفسيرها على ضَوْء ما سبق، ومن هذه الأمثلة:

- ابن «بَزيغ» بدل «بزيع»(٣).

bazī<un > bazīĝun

- دمٌ «غبيط» بدل «عبيط» للطريّ(٤).

<abīṭun > ĝabīṭun

- «أَتَغزَّلُ» بدل «أتعزَّلُ»، وأتَعَزَّلُ من العُزْلة والاعتزال(٥).

>ata<azzalu > >atağazzalu

وذلك في بيت الأحوص الأنصاري:

يا بيتَ عاتكةَ الذي أَتَعَزَّل   حَذَرَ العِدَى وبه الفؤادُ مُوَكَّلُ(٦).

---

(١) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس/٧١.

(٢) الإبدال: ٢/٢٩٦-٢٩٩.

(٣) تثقيف اللسان/٢١١ وتصحيح التصحيف/١٥٩.

(٤) تثقيف اللسان/٨٠.

(٥) تصحيح التصحيف/٧٩.

(٦) الأغاني: ٢١/١١٠.

ḥaršafun > h̲aršafun > h̲uršufun

- «اختَلَطَ» الرجل، بدل «احتَلَطَ» إذا اشتدَّ غضبه(١).

(>)iḥtalaṭa > (>)ih̲talaṭa

- الشاة «الخَمِرة» بدل «الحمِرة»، للتي أنتن فمها من البَشَم(٢).

(>)alḥamirah > (>)alh̲amirah

- «لَطِخَ» الرجل بِشَرّ، بدل «لَطِحَ»(٣).

luṭiḥa > luṭih̲a

وذكر الزُّبيدي أنّ أبا علي أجاز «لَطِخَ» بالخاء المعجمة(٤). وعند البحث في اللسان أيضاً وجد أنها بالخاء: «ولَطَخَهُ بشرّ يلطخُه لطخاً، أي لوّثه به فتلوّث وتلطّخ به مغله...»(٥).

وعلى هذا فلا وجه لإنكارها واعتبارها من لحن العامة؛ بل هي واردة في المستوى الفصيح، مما يؤكد أصالة هذا التعاقب بين الخاء والحاء.

- «المَسيخ» الدَّجّال، بدل «المسيح»(٦).

(>)almasīḥu > (>)almasīh̲u

وربمّا فسّر الإبدال في هذه الكلمات على أنه من قبيل المبالغة في التصويب، إذْ توهّموا أنّ الحاء فيها مبدلة عن خاء، فأرادوا إعادتها إلى الأصل المتوهَّم، فنطقوها خاءً.

---

(١) المدخل إلى تقويم اللسان/٢١٨.

(٢) تثقيف اللسان/٣٢٣ وتصحيح التصحيف/٢٤٩، والبَشَمُ: تُخْمَة على الدَّسم، لسان العرب (بشم) ١٢/٥٠.

(٣) لحن العامة/٢٢٨ وتصحيح التصحيف/٤٥٤.

(٤) لحن العامة/٢٢٨.

(٥) لسان العرب (لطخ) ٣/٥١.

(٦) لحن العامة/٢٣٠ وتثقيف اللسان/٢١١.

٢- إبداله هاء:

قد تبدل الحاء هاءً، وهو إبدال تقرّه القوانين الصوتية؛ لما بين الصوتين من تقارب في المخرج والصّفة، فكلاهما حلقيّ عند سيبويه(١). والأوّل حلقيّ، والثاني حنجريّ في الدراسات الصوتية المعاصرة. وكلاهما رخو مرقق، وعلى الأغلب مهموس(٢).

وقد جاءَ في اللغة أمثلة تؤيّد تعاقب هذين الصوتين منها: حَمَمْتُ بالأمر وهَمَمْتُ، وحَبَشَ له وهَبَشَ(٣).

ومن الأمثلة على إبدال الحاءِ هاءً في كتب لحن العامة ما يأتي:

- «هُرْدِي» بدل «حُرْدِي» للقصب المجتمع(٤).

ḥurdī > hurdī

ويرى الجوهري أنّ هذه الكلمة معرّبة عن النبطيّة(٥)، «فربّما نطقها العامة بصورتها النبطية أي بالهاء»(٦).

-«يَهْذِرُ» في قراءته بدل «يَحْذُرُ» للسريع القراءة(٧).

yaḥduru > yahduru > yahdiru

«وربما كان منشأُ اللحن هنا الربط بين الإسراع في القراءة وهدير الجمل، أي ترديد صوته في حَنْجرته»(٨).

---

(١) الكتاب: ٤٣٣/٤.

(٢) علم اللغة/١٧٩ والأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس/٧١.

(٣) الإبدال: ٣٢٢/١.

(٤) تقويم اللسان/٩٤.

(٥) الصحاح (حرد) ٤٦٥/٢.

(٦) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة/٢٤٠.

(٧) تثقيف اللسان/٩٢ وتصحيح التصحيف/٥٦٧.

(٨) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة/٢٤٠.

- «تَنَهَّسَ» بدل «تَنَحَّسَ» للنصارى، إذا أكلوا اللحم قُبيل صومهم(١).

tanaḥḥasa > tanahhasa

مع أنّ تَنَحَّسَ تعني تركهم أكل اللحم(٢).

ومما لا شكّ فيه أن الهاء أسهل من الحاء، إذْ لا تحتاج الهاء إلى توتر عضلي؛ لأنها الانسياب الطبيعي للنَّفس، مع أنّها تتميز عنه باحتكاك الهواء الخارج من الرئتين بجداري الحَنْجَرة(٣). وهذا يفسِّرُ أيضاً الميل إلى إبدال الحاء هاء.

---

(١) تقويم اللسان/٨٨.

(٢) السابق/٨٨ وتصحيح التصحيف/١٩٤-١٩٥.

(٣) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي/٥٩ والمنهج الصوتي للبنية العربية/٢٨.

ج- الغين : ġ

حدّد سيبويه مخرج الغين بأنه من أدنى الحلق من الفم(١). وتابعه في ذلك بعض المعاصرين(٢). ويرى غيرهم أنه من منطقة الطبق (الحنك اللين)(٣)، ويرى آخرون أنه من منطقة اللهاة الفاصلة بين الحلق والحنك(٤). وعند النطق به يندفع الهواء الخارج من الرئتين ماراً بالحَنْجَرة، فيتسبّب باهتزاز الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه حتى يصلَ إلى أعلى الحلق، فيصطدم «بعائق متكون من مؤخر اللسان واللهاة، وأول الحنك اللين، حيث لا يكون هناك إلاّ مخرج ضيق يتسرّب منه الهواء إلى خارج الفم» محدثاً حفيفا، وبذلك يتكون صوت الغين(٥). وإذن، يوصف صوت الغين بأنه رخو مجهور.

وعلى وفق الوصف السابق يمكن القول بأن صوت الغين ليس سهلاً؛ لهذا تطوّر نطقه في معظم الساميات، فحلّ محله الهمزة في الأكادية أو الخاء. وحلّ محلّه العين في العبريّة والآرامية والحبشية، فكلمة «غرب» في العربية، يقابلها في الأكادية (>erebu)، وفي العبريّة (<ārab)، وفي الآرامية (<reb)، وفي الحبشية (<arba) . أمّا العربية والأوجاريتية فاحتفظتا به(٦).

وقد اختلف علماء اللغة في وجود صوت الغين في اللغة السامية الأم، فرفض ذلك الوجود روجتشكا (Ruzicka) وبتراتشيك (Petracek) مثلاً، في حين عارضهم في ذلك كانتينو وموسكاتي وروسلير، على أساس أنّ الغين موجودة في الأوجاريتية، وفي

---

(١) الكتاب: ٤/٤٣٣.

(٢) التطور النحوي/١١ والأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس/٧٠.

(٣) مناهج البحث في اللغة/١٢٩ والمدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي/٥٣.

(٤) دروس في علم أصوات العربية/١١٣ وفي صوتيات العربية/١٠٢-١٠٣ والنظام اللغوي للهجة الصفاوية/١٢٩.

(٥) النظام اللغوي للهجة الصفاوية/١٢٩.

(٦) فقه اللغات السامية/٤٨ والمدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي/٢٢٦ والمدخل إلى علم الأصوات/١٤٣.

العربية الجنوبية؛ وهذا يؤكّد وجودها كفونيم مستقلّ في السامية الأم وفي العربية(١).

ومع محافظة اللغة العربية على هذا الصوت فقد تعرّض فيها لبعض التغييرات المقيدة، التي سجلتها كتب اللغة، ثم امتدّت إلى اللهجات العامية، فسجّلت كتب لحن العامة التغييرات الآتية:

١- إبداله خاء.

٢- إبداله قافاً.

٣- إبداله عيناً.

وسيتمّ في الصفحات القادمة دراسة التغيّرين: الأول والثاني فقط. أما الثالث فقد درس في أثناء الحديث عن تبدلات صوت العين.

(١) دروس في علم أصوات العربية/١١٣ والمدخل إلى علم الأصوات/١٣٦.

١- إبدالُه خاءً:

قد تبدل الغين خاءً، وهو إبدال تقرّه القوانين الصوتية؛ لأن كلا الصوتين من مخرج واحد، ولا يفترق أحدُهما عن الآخر إلاّ في أنّ الوترين الصوتيين يهتزّان مع الغين، ولا يهتزان مع الخاء(١)؛ لهذا فالغين هي النظير المجهور للخاء.

وقد وردتْ في اللغة ألفاظ تناوبت فيها الخاء والغين منها: أخنّ وأغنّ بمعنى مسدود الخياشيم(٢)، وخَطَر وغَطَرَ البعير بذنبه، إذا رفعه مرة بعد مرة(٣). وجاء في كتاب سيبويه: «يقول بعض العرب: مُنْخُل ومُنْغُل، فيخفي النون، كما يخفيها مع حروف اللسان والفم لقرب هذا المخرج من اللسان»(٤).

وعلى ضَوْء ما سبق، يمكن تفسير قول العامة:

- «أبادَ الله «خَضْراءهم» بدل «غَضْراءهم»(٥):

ġaḍrā>u > ḫaḍrā>u

إلاّ أنّ استعمال العامة هذا التعبير بالخاء مقبولٌ في المستوى الفصيح أيضاً، فقدْ وردَ التعبير في اللسان بالخاء والغين، فمن استعمله بالغين -وعلى رأسهم الأصمعي- أرادَ: نعمتهم وخيرهم وبهجتهم، ومن استعمله بالخاء -وعلى رأسهم ابنُ الأعرابي- أراد: سوادَهم. ومن أجاز الاستعمالين أرادَ: جماعتهم(٦).

---

(١) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي/٥٤.
(٢) لسان العرب (خنن) ١٣/١٤٣.
(٣) السابق (خطر) ٤/٢٥٠.
(٤) الكتاب: ٤/٤٥١.
(٥) أدب الكاتب/٣٢ وتقويم اللسان/١٤٣.
(٦) لسان العرب (عضر) ٥/٢٣-٢٤.

- «خَرْز» بدل «غَرْز» لبعض الرُكُب المنوطة من السَّرْج، وهو ركاب لا يكون إلا للإبل(١).

ġarzun > ẖarzun

وما حدث في المثالين السابقين هو تهميس لصوت الغين، ويرى بعض المحدثين أنَّ «الصوت المهموس أسهلُ من نظيره المجهور»(٢)، فالخاء إذن ، أسهل من الغين، وبهذا سعت العامة في نطقها إلى السهولة والتيسير.

وقد امتدّ هذا الإبدال إلى بعض اللهجات العربية المعاصرة كما في لهجة تونس، إذْ يقولون «يَخْسل» بدل «يغسل»(٣).

- إبدال الخاء غيناً:

وَجِدَتْ في المقابل، في كتب لحن العامة، أمثلة ظهر فيها ما يدلّ على أنّ الخاء قد تبدل غيناً، وهو مما تجيزه القوانين الصوتية -كما سبق- ومن هذه الأمثلة ما يأتي:

- «غِفارة» و «غَفِير» بدل «خِفارة» و «خَفِير»(٤).

ẖifārah > ġifārah

- ودخل في «غُمَّار» الناس، بدل «خُمَّار»(٥).

ẖumārun > ġumārun

وقد وردَ في اللسان أن خَمَار وخُمَّار لغة في غَمَار وغُمار، وهي بمعنى جماعتهم

---

(١) لحن العامة/٢١١، والمدخل إلى تقويم اللسان/٢٠٨ وتصحيح التصحيف/٢٤٢.

(٢) الأصوات اللغوية، محمد الخولي/١٣٠.

(٣) دروس في علم أصوات العربية/١١٦.

(٤) تثقيف اللسان/٩٤ والمدخل إلى تقويم اللسان/٢١٩، والخفارة تعني الحماية، والأمان.والخفير تعني المجير والحامي، لسان العرب (خفر) ٤/٢٥٣.

(٥) تقويم اللسان/١٠٢.

وزَحْمَتهم(١). وهذا يعني أنّ استعمال العامة هذه اللفظة بالغين (غمار)، مما هو مقبولٌ في المستوى الفصيح من اللغة؛ لهذا لا وجه لاعتبارها من لحن العامة.

- «صاغرة» بدل «صاخرة» للإناء الذي يُتَطَهَّرُ فيه(٢).

ṡāḫirah > ṡāġirah

- «غُرْزَة» الخَرّاز، بدل «خُرْزَة» الخَرّار(٣).

ḫurzah > ġurzah

وقد وردَ في اللسان أنّ الخَرْزَة هي الغَرْزَة، أمّا الخُرْزَة فما بين الغُرْزَتين(٤).

وامتدّ هذا الإبدال إلى بعض اللهجات العربية المعاصرة كلهجة معظم أهالي الكرك في الأردن، إذْ يقولون: مِغْفَر وغفير بدل مخفَر وخفير(٥).

والعامة في إبدالها هذا سعت لتحقيق غاية أخرى زيادة على السهولة والتيسير، وهي الوضوح السَّمْعي؛ لذا عملت على تجهير الخاء، وهذا يعني أن اللغة تطوّر في الأصوات تلقائياً بما يحقق الغرض من استعمالها وتسهيل نطقها.

---

(١) لسان العرب(خمر) ٤/٢٥٧.

(٢) تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة/٣٠ والصاخرة إناء من خَزَف، لسان العرب (صخر) ٤/٤٤٥.

(٣) المدخل إلى تقويم اللسان/١٦٩.

(٤) لسان العرب (خرز) ٥/٣٤٤-٣٤٥.

(٥) لهجة الكرك/٧٤.

٢- إبداله قافاً:

قد تبدل الغين قافاً، وهذا ممكنٌ لتقارب مخرجيهما، فالغين من أقصى الحنك والقاف من منطقة اللهاة(١). ويرى سيبويه ومن تابعه من علماء العربية القدامى أنّ القاف صوت شديد مجهور، وأن صوت الغين رخو مجهور(٢). وهذا يدعم التقارب بينهما (الغين والقاف القديمة المجهورة)، مما سهّل تطوّر أحدهما إلى الآخر.

وقد سجلت كتب اللغة أمثلة ظهر فيها التناوب بين هذين الصوتين، ومن هذه الأمثلة: غَلْغَلَ في الأرض وقَلْقَل، بمعنى ذهب فيها، والغَمَزُ والقَمَزُ من الناس بمعنى الرُّذال، ومَنْ لا خيرَ فيه(٣).

وظهر هذا الإبدال أيضاً في كتب لحن العامة، وذلك كما في قولهم:

- «فلان «مُقَرّي» بكذا، بدل «مُغرّى»(٤).

muĝarrā > mukarrī

ثم امتدّ هذا الإبدال إلى بعض اللهجات العربية المعاصرة، فظهر فيها بصفة غير مقيّدة(٥). كما في بعض لهجات البَدْو في شمال الجزيرة العربية، وأغلبيّة لهجات الصحراء الجزائرية، نحو (صقير) بدل (صغير) و (قابة) بدل (غابة)، و (قُراب) بدل غُراب(٦).

وربما جُعِلَ هذا الإبدالُ في هذه الألفاظ من باب السهولة والتيسير؛ لأنّ الغين -كما سبق- رخوة، والقاف شديدة، والأصواتُ الشديدة أسهل من الأصوات الرخوة.

---

(١) علم اللغة العام/١٠٩.

(٢) الكتاب: ٤/٤٣٤.

(٣) الإبدال: ٢/٣٢٩، ٣٢٨.

(٤) تقويم اللسان/١٦٨ وتصحيح التصحيف/٤٨٩.

(٥) الأصوات اللغوية، محمد لخولي/٢١٢.

(٦) دروس في علم أصوات العربية/١١٤-١١٥.

- إبدال القاف غيناً:

وفي المقابل وردَ في كتب لحن العامة، ما يشير إلى عكس هذه الظاهرة فأبدِلَتْ القاف غيناً في قول العامة (الغَزّاز) بدل (القَزّان)لبائع القزّ(١).

(>)alḳazzāzu > (>)alġazzāzu

وظهر ذلك أيضاً في بعض اللهجات العربية المعاصرة، كبعض لهجات السودان والكويت، نحو قول العامّة (الغانون) بدل (القانون)(٢).

(>)alḳānūnu > (>)alġānūnu

وظهر أيضاً في بعض لهجات الصحراء الجزائرية،نحو قول (الغائد) بدل (القائد)(٣).

(>)alḳā>idu > (>)alġā>idu

و(غليل) بدل (قليل)(٤).

ḳalīlun > ġalīlun

وربما حدث هذا الإبدال لإعادة التوازن في اللغة؛ ولظهور رغبةٍ في إرجاع الغين إلى اللغة(٥)، فتوهّموا أنّ القاف الأصلية في بعض الكلمات منقلبة عن غين ، فأعادوها إلى الأصل المتوهم، أي ربّما فُسّرَتْ ظاهرةِ إبدال القاف غيناً على أنها من باب المبالغة في التصويب.

---

(١) التنبيه على غلط الجاهل والنبيه/٩٨.

(٢) الأصوات اللغوية ، محمد الخولي/٩٣، ٢١١.

(٣) دروس في علم أصوات العربية/١١٥.

(٤) السابق/١١٥.

(٥) دروس في علم أصوات العربية/١١٥.

د- الخاء h̲

وهي من مخرج الغين، ولا تختلف في طريقة نطقها عن الغين إلا في أنّ الوترين الصوتيين لا يهتزان معها، في حين يهتزان مع الغين(١)، أي أنّها صوت أقصى حنكي رخو مهموس، فهي النظير المهوس للغين.

فصوت الخاء، إذن، صعب النطق كالغين؛ لذا ظهر ميل في بعض اللغات السامية إلى التخلص منه؛ فتحوّل تحوّلا مطلقاً في العبريّة والآرامية لِيُنْطَقَ كفونيم الحاء الأصلي. أمّا العربية والحبشية والأكادية والأوجاريتية فاحتفظت به(٢). فكلمة (خبط) في العـــربية، تقابل في العبريّة (ḥāḇaṭ) وفي الآرامية : (ḥbaṭ) ، وفي الحبشية : (h̲afaṭa) وفي الأكادية (h̲abāṭu) ، وهي تعني في الأخيرة (سَلَبَ أو نَهَبَ)(٣).

فصوت الخاء، إذن، غير موجود فونيماً مستقلاً في العبريّة والآرامية، ولكنه موجود كألفون لصوت الكاف، إذا جاءَ في بيئة صوتية مسبوقة بحركة في المقطع نفسه(٤)، وهي ما تسمى بظاهرة (بجد كفت).

ومع أنَّ العربية احتفظت به كفونيم مستقل، إلاّ أنه تعرّض فيها لبعض التغييرا ت المقيدة، وهذا يثبت الميل العام من الساميات للتخلّص منه. وقد وجدَ في كتب لحن العامة أنه تطوّر إلى:

أ- الغين ب- الكاف.

وقد دُرِسَ التطوّر الأوّل أثناء الحديث عن صوت الغين، في هذا الفصل؛ لذا سيقتصر الحديث على تطوّره إلى الكاف.

---

(١) مناهج البحث في اللغة/١٣٠.

(٢) المدخل إلى علم الأصوات/١٤٢-١٤٣.

(٣) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي/٢٢٦.

(٤) النظام اللغوي للهجة الصفاوية/٧٩ وانظر: ظاهرة (بجد كفت) بين العربية واللغات السامية/٢٩-٣٦ وفقه اللغات السامية/٦٩-٧٠.

- إبدال الخاء كافاً:

وردَ في كتب لحن العامة ما يشير إلى أنّ الخاء قد تبدل كافاً، وذلك نحو قولهم: «كُشكار» بدل «خُشْكار» للخبز(١).

ẖuškār > kuškār

وهو إبدال تقرّه القوانين الصوتية؛ لأنّ كلا الصوتين أقصى حنكي، وتختلف الخاء عن الكاف في كيفية نطق كلّ منهما، وفي أنّ الخاء احتكاكيّة والكاف وقفيّة(٢). وربما حدث هذا الإبدال لغاية تيسير النطق، إذ إنّ الأصوات الوقفية أسهل من الرخوة -كما سبق- وكلمة «خُشْكار» أصلها غير عربي؛ لذا لوحظ أنّ إبدالها ظهر في بعض البلاد التي دخلها العرب واستوطنوها كمالطا(٣).

---

(١) تثقيف اللسان/٩٤ والمدخل إلى تقويم اللسان/١٢٣.

(٢) علم اللغة/١٦٦.

(٣) في صوتيات العربية/١٠٤.

رابعاً- تطوّر الصوت المركب ǧ

تقرر الدراسات اللغوية التاريخية أنّ صوت الجيم المعطش المركّب(ǧ) صوت متطوّر عن الجيم الخالية من التعطيش (g) ، التي يعتقد أنّها النطق الأصليّ لهذا الصوت في السامية الأم(١). وتتكون الجيم الخالية من التعطيش (g) بأن يرتفع أقصى اللسان حتى يلتقي بأقصى الحنك الأعلى (الحنك اللين)، الذي يُرفع هو الآخر ليمنع مرور الهواء إلى الأنف(٢). والجيم الخالية من التعطيش (g) صوت ساميّ، شائع في معظم اللغات السامية، وقد حافظت عليه معظمها كالأكادية والأوجاريتية والآرامية والعبريّة، والعربية الجنوبية القديمة. أما الحبشية فينطق فيها باستدارة الشفتين أي (gw) نحو (gwamal) تأثّراً باللغات الكوشيّة. وفي العربية الشمالية تعرّض لتطوّر مطلق(٣).

وقبل عرض هذا التطور، لا بدّ من ذكر الأدلة التي تؤيد النطق الأصيل له فيها (g) ، وهذه الأدلة هي(٤).

١- خلوّ اللغات الساميّة المعروفة من صوت الجيم المركب (المعطّش) (ǧ) ما عدا العربية، فالجيم فيها جميعها دون تعطيش، أي كالجيم القاهرية (g) ، وكلمة «جمل» مثلاً في العبرية : gāmal، في الآرامية : gamlā، وفي الحبشية: gamal ، وفي الأكاديّة gammlu

٢- وجود أنماط لغويّة حفظتها كتب التراث، تسجّل النطق الأصيل للجيم (g) ومن ذلك قراءة عبدالله بن مسعود: «حتى يَلِجَ الجملُ في سَمِّ الخياط» دون تعطيش الجيم.

٣- استمرار هذا النطق (g) في بعض اللهجات العربية الحديثة كلهجة القاهرة وعُمان

---

(١) فقه اللغات السامية/٤٨ والتطوّر اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه/١٨، ٩٢، ومعالم جديدة للمنهج المقارن بين اللغات السامية/٦٥-٦٦.

(٢) علم اللغة/١٥٦.

(٣) المدخل إلى علم الأصوات/١٣٩-١٤٢.

(٤) السابق/١٤٢ والنظام اللغوي للهجة الصفاوية/٦٧.

وأجزاء من اليمن وسيف البحرين.

ويرى بيرجشتراسر أن نطق الجيم العتيقة قريب من نطق المصريين الحالي لها، أي دون تعطيش، «ولكنها لم تكن مثل الجيم المصريّة بعينها؛ لأن مخرج الجيم المصرية، هو مخرج الكاف، ومخرج الجيم العتيقة... هو مخرج الشين والياء»(١).

أمّا التطوّر المطلق الذي تعرّضت له الجيم الخالية من التعطيش (g) في العربية فهو انتقال مخرجها من أقصى الحنك إلى وسطه، فأصبحت تنطق من شجر الفم(٢). وتحوّل الصوت من صوت بسيط إلى مركب (مزدوج)، وقد حدث ذلك في بداية الأمر للجيم المكسورة فقط، تبعاً لقانون الأصوات الحنكيّة، الذي ينص على أنّ أصوات أقصى الحنك تميل إلى ما يناظرها من الأصوات الأمامية حين تليها في النطق حركة أمامية كالكسرة، تجتذبها إلى الأمام قليلاً؛ فتنقلب إلى نظائرها من أصوات وسط الحنك، وغالباً ما تكون هذه الأصوات الجديدة من النوع المركب (المزدوج)، الذي يجمع بين الشدة والرخاوة(٣).

ثم عمّم القياس ذلك على كل جيم مهما كانت حركتها، طرداً للباب على وتيرة واحدة، وقد حدث ذلك في العربية القديمة، في العصور السابقة لظهور الإسلام، فصار النطق المميز للفصحى، ثم جاء به القرآن الكريم(٤).

ومع هذا التطوّر بقي النطق القديم في بعض اللهجات العربية القديمة، وفي بعض اللهجات الحديثة كلهجة القاهريين(٥).

والصوت الناشىء عن تطور الجيم القاهرية(g) هو الصوت المركّب الوحيد في اللغة العربية الفصحى، وهو يتكوّن من اندماج صوتين: أوّلهما وقفيّ وهو الدال (d)، وثانيهما

---

(١) التطوّر النحوي/١٧.

(٢) شرح المفصل: ١٠/١٢٤ والتطوّر النحوي/١٢.

(٣) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه/١٨، ٩٢-٩٣.

(٤) السابق/٩٢- ٩٣.

(٥) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه/٩٣

احتكاكيّ وهو الشين، وتكتسب الشين صفة الجهر؛ لاندماجها مع الدال المجهورة ، والشين المجهورة هي الجيم الشامية المعطشة، وبهذا يبدأ نطق الجيم المركبة بالدال الوقفية وينتهي بالشين المجهورة الرخوة(١).

وتحدث الجيم المركبة بأن ترتفع اللهاة لتغلق التجويف الأنفي، فيرتفع الهواء الخارج من الرئة كلّه إلى الفم، فيُحْصَر لبرهة وجيزة لغلق مجراه بارتفاع مقدّم اللسان إلى الجزء الخلفي من اللثة العليا، ثم يتحرك مقدم اللسان قليلاً إلى الوراء، فينفذ الهواء ببطء، مما يتسبب في حدوث شيء من الاحتكاك، ويتذبذب الوتران الصوتيان معه(٢).

وبهذا يوصف صوت الجيم المركب بأنه لثويّ حنكيّ، مجهور مركّب مرقق.

وعلى وفق ما سبق يوصف هذا الصوت الفصيح المركب بأنه صعب، وتكمن صعوبته في تركيبه من صوتين، الأمر الذي جعله أيضاً، غيرَ مرغوب فيه مقارنةً مع سواه(٣)؛ لذلك تعرّض إلى تغييرات تاريخية، أبرزُها:

أ- انحلاله إلى أحد عنصريه المكوّنين له.

ب- إبداله صوتاً من الأصوات الآتية:

١- الياء.

٢- الكاف.

٣- القاف.

---

(١) مناهج البحث في اللغة/١١٣، ١٣١-١٣٢ والأصوات اللغوية، محمد الخولي/٩٥.

(2) O'connor, J. D. "Better English Pronounciation, 1984, P. 47.

وانظر: في صوتيات العربية/١١١ ودراسة الصوت اللغوي/٩٩.

(٣) الأصوات اللغوية، محمد الخولي/١٢٦.

أ- انحلاله إلى أحد عنصريه المكوّنين له:

١- انحلاله إلى الدال:

انحلّ صوت الجيم المركب إلى الدال منذ وقت مبكر في بعض اللهجات العربية، فوردَ قول العامة:

- «دَشيش» بدل «جشيش»، لما يُطْحن من البُرّ غليظاً(١).

ğašīšun > dašīšun

وقد جاءَ في اللسان أنَّ الدَّشِيشَة لغة في الجَشِيشَة(٢)، وهذا يعني أنَّ استعمال العامة هذه الكلمة بالدال من فصيح اللغة.

- «تَدَشَّيْتُ» بدل «تَجَشَّأْت»(٣).

tağašša>tu > tadašša>tu

وقد استمرّت العامة حتى يومنا هذا تستخدم «دَشَّيتُ الطفلَ» بدل جَشَّأته.

وامتد بذلك هذا الانحلال إلى بعض اللهجات العربية الحديثة كلهجة بعض أهالي الصعيد في مصر، فيُسمّي أهالي مدينة (جرجا) مدينتهم مثلاً بـ «دردا»، ويقولون في «جمل» و «جاموسة» «دمل» و«داموسة»(٤).

ونجده أيضاً في بعض اللهجات المغربية، فيقولون مثلاً في «جزّار» «دزّار» وفي «جبس» «دبس» ، ونجده في سوريا والعراق، إذْ يقولون مثلاً: «دَشَّرْ» بمعنى تَرَكَ، وهي من الفصيح «جشَّر» بمعنى أفرغَ الإناء(٥).

---

(١) لحن العامة/٤٧ وتثقيف اللسان/٩٢ وتصحيح التصحيف/٢٦٠.

(٢) لسان العرب (دشش) ٦/٣٠٢، (جشش) ٦/٢٧٢-٢٧٤.

(٣) تثقيف اللسان/١١٤، والتَّجَشُّؤ: تنفس المَعِدة عند الامتلاء، لسان العرب (جشأ)١/٤٨.

(٤) التطوّر اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه/١٩.

(٥) دروس في علم أصوات العربية/٩٥-٩٦.

٢- انحلاله إلى الشين المجهورة:

انحلّ صوت الجيم المركب إلى عنصره الثـــاني أيضاً، وهو الشين المجـــهورة، وربما كان صوت الشين المجهور هو الصوت الذي أشـــار إليه سيبـــويه واصفاً إياه بالجيـــم التي كالشين، وهو من الأصوات غير المستحسنة في لغـــة من ترتـــضى عربيته(١).

وانحلال صوت الجيم إليه أقدم من انحلاله إلى الدال، وقد فقدت هذه الشين صفة الجهر، فصارت مهموسة(٢)، وظهر ذلك في قول تميم: «شرٌّ ما أشاءَكَ إلى مُخَّة عُرقوب» بدل «أجَاءَكَ» بمعنى «ألجَأك»(٣). وظهر في قول الراجز:

إذْ ذاكَ إذْ حبلُ الوصالِ مُدْمِشِ(٤)

أي «مُدْمِج».

ومن الأمثلة على هذا الانحلال في كتب لحن العامة ما يأتي:

- «اشْتَرَّت» الماشية، بدل «اجْتَرَّت»(٥).

>iğtarrat > >ištarrat

- «اشْتَرَأ» عليّ فلان، بدل «اجْتَرَأ» بمعنى تَجرَّأ(٦).

>iğtara>a > >ištara>a

- فلانٌ «مُشْتَهِدٌ» في حاجتك، بدل «مُجْتَهِد»(٧).

muğtahidun > muštahidun

---

(١) الكتاب: ٤/٤٣٢.
(٢) لحن العامة والتطوّر اللغوي/٣١٥.
(٣) الصحاح (شيأ) ١/٥٩ ولسان العرب (جيأ) ١/٥٢.
(٤) سر صناعة الإعراب: ١/٢٠٥.
(٥) تثقيف اللسان/٩٢.
(٦) المدخل إلى تقويم اللسان/١٩٧.
(٧) تثقيف اللسان/٩٢ وتصحيح التصحيف/٤٨٣.

وقد فُسرَ تطوّر «اجْتَرَّت» و «مُجْتَهِد»، أثناء الحديث عن المماثلة المدبرة الجزئية المتصلة، وعلى ضَوْء هذا التفسير يُفسَّرُ تطوّر «مجتهد» أيضاً(١).

وإذنْ، يمكن القول إن الإبدال هنا كان في بداية الأمر تركيبياً خاضعاً للسياق، ثم صار تاريخياً مع مرور الأيام.

وقد امتدّت ظاهرة انحلال الجيم المركبة إلى الشين المجهورة، التي فَقَدَتْ بدورها صفة الجهر، إلى بعض اللهجات العربية المعاصرة، كلهجة العامية المصرية، ومن ذلك قولهم «وِش» في وجه، و «فَشَرْ» من الفَشَر والكَذِب أي من (فَجَرَ) بمعنى كذب(٢)، وغير ذلك. وكلهجة بعض أهالي الكرك في جنوب الأردن، ومن ذلك قولهم أيضا، اشترّت ومُشْتهِد واشتماع، بدلاًمن: اجْتَرَّت ومُجْتَهِد واجْتِماع(٣).

وامتدت هذه الظاهرة أيضاً، إلى لهجة معظم أهالي الشام، وبعض بلاد المغرب؛ لهذا سُمِّيت هذه الجيم -بهذا النطق- «الجيم الشاميّة»(٤).

أمّا نطق الشين كالجيم فهو غير مُسْتَهْجَن عند سيبويه، إذْ عدّه من لغة أهل الحجاز، وجعله من الحروف الفروع في العربية(٥). وقد ظهر مثل هذا النطق في لغة الكلام عند بعض المصريين، نحو قولهم: «مَشْغُول» بشين مجهورة(٦) ويُعَدُّ نطق الشين في (مشغول) بشكل مجهور، من قبيل المماثلة أو التقريب الصوتي، إذْ إنّ الشين مهموسة والغين مجهورة، فتبدل الشين إلى نظيرها المجهور (الشين المجهورة) لتماثل الغين في جهرها.

---

(١) لهجة الكرك/ ٦٩-٧٠.

(٢) لحن العامة والتطور اللغوي/٢١٥.

(٣) لهجة الكرك/٦٩.

(٤) دروس في علم أصوات العربية/٩٢ ومناهج البحث في اللغة/١٢٩ والتطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه/١٩.

(٥) الكتاب: ٤/٤٣٢.

(٦) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس/٦٥.

ب- إبدال صوت الجيم:

١- إبداله ياء:

تطوّر نطق الجيم الفصيحة (ǧ) المركبة إلى ياء، وهو تطوّر تقرّه القوانين الصوتية؛ لأنّهما من مخرج واحد، وهو «وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى»(١)، فأقرب الحروف من الياء الجيم(٢).

ظهر هذا التطوّر في اللهجات العربية القديمة، فروي قول بعضهم «شِيَرة» للشجرة، وعلى ذلك أنشدت أم الهيثم:

إذا لم يكنْ فيكُنَّ ظِلٌّ ولا جنى   فأبْعَدَكُنَّ اللهُ من شِيرَات

أي شجرات(٣).

وظهر في لهجة تميم، فقالوا: «الصَّهْرِيّ والصهاريّ» بدل «الصهريج» «والصهاريج» لما يجتمع فيه الماء(٤). ثم امتد هذا النطق لهذه الكلمة إلى اللهجات العامية فيما بعد(٥). ومن ذلك ما ذكره الصفدي من أنّ العامة تقول للمَسْجِد: «مَسْيِد» ثمّ قال: «وهو جائز حكاه غير واحد»(٦).

ثم امتدّ نطق الجيم ياءً إلى بعض اللهجات العربية المعاصرة، كما في نطق قبائل شمال الجزيرة العربية، والبادية السورية، وقرى جنوب العراق، إذ يقولون في دجاج: دياي، وفي جَبْهَة: يَبْهَة، وفي مسجد: مَسْيِد(٧).

---

(١) الكتاب: ٤٣٣/٤.

(٢) المقتضب: ١٩٣/١.

(٣) لسان العرب (شجر) ٣٩٤/٤ وانظر: التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه/٢٠.

(٤) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه/٢٠.

(٥) انظر: سهم الألحاظ في وهم الألفاظ/٣٠.

(٦) المدخل إلى تقويم اللسان/٧٤ وتصحيح التصحيف/٤٧٨.

(٧) دروس في علم أصوات العربية/٩١ وفي صوتيات العربية/١١٢.

٢- إبداله كافاً:

وردَ في كتب اللغة أمثلة تظهر تعاقب هذين الصوتين منها: مرٌّ يرتجُ ويرتكّ إذا تَرَجْرَج، وأخذه سَجٌّ في بطنه وسَكّ: إذا لان بَطْنه، وريحٌ سَيْهُوج وسَيْهُوك: شديدة(١).

وظهر في كتب لحن العامة أنَّ الجيم قد تُبْدَل كافاً، ومن أمثلة ذلك ما يأتي:

- «الكُبُولَة» بدل «الجَبُولاء»(٢).

(>)alğabūlā>u > (>)alkubūlah

حيث تعرّضت الكلمة لمماثلة بين الحركات، فأُبْدِلَتْ فتحة الجيم ضمّة. وأبدل فيها أيضاً صوت الجيم فصار كافاً ، ووحّدت علامات التأنيث فأبدلت الألف الممدودة تاءً مربوطة، فتكوّنت البنية العامية «الكُبُولة».

- «الكُدْكُد» بدل «الجُدْجُد» لِلْبَثْرَةُ ا لتي تخرج من جوف العين(٣).

(>)alğudğudu > (>)alkudkudu

- «الكُدَّاد» بدل «الجُدَّاد» للخيوط المُعَقَّدة(٤).

(>)alğuddādu > (>)alkuddādu

وهي بالكاف نبطيّة الأصل(٥).

- فلان «يُكَدِّفُ» بدل «يُجَدِّفُ»، إذا تأفَّف(٦).

yuğaddifu > yukaddifu

---

(١) المزهر: ١/٤٦٥.

(٢) تقويم اللسان/٩٢ وهي القصيدة، لسان العرب (جبل) ١١/٩٩.

(٣) السابق/٩٢ وتصحيح التصحيف/ ٤٣٧-٤٣٨.

(٤) تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة/٣٣.

(٥) لسان العرب (جدجد) ٣/١١٤.

(٦) تقويم اللسان/٩٢ وتصحيح التصحيف/٤٣٨.

- «دَسْتَك» بدل «دَسْتَج» للذي يُدَقُّ به(١).

dastağu > dastaku

- «الشَّهْدانَك» بدل «الشَّهْدانَج»(٢).

(>)aššahdānağ > (>)aššahdānak

- «السُّوبَك» بدل"الصُّوبَجَ" للمرقاق(٣).

(>)aṣṣūbağu > (>)assūbaku

- «المَرْزَنكوُش» بدل «المَرْزَنْجُوش»(٤).

(>)almarzanğūšu > (>)almarzankūšu

وهذا الإبدال تقرّه القوانين الصوتية؛ لأنّ الجيم والكاف من مخرج واحد، وهو الغار (الحنك اللين)، والكاف أسهل نطقاً من الجيم المركبة، والعامة تميل في نطقها إلى ما هو أسهل.

٣- إبدال الجيم قافاً:

ظهر في كتب اللغة أمثلة على تناوب الجيم والقاف منها: حبقَ وحبجَ بمعنى ضَرَبَ، وبائقة وبائِجَة للداهية، وزلّقت الموضوع وزلّجْتُهُ أي ملّسته(٥). وظهرأيضاً إبدال الجيم قافاً في كتب لحن العامة ومن أمثلة ذلك:

---

(١) تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة/٣١.

(٢) تقويم اللسان/١٢٦ وهو نبْتٌ ، لسان العرب (شهدانج) ٢/ ٣١٠.

(٣) تقويم اللسان/١٢٩.

(٤) تصحيح التصحيف/٤٧٣، وهو نَبْتٌ، لسان العرب (مرزجش) ٦/ ٣٤٦.

(٥) الإبدال: ١/ ٢٣٩-٢٤٥.

- «قِلْفاط» بدل «جِلْفَاط»(١).

ğilfāṭ > ḳilfāṭ

- «مِقْذَاف» بدل «مِجْداف»(٢)

miğdāfun > miḳdāfun

وقد وردت في لسان العرب بالقاف والذال (مِقْذاف) على لسان بعضهم(٣).

وهذا الإبدال تقرّه القوانين الصوتية أيضاً، فالجيم والقاف من مخرجين متقاربين: الأول من الغار، والثاني من اللهاة(٤). كما أنّ صوت القاف أسهل نطقاً من صوت الجيم المركب. وربما حدث الإبدال بين الجيم الخالية من التعطيش والقاف المجهورة التي وصفها سيبويه، وهي القاف التميميّة، إذْ إن الفرق بينهما في السماع لا يكاد يُذْكرُ.

وظهر في المقابل أيضاً إبدال القاف جيماً، ومن ذلك قول العامة:

- «جِرْجِس» بدل «قِرْقِس»(٥).

ḳirḳisun > ǧirğisun

وقد وردَ في اللسان أنّ القِرْقِس الذي يقال له الجِرْجِس شِبه البَقّ(٦). وهذا يعني أنها لا تُعَدّ من لحن العامة.

---

(١) تثقيف اللسان/٩٢ وورد في كتاب «المدخل إلى تقويم اللسان/١٢٣» أن العامة تنطقها بالكاف والجِلْفاط هو الذي يسدّ دروز السفينة الجديدة بالخيوط والخِرَق وجَلْفَطَهُ الجلفاط إذا سوّاه وقيّره، لسان العرب (جلفط) ٢٦٩/٧.

(٢) تصحيح التصحيف/٤٩١.

(٣) لسان العرب (جدف) ٢٣/٩، وهو خشبة في رأسها لوح عريض تُدْفَع بها السفينة.

(٤) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي/٥٠-٥١، ٥٤.

(٥) تصحيح التصحيف/٢١٣.

(٦) لسان العرب (قرقس) ١٧٢/٦.

- «الفالُوذَج» بدل «القَالُوذَق» والقَالُوذ(١).

(>)alfālūḏaḳu > (>)alfālūḏağu

ويلاحظ على هذه الكلمات التي أُبْدل فيها صوت الجيم كافاً أو قافاً أنّ معظمَها معرّب عن الفارسية، وسبب الخلاف فيها، هو نطق صوت الجيم، وبالتالي كتابته في هذه الكلمات؛ لأنّ الفُرْسَ لا تنطق الجيم المركبة، وإنما تنطقها جيماً خالية من التعطيش، أي كالجيم القاهرية، والجيم القاهرية ليس لها رمز خاصٌّ بها في العربية؛ لذلك ربّما رمزوا لها بالكاف في كلمات، وربّما رمزوا لها بالجيم في كلمات أخرى أو بالقاف. وتعريب هذه الكلمات المحتوية على الجيم القاهرية يعتمد على قواعد وضعها العرب، وحاولوا التزامها. وقد أوضح ذلك عبدالعزيز مطر في كتابه «لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة»(٢).

(١) تصحيح التصحيف/٣٩٩، والفالُوذ: حلواء تُعمل من الدقيق والماء والعسل وهي أطيب الحلاوات عند العرب... وفيها لغات: الفالُوذ والفالوذَج والفالوذق وهي معرّبة عن پالودة، معجم الألفاظ الفارسية المعرّبة/١٢٠-١٢١، وعليه فالفالوذج ليست من لحن العامة.

(٢) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة/٢٣٥-٢٣٧.

الخاتمة

بعد دراسة براجماتية اللغة وبيان دورها في تشكيل بنية الكلمة العربية من خلال كتب لحن العامة، نخرج بالنتائج الآتية :

١- ظهر في كتب لحن العامة أثر التوجّه البراجماتي (الذرائعي) للتطور اللغوي في اللغة العربية، إذْ تتحرّك اللغة وتتطوّر وفقاً للمعايير البراجماتية التي تحقق في النهاية الهدف الرئيس من اللغة، وهو التواصل الاجتماعي ٠

٢- من أبرز مظاهر البراجماتية الواردة في كتب لحن العامة: قضايا التوافق الصوتي المختلفة (المماثلة بانواعها المختلفة) وقضايا صوتية تمتّ بسبب إلى هذا الأمر مثل تسكين المتحرك وتحريك الساكن، وقضايا الهمز، وقانون السهولة والتيسير٠

٣- ساهمت تلك المظاهر في إنشاء أبنية جديدة في الكلام المنطوق المتداول، فأثْرَتْ بذلك المعجم اللغوي، حيث إن التسبب في توليد هذه الكلمات الجديدة سيجعل منها أنماطاً لغوية تُسْتَعْمَلُ جنباً إلى جنب مع النمط الأصلي ٠

٤- تحدث مظاهر البراجماتية المختلفة بصورة تلقائية لا إراديّة من الناطقين بغية التواصل الاجتماعي، بطريقة لا تجهد أجهزتهم الصوتية ٠

٥- يعمل قانون المماثلة الصوتية في اللغة المنطوقة، كما يعمل في اللغة الفصيحة، فيؤدي إلى تطوّرات صوتية ملموسة في الواقع الاستعمالي بغية الانسجام والتوافق الصوتي، الذي تسعى إليه الطبيعة البشرية بشكل واضح وكبير، وقد يحدث هذا القانون بين الصوامت وبين الصوائت وبين الصوامت والصوائت ٠

٦- كما يظهر نزوع الناطق إلى المماثلة بين صوتين مختلفين، يظهر أيضاً في المقابل نزوعه إلى المخالفة بين صوتين متماثلين؛ ولهذا يعمل قانون المخالفة الصوتية ضد

قانون المماثلة، للتخلّص مما أُطلِقَ عليه « توالي الأمثال»إذْ تكره العربية توالي المتماثلات؛ بسبب الجهد الكبير المبذول في نطق الصوت أكثر من مرة .

٧- لا بدّ أن يبدأ المقطع العربي بصامت يليه صائت، وهذا يعني أنه لا يمكن أن يبدأ بحركةٍ، ولا يمكن أن يبدأ بصامتين متواليين.

٨- تكره العربية تتابع المقاطع الثنائية المفتوحة؛ لأنها تؤدي إلى صعوبة النطق، وجَعْلِهِ ثقيلاً على اللسان، مما يؤدي بدوره إلى إضعاف النظام المقطعي؛ لهذا تخلّص الناطق مما تكره العربية عن طريق إغلاق بعض هذه المقاطع بالتشديد نحو خُرَّافة بدلاً من خُرافة، أو عن طريق إشباع الحركة نحو : عَرْعار بدلاً من عَرْعَر .

٩- لا يقبل المقطع الطويل المغلق بصامت (ص ح ط ص) في العربية إلاّ في حالتين الأولى : الوقف عليه في آخر الكلام، والثانية : أن يكون حدّ الإغلاق فيه حدّ ابتداء في المقطع الذي يأتي بعده، ولذا فإنّ أكثر ما تتحرّك اللغة في أمره يكون باتجاه تغييره وتبديله والتخلّص منه، فعلى الرغم من قبول هذا المقطع (ص ح ط ص) في حال توافر أحد الشرطين السابقين، فإنه مقطع مستثقل مكروه في اللغة العربية؛ لهذا تسعى اللغة إلى التخلّص منه، وقد ظهر في كتب لحن العامة أنّ الناطقين تخلّصوا من هذا المقطع بطرق شتى منها :

أ- اختزال المشدّد أو تخفيفه نحو : احمارَ بدلاً من : احْمَارَّ .

ب- اختزال الحركة، ليتحوّل هذا المقطع إلى مقطع قصير مغلق بصامت (ص ح ق ص)، وذلك نحو : بَرَشْتق بدلاً من بَرَاشتق .

ج- فكّ التضعيف، نحو سارَرَ بدلاً من سارَّ .

١٠- ومع أنّ الناطق يميل إلى التخلّص من هذه الظواهر المقطعيّة الصعبة والمكروهة في العربية، إلا أننا نجده يعمد إليها في بعض الأحيان فيقصّر حركة المقطع الطويل

المفتوح، فيكوّن بذلك مقطعاً ثنائياً قصيراً (ص ح ق) نحو قوله : سَنَم البعير بدلاً من سنامه، ويكوّن المقطع الطويل المغلق بصامت نحو قوله : حامّة بدلاً من حَمَّة .

١١- الحركات المزدوجة الصاعدة والهابطة من الأوضاع الصوتية غير المحببة في اللغة العربية؛ لأنها تكلّف جهاز النطق جهداً كبيراً في أثناء النطق بها .

١٢- تخلّص الناطق من الحركات المزدوجة بطرق شتى منها الإمالة نحو قوله جُورب بدلاً من: جَوْرَب، والعِيش بدلاً من : العَيْش، وهذا ميل عام من اللغة نحو هذه الظاهرة، ويدل على ذلك كثرة الأمثلة المتعرّضة لها .

١٣- قد تتطوّر الحركة الممالة الناجمة عن انكماش الحركة المزدوجة إلى الفتح الخالص نحو قولهم : وَالَك بدلاً من وَيْلَكَ .

١٤- قد يفرّ الناطق من الحركة المزدوجة الواويّة إلى الحركة المزدوجة اليائية نحو قوله أصَيْت بدلاً من : أَصْوَت. وقد يفرّ من الحركة المزدوجة اليائية إلى الحركة المزدوجة الواوية على الرغم من صعوبة الواويّة مقارنةً مع اليائية، نحو قوله : كُلْوَة بدلاً من كُلْيَة.

١٥- قد يلجأ الناطق في سبيل التخلصّ من الحركة المزدوجة إلى القلب المكاني نحو قوله: الصَّلْوَجَان بدلاً من الصَّوْلَجَان .

١٦- على الرغم من ميل الناطق إلى التخلص من الحركة المزدوجة، نجده يلجأ إليها أحياناً، فيقول: حُمَيْض بدلاً من حُمَّاض .

١٧- لا يحدث الإبدال الصوتي بين الصامتين، إلاّ إذا كان بينهما قرب في المخرج أو اشتراك في بعض الصفات الصوتية .

١٨- يبدل الناطق بعض أصواته أصواتاً أخرى غالباً ما تكون أسهل نطقاً من هذه

الأصوات الأولى، ولكنّه ينطق أحياناً أخرى مكان الصوت السهل صوتاً صعباً آخر كنطقه الثاء مكان التاء .

١٩- تكره العربية توالي الأمثال، كما تكره أيضاً توالي الحركات؛ لهذا يلجأ الناطق إلى تسكين المتحرك كقوله نُعْرة بدلاً من : نُعَرَة .

٢٠- على الرغم من ميل الناطق العام لتخفيف الكلمة بتسكين المتحرّك فيها، فإنه يحرّك الساكن في بعض الألفاظ فيزيد الكلمة ثقلاً، نحو قوله : بَكَرَة بدلاً من بَكْرَة .

٢١- صوت الهمزة صوت صعب جداً؛ لأن آلية نطقه تقتضي من المتكلم جهداً أكبر من أي جهدٍ يبذله في نطق الأصوات الأخرى .

٢٢- وبسبب صعوبه الهمزة تعرّضت للإبدال إلى ما هو أسهل منها كإبدالها عيناً أو هاءً. وعلى الرغم من ميل الناطق لهذا الإبدال نجده أيضاً في المقابل يبدل العين همزة والهاء همزة .

٢٣- وبسبب هذه الصعوبة يميل الناطق وبشكل واضح ملموس إلى حذف الهمزة والتعويض عنها بمطل الحركة،كقوله جُونة بدلاً من جُؤْنة، أو بانزلاق شبه الحركة نحو قوله واكَلْتُ بدلاً من آكلْتُ، أو عن طريق التشديد كقوله : هادّة بدلاً من هَادِئة .

٢٤- قد يَحْذِف الناطق هذه الهمزة دون أن يعوّضَ مكانها، وقد تتعرض الهمزة في أول الكلمة لهذا الحذف، كقوله سِنان بدلاً من أسنان، وقد تحذف من وسط الكلمة كقول : مَشُوم بدلاً من مَشْؤوم، وقد تحذف من الآخر كالحنّا بدلاً من الحِنَّاء .

٢٥- على الرغم من ميل الناطق العام نحو التخلص من هذه الهمزة فإنه يقحمها في بعض الألفاظ للتخلص من المقطع الرابع الطويل المغلق بصامت، أو للتخلص من الحركة المزدوجة، وهو بذلك يتخلص من مظهر صوتي صعب ويحل محلّه مظهراً صوتياً صعباً آخر .

٢٦- قد تُقْحَم الهمزة تعويضاً عن الحركة الطويلة التي تتعرّض للتقصير •

٢٧- وقد تقحم توهماً في أوّل الكلمة أو في آخرها •

٢٨- يتدخل بشكل كبير قانون الاقتصاد اللغوي، فيؤثر في أصوات اللغة مسبباً تطوّر الأصوات بين الأسنانية إلى أصوات وراء أسنانية، وتطوّر الأصوات المفخمة إلى أصوات مرققة، والأصوات الحلقية إلى أخرى أسهل منها •

٩٢- ليس قانون السهولة والتيسير (الاقتصاد اللغوي) هو العامل الوحيد في تطوّر الأصوات، بل يحدث التطوّر نتيجة عوامل أو قوانين عديدة مجتمعة، منها : قانون جرامونت وقانون التردد النسبي وعامل السرعة، وغير ذلك •

٣٠- يتدخل قانون المبالغة في التصويب أو الحذلقة أو التفصّح، فيؤثر أحياناً في اللغة، فتبدل التاء ثاءً مثلاً أو سيناً، وتبدل الدال ذالاً أو زاياً •

٣١- يتدخل قانون التمدّن أيضاً، فيبدل الثاء تاءً أو سيناً والذال دالاً أو زاياً •

٣٢- تقرّ الدراسات اللغوية التاريخية أن صوت الجيم المعطش المركب (ǧ) صوت متطوّر عن الجيم الخالية من التعطيش (g)، التي يُعْتَقَدُ أنها النطق الأصلي لهذا الصوت في السامية الأم• وتعرِض هذه الدراسات أدلتها على صحة هذا الرأي •

٣٣- يتدخل قانون الأصوات الحنكيّة فيؤدي إلى نشوء أصوات مركبة، كما في صوت الجيم العربية المعطّشة(ǧ) المتطوّرة عن الجيم السامية القديمة (g) كما ذكر سابقاً•

٣٤- يتدخل قانون آخر يسير بعكس اتجاه قانون الأصوات الحنكيّة، وهو قانون انحلال الصوت المركب الذي يؤدي مثلاً إلى تفكيك الجيم العربية المركبة (ǧ) إلى مكوناتها الأصلية الدال والشين المتحولة عن الشين المجهورة •

ثبت المصادر والمراجع

أولاً: العربية:

* القرآن الكريم .

١- الإبدال، أبو الطيب اللغوي الحلبي (ت٣٥١هـ)، تحقيق وشرح عزالدين التنوخي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٦١م .

٢- أثر الحركة المزدوجة في بنية الكلمة العربية، دراسة لغوية، عبدالله محمد الكناعنة، وزارة الثقافة، عمان-الأردن، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م .

٣- أثر القوانين الصّوتية في بناء الكلمة العربية، فوزي حسن الشايب، رسالة دكتوراه، جامعة عين شمس، ١٩٨٣م .

٤- أثر المقطع المرفوض في بنية الكلمة العربية، يحيى عبابنة، أبحاث اليرموك، سلسلة الآداب واللغويات، المجلد الحادي عشر، العدد الثاني ، ١٩٩٣م .

٥- أدب الكاتب، ابن قتيبة الدينوري(ت٢٧٦هـ)، تحقيق وشرح محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة-مصر، الطبعة الرابعة، ١٩٦٣م .

٦- أسس علم اللغة، ماريوباي، ترجمة وتعليق أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٧م .

٧- إصلاح المنطق، ابن السّكّيت (ت٢٤٤هـ)، شرح وتحقيق أحمد محمد شاكر وعبدالسلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة (د.ت) .

٨- أصوات اللغة، عبدالرحمن أيوب، مكتبة الشباب، القاهرة.(د.ت) .

٩- الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٦١م.

١٠- الأصوات اللغوية، محمد الخولي، مكتبة الخريجي، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م ٠

١١- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني(ت٣٥٦هـ)، تحقيق عبدالستار أحمد فرّاج، الدار التونسيّة، تونس، ١٩٨٣م٠

١٢- الإنصاف في مسائل الخلاف، أبو البركات الأنباري (ت٥٧٧هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الفكر، بيروت (د٠ت) ٠

١٣- البنية الصوتية للكلمة العربية، عبدالقادر جديدي، تونس، ١٩٨٥م.

١٤- البنية المقطعيّة في اللغة العربية، عصام أبو سويلم، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، المجلد الحادي عشر، العدد الثالث والثلاثون ١٩٨٧م ٠

١٥- تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، ابن مكي الصقلي (ت٥٠١هـ)، تحقيق عبدالعزيزمطر، دار المعارف، القاهرة (د٠ت) ٠

١٦- تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق وتعليق السيد الشرقاوي، مراجعة رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م ٠

١٧- التطوّر اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض(د.ت) ٠

١٨- التطوّر النحوي للغة العربية، بيرجشتراسر، ترجمة رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض، ١٩٨٢م٠

١٩- تعاقب الحركات القصيرة وحذفها في اللغة العربية قديماً، حمزة المزيني، أبحاث اليرموك «سلسلة الآداب واللغويات» ، المجلد الثالث عشر، العدد الثاني، ١٩٩٥م٠

٢٠- تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت٧٥٤هـ)،

دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م.

٢١- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٥م .

٢٢- تقويم اللسان، أبو الفرج عبدالرحمن بن الجَوْزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق عبدالعزيز مطر، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية (د.ت) .

٢٣- تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة «في ذيل كتاب المعرّب من الكلام الأعجمي»، أبو منصور الجواليقي (ت ٥٤٠ هـ)، تحقيق عزالدين التنوخي (د.ت).

٢٤- التنبيه على غلط الجاهل والنبيه، ابن كمال باشا (ت ٩٤٠هـ)، ضبط وتحقيق محمد سواعي، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٩٤م .

٢٥- حجّة القراءات، أبو زرعة عبدالرحمن بن زنجلة، تحقيق وتعليق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٢م .

٢٦- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبدالقادر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى (د.ت) .

٢٧- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) ، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مركز تحقيق التراث، الطبعة الثالثة ١٩٨٨م .

٢٨- خير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام، ابن بالي القسطنطيني (ت ٩٩٢هـ) ، تحقيق حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م .

٢٩- دراسات في علم اللغة، كمال محمد بشر، دار المعارف، مصر، ١٩٦٩م .

٣٠- دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن، صلاح الدين حسنين، دار العلوم، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م .

٣١- دراسات في اللغتين السريانية والعربية، ابراهيم السامرائي، دار الجيل، بيروت،

الطبعة الأولى، ١٩٨٥م ٠

٣٢- دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧٦م٠

٣٣- دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينو، ترجمة صالح القرمادي، تونس، ١٩٦٦م٠

٣٤- ديوان البحتري، شرح وتقديم حنّا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م ٠

٣٥- ديوان السموأل، تحقيق وشرح عيسى سابا، مكتبة صادر، بيروت (د.ت) ٠

٣٦- دور الحركات المزدوجة في توليد الصيغ، يحيى عبابنة، بحث مطبوع على الآلة الكاتبة(غير منشور) ٠

٣٧- السبعة في القراءات، ابن مجاهد ، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية (د.ت) ٠

٣٨- سرّ صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)، دراسة وتحقيق حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م ٠

٣٩- سهم الألحاظ في وهم الألفاظ، ابن الحنبلي (ت٩٧١هـ)، ضمن كتاب «أربعة كتب في التصحيح اللغوي»، تحقيق حاتم الضامن،عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

٤٠- شاهد القراءات القرآنية عند السيوطي وعلماء اللغة القدامى، يحيى عبابنة، مؤتة للبحوث والدراسات، المجلد الثامن، العدد السادس، ١٩٩٣م ٠

٤١- شرح ديوان لبيد بن ربيعة، تحقيق إحسان عبّاس، مطبعة الكويت،طبعة ثانية مصوَّرة، ١٩٨٤م٠ ٠

٤٢- شرح المفصّل، ابن يعيش (ت٦٤٣) ، عالم الكتب، بيروت (د٠ت) ٠

٤٣- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي (ت ٣٩٥هـ) ، تحقيق وتقديم عمر فاروق الطبّاع مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م ٠

٤٤- الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق أحمد عبدالغفور عطّار، دار العلم للملايين، لبنان، الطبعة الرابعة، ١٩٩٠م ٠

٤٥- الصوتيات، برتيل مالمبرج، ترجمة محمد حلمي هليّل، مطبعة التمدّن المحدودة، الخرطوم، ١٩٨٥م ٠

٤٦- طول الصوت اللغوي: حقيقته ووظيفته، جعفر عبابنة، المجلة الثقافية، الجامعة الأردنية، العددان الرابع عشر والخامس عشر، ١٩٨٨م ٠

٤٧- ظاهرة « بجد كفت» بين العربية واللغات السامية، دراسة مقارنة، اسماعيل عمايرة، مجمع اللغة العربية الأردني، المجلد العاشر، العدد الحادي والثلاثون، ١٩٨٦م٠

٤٨- ظاهرة كراهية توالي الأمثال في العربية، عبدالقادر مرعي الخليل، مؤتة للبحوث والدراسات، المجلد التاسع، العدد الأوّل، ١٩٩٤م ٠

٤٩- العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، يوهان فك، ترجمة رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي بمصر، ١٩٨٠م ٠

٥٠- علماء الأصوات العرب سبقوا اللغويين المحدثين في ابتكار نظرية التماثل، عبدالعزيز مطر، مجلة اللسان العربي، المجلد السابع، الجزء الأول، ١٩٧٠م ٠

٥١- علم الأصوات العام(أصوات اللغة العربية) ، بسام بركه، مركز الإنماء القومي، لبنان (د٠ت) ٠

٥٢- علم الصوتيات، عبدالله ربيع محمود وعبدالعزيز أحمد علاّم، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م .

٥٣- علم اللغة، مقدمة للقارىء العربي، محمود السعران، دار الفكر العربي ١٩٩٢م.

٥٤- علم اللغة الاجتماعي ، هدسون، ترجمة محمود عبدالغني عيّاد، مراجعة وتقديم عبدالأمير الأعسم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م .

٥٥- علم اللغة العام : الأصوات العربية ، كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٨٧م.

٥٦- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ)، تحقيق مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، دار الهجرة، إيران، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

٥٧- فصول في فقه العربية، رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٧م .

٥٨- فقه اللغات الساميّة، كارل بروكلمان، ترجمة رمضان عبدالتواب، منشورات جامعة الرياض، ١٩٧٧م .

٥٩- فقه اللغة وخصائص العربية: دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد، محمد المبارك، دار الفكر الحديث، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٦٤م .

٦٠- في الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المد العربية، غالب فاضل المطلبي، دار الحرية للطباعة، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٨٤م .

٦١- في صوتيات العربية، محيي الدين رمضان، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان (د.ت).

٦٢- في قواعد الساميات، رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م.

٦٣- في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، الطبعة السادسة (د٠ت) ٠

٦٤- القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، عبدالصبور شاهين، مكتبة الخانجي، القاهرة (د٠ت) ٠

٦٥- الكتاب، سيبويه (ت ١٨٠هـ)، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م ٠

٦٦- كلام العرب من قضايا اللغة العربية، حسن ظاظا، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٦م٠

٦٧-لحن العامة، أبو بكر الزُّبَيْدي (ت ٣٧٩هـ)، تحقيق عبدالعزيز مطر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م ٠

٦٨- لحن العامة في ضَوْء الدراسات اللغوية الحديثة، عبدالعزيز مطر، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦م ٠

٦٩- لحن العامّة والتطوّر اللغوي، رمضان عبدالتواب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٧م ٠

٧٠- لسان العرب، ابن منظور (ت٧١١هـ) ، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٤م ٠

٧١- اللغة العربية بين الفصيحة والعامية، عارف النكدي، المجمع العلمي العربي، دمشق، المجلد الثاني والثلاثون، الجزء الأوّل، ١٩٥٧م ٠

٧٢- اللغة العربية (معناها ومبناها)، تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، ١٩٧٩م ٠

٧٣- لهجة الكرك : دراسة وصفيّة تاريخية في الأصوات والأبنية (في جميع المواضع)،

عبدالقادر مرعي الخليل ويحيى عبابنة، منشورات جامعة مؤتة، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م ٠

٧٤- ما تلحن فيه العامّة، أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي (ت ١٨٩هـ)، تحقيق وتقديم رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م ٠

٧٥- ما رأي المجامع والمختصين في مزج الضاد بالظاء ؟! ، محمد شيت صالح الحيّاوي، مجلة اللسان العربي، العدد الواحد والثلاثون، ١٩٨٨م ٠

٧٦- مبادىء علم الأصوات العام، ديفد ابركرومبي، ترجمة وتعليق محمد فتيح، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م ٠

٧٧- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها، ابن جني، تحقيق علي النجدي ناصف وعبدالفتاح شلبي، لجنة إحياء التراث، القاهرة، ١٩٦٩م ٠

٧٨- المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، محمد الأنطاكي، دار الشرق العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧١م٠

٧٩- مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، ابن خالوية (ت٣٧٠هـ)، عُنِيَ بنشره ج. برجشتراسر، دار الهجرة، بيروت (د٠ت)٠

٨٠- المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان، ابن هشام اللخمي (ت ٥٧٧ هـ) دراسة وتحقيق مأمون بن محيي الدّين الجنّان، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م ٠

٨١- المدخل إلى علم الأصوات، دراسة مقارنة، صلاح الدين حسنين، الطبعة الأولى، ١٩٨١م ٠

٨٢- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي،

القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م ٠

٨٣- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي(ت ٩١١هـ) شرح وتصحيح محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم، دار الجيل، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (د.ت)٠

٨٤- المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، محمد رشاد الحمزاوي، حوليات الجامعة التونسيّة، العدد الرابع عشر، ١٩٧٧م ٠

٨٥- المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر، عبدالقادر مرعي الخليل، منشورات جامعة مؤتة، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م ٠

٨٦- معالم جديدة للمنهج المقارن بين اللغات الساميّة، جوانب انثروبولوجية ونفسيّة واجتماعية، سمير ستيتية، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، المجلد العاشر، العدد الثلاثون، ١٩٨٦م ٠

٨٧- معاني القرآن، أبو زكريا الفرّاء (ت ٢٠٧هـ) ، تحقيق عبدالفتاح اسماعيل شلبي، مراجعة علي النجدي ناصف، الهيئة العامّة للكتاب، ١٩٧٢م ٠

٨٨- معجم الألفاظ الفارسيّة المعرَّبة، السَّيِّد ادّى شِير، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٠م

٨٩- المُعرَّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، أبو منصور الجواليقي (ت ٥٤٠هـ) تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، (طبعة بالافست في طهران) ١٩٦٦م ٠

٩٠- المقتضب، أبو العباس المبرد (ت ٢٨٥ هـ) ، تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت (د٠ت) ٠

٩١- مناهج البحث في اللغة، تمام حسّان، دار الثقافة، الدار البيضاء- المغرب، ١٩٧٩م٠

٩٢- المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديدة في الصرف العربي، عبدالصبور شاهين، مؤسسة الرسالة (د٠ت) ٠

٩٣- الموسيقى الكبير، أبو نصر الفارابي (ت ٣٣٩هـ) تحقيق وشرح غطّاس عبدالملك خشبة، مراجعة وتصدير محمود أحمد الحفني، دار الكتاب العربي، القاهرة (د٠ت)٠

٩٤ - النشر في القراءات العشر، للحافظ الدمشقي ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) تصحيح ومراجعة علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت (د٠ت) ٠

٩٥- النظام السيميائي للخط العربي في ضوء النقوش السامية ولغاتها، يحيى عبابنة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٨م ٠

٩٦-النظام اللغوي للهجة الصفاوية في ضوء الفصحى واللغات الساميّة، يحيى عبابنة، منشورات جامعة مؤتة، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م ٠

٩٧- الهمزة المقحمة ودورها في تشكيل بنية الكلمة العربية، يحيى عبابنة، بحث مطبوع على الآلة الكاتبة (غير منشور)٠

٩٨- الوجيز في فقه اللغة، محمد الأنطاكي، منشورات دار الشّرق، الطبعة الثالثة (د٠ت)٠

ثانياً : الأجنبيّة

1- Al - Ani, s. Arabic phonology, Accoustical and physiological Investigation, Indiana University, 1970 .

2- Costaz , l., Syriac - English Dictionary, Imprimerie Catholique, Beyrouth, 1986 .

3- O'connor, J.D, Better English pronunciation, Cambridge University Press, 4th Edition, 1984 .

4- Roach, P. English Phonetics and Phonology, Apractical Course, cambridge University Press, 6th Edition, 1987 .

الملخص

براجماتية اللغة ودورها في تشكيل بنية الكلمة

دراسة لغوية في كتب لحن العامة

تبحث هذه الدراسة في التوجه البراجماتي للتطوّر اللغوي في اللغة العربية المنطوقة بعيداً عن المستوى الفصيح، إذْ ساهمت تلك البراجماتية في إنشاء أبنية جديدة في الكلام المنطوق المتداول، وظهر ذلك جلياً في كتب لحن العامة ·

وقد جاءت الدراسة في تمهيد وأربعة فصول وخاتمة، أمّا التمهيد فيتحدث عن معنى البراجماتية في اللغة العربية ·

وأما الفصل الأول فيتحدث عن أبرز قضايا التوافق الصوتي، وهي :

١) المماثلة الصوتية ·

٢) النظام المقطعي للغة العربية ·

٣) دور الحركات المزدوجة ·

٤) الإبدال الصوتي التاريخي·

ويتحدث الفصل الثاني عن المخالفة الصوتية، وعن تسكين المتحرك وتحريك الساكن·

والفصل الثالث يتحدث عن الهمزة وقضاياها الآتية :

١) تبدلاتها·

٢) ضياعها·

٣) إقحامها ·

أما الأخير فيتحدث عن قانون السهولة والتيسير، ويظهر ذلك من خلال الحديث عن تطوّر ما يأتي :

١) الأصوات بين الأسنانية٠

٢) الأصوات المفخمة٠

٣) بعض الأصوات الحلقيّة٠

٤) الصوت المركب٠

أما الخاتمة فقد تضمّنت أهم نتائج الدراسة ٠

وينبغي الإشارة هنا إلى أن الدراسة اتبعت المنهج الوصفي التفسيري، الذي يصف الظاهرة الصوتية، ثم يحللها ويفسّرها، إضافة إلى المنهج المقارن في بعض الأحيان والمنهج التاريخي والمنهج التوليدي التحويلي ٠

ABSTRACT

The Pragmatics of Language and Its Role in the Formation of Word: A linguistic Study of Public Speech

This study endeavors to follow the pragmatic tendency of linguistic development in spoken Arabic. This sort of tendency contributes to a formation of novel spoken constructions that are apparent in the speech of the public.

The present study consists of an introduction, four chapters and a conclusion.

The introduction handles the meaning of pragmatics in Arabic. The first chapter handles the most prominent phonetic matters of concordance, which include.

1- phonetic assimilation

2- syllabification in Arabic

3- the role of diphthongs.

4- the historical phonetic substitution.

The second chapter handles phonetic violation, the use of sukūn over vowels and the use of a avowel after a consonant (taḥrīk al-sākin). The third chapter discusses Arabic glottal stop and the following pertinent matters:

1- substitution

2- formation

3- insertion

The fourth chapter handles the law of simplicity in light of the development of:

1- interdental sounds.

2- emphatic sounds.

3- pharyngeal sounds.

4- complex sounds.

The conclusion summarizes the significant results and contributions of the study . It should be pointed out that the present study has employed a descriptive explanatory approach that is based on the description of a phonetic phenomenon followed by its analysis and interpretation. The comparative, historical approaches have sometimes been resorted to.

المحتويات